العقد الفريد

للإمام الفاضل شهاب الدين أحمد
المعروف بن عبد ربه الأندلسى

الجزء السابع
الألحان والنساء والمتنبيين
والممرورين والبخلاء والطفيليين وطبائع الناس
والحيوان وتفاضل البلدان

مكتبة صادر بيروت
مكتبة لسان العرب

العقد الفريد

٢٥

الأعاريض والقوافي

مكتبة صادر
بيروت

الاعاريض والقوافي

العقد الفريد

من اشهر المجموعات الأدبية عند العرب ،
فيه ادب – وأقوال – ونوادر – وملح –
وتاريخ – واخبار الخ . الخ . . . .

•

الأعاريض والقوافي

هو كتاب الجوهرة الثانية من العقد ،
مضبوط ومشروح بقلم
كرم البستاني

Ibn ʿAbd Rabbih

العقد الفريد

لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي

٢٥

al-ʿIqd al-farīd ...

الأعاريض والقوافي

v. 7

مكتبة صادر
بيروت

١٩٥٣/١٤٨

كتاب الجوهرة الثانية

في اعاريض الشعر وعلل القوافي

قال أبو عمر أحمدُ بن محمد بن عبد ربّه :

قد مضى قولُنا في فضائل الشعر ومقاطعه ومخارجه ، ونحن قائلون ، بعون الله وتوفيقه ، في أعاريضه وعِلله ، وما يَحسُن ويقبُح من زِحافه ، وما ينفكّ من الدوائر الخَمس من الشطور التي قالت عليها العرب والتي لم تقل ، وتَلخيص جميع ذلك بمنثور من الكلام يقرُب معناه من الفهم ، ومنظوم مِن الشعر يسهُل حفظُه على الرواة. فأكملتُ جميعَ هذه العُروض في هذا الكتاب الذي هو جزآن ، فجزء للفَرش ، وجزء للمثال ، مختصراً مبيّناً مفسّراً . فاختصرتُ للفرش أرجوزةً ، وجمعت فيها كلّ ما يدخلُ العَروضَ ويجوز في حشو الشعر من الزحاف. وبيّنت الأسباب والأوتاد والتعاقب والتراقب ، والخُروم ، والزيادة على الأجزاء ، وفكّ الدوائر في هذا الجزء . واختصرتُ المثالَ في الجزء الثاني في ثلاث وستين قطعة ، على ثلاثة وستين ضرباً من ضروب العَروض . وجعلت المقطّعات رقيقةً غزلةً ،

ليسهلَ حِفظُها على ألسنة الرُّواة. وضمّنت في آخر كلّ مقطّعةٍ منها بيتاً قديماً متّصلاً بها وداخلاً في معناها ، من الأبيات التي استشهد بها الخليل في عَروضه، لتقومَ به الحُجّة لمن روى هذه المقطّعات واحتج بها .

•

مختصر الفرش

اعلم أنّ أول ما ينبغي لصاحب العَروض أن يبتدىء بـه ، معرفـةُ الساكن والمتحرك ؛ فإنّ الكلام كُلّه لا يعـدو أن يكون ساكناً أو متحرّكاً . واعلم أن كل ألِف خفيفـة ، أو ألف ولام خفيفتَين ، لا تَظهران على اللسان وتثبُتـــان في الكتابة ، فإنهما تسقُطان في العَروض وفي تقطيع الشعر ، نحو ألف : قال ابنك . أو ألف ولام نحو : قال الرجل . وإنما يُعَدّ في العَروض ما ظهر على اللسان .

واعلم أنّ كل حرف مشدّد ، فإنه يُعدُّ في العَروض حرفين ، أولهما ساكن والثاني متحرك ، نحو : ميم محمد ، ولام سلاّم .

واعلم أن التنوين كله يُعد في العَروض نوناً ساكنة ، ليست من أصل الكلمة .

باب الاسباب والاوتاد

اعلم أنّ مَدار الشعر وفواصلَ العَروض على ثمانية أجزاء، وهي : فاعِلُن ، فَعُولُن ، مفاعِيلُن ، فاعِلاتُن ، مُستَفعِلُن ، مُفاعَلَتُن ، مُتَفاعِلُن ، مَفعُولات .

وإنما أُلّفت هذه الأجزاء من الأسباب والأوتاد .

•

فالسبب سببان : خفيف وثقيل ، فالسبب الخفيف حرفان : متحرك وساكن ، مثل : من وعن ، وما أشبههما . والسبب الثقيل حرفان متحركان ، مثل : بك ولك ، وما أشبههما .

•

والوتد وتدان : مفروق ومجموع . فالوتد المجموع ثلاثة أحرف : متحركان وساكن ، مثل : على والى ، وما أشبههما . والوتد المفروق ثلاثة أحرف : ساكن بين متحركين ، مثل : أين وكيف ، وما أشبههما .

•

وإنما قيل للسبب سبب ، لأنه يضطرب ، فيثبت مرة ويسقط اخرى . وإنما قيل للوتد وتد ، لأنه يثبت فلا يزول .

باب الزحاف

اعلم أنّ الزّحـاف زِحافان ، فزحاف يُسقط ثاني السببِ الخفيف ، وزحافٌ يُسكِن ثاني السبب الثقيل ، وربما أسقطه . ولا يَدخل الزحافُ في شيء من الأوتاد ، وإنما يدخـــل في الأسباب خاصـة . وإنما يدخل من الجزء في ثاني الجزء ورابعـه وخامسـه وسابعه . فإذا أردتَ أن تعرف موضع الزحاف من الجزء ، فانظرُ الى جزء من الأجزاء الثمانيـة التي سُمّيت لك . فإن رأيت الوتد في أول الجزء ، فإنما يُزحف خامسه وسابعه . وان كان الوتد في آخر الجزء ، فإنما يُزحف ثانيه ورابعه. وإن كان الوتد في وسط الجزء ، فإنما يُزحف ثانيه وسابعه .

•

وللزحاف الذي يدخل في ثاني الجزء ثلاثةُ أسماء : الخَبْن ، والإضمار ، والوقص .

فالمخبون : ما ذهب ثانيـه الساكن . والمضمر : ما سكن ثانيه المتحرك . والموقوص : ما ذهب ثانيه المتحرك .

•

وللزحاف الذي يدخل في رابع الجزء اسم واحد: المطويّ، وهو ما ذهب رابعه الساكن.

•

وللخامس منها ثلاثة أسماء: القَبض، والعَصْب، والعقل. فالمقبوض: ما ذهب خامسه الساكن. والمعصوب: ما سكن خامسه المتحرك. والمعقول: ما ذهب خامسه المتحرك.

•

وللسابع اسم واحد: المكفوف، وهو ما ذهب سابعه الساكن.

باب الزحاف المزدوج

المخبول: هو ما ذهب ثانيه ورابعه الساكنان.

والمخزول: هو ما سكن ثانيه وذهب رابعه الساكن.

والمنقوص: هو ما سكن خامسه وذهب سابعه الساكن.

والمشكول: هو ما ذهب ثانيه وسابعه الساكنان.

علل الاعاريض والضروب

المحذوف : هو ما ذهب من آخر الجزء سببٌ خفيف .

والمقطوفُ : هو ما ذهبَ من آخر الجزء سببٌ خفيف وسكن آخر ما بقي .

والمقصورُ : ما ذهب آخرُ سَواكنه وسكَن آخرُ متحركاته من الجزء الذي في آخره سبب .

والمقطوع : ما ذهَب آخرُ سواكنِه وسكنَ آخرُ متحركاته من الجزء الذي في آخره وتد .

والأبتر : ما حُذف ثم قُطع ، فكان فاعل من فاعلاتن وفع من فعولن .

والأحذّ : ما ذهب من آخر الجزء وتدٌ مجموع .

والأصلم : ما ذهب من آخر الجزء وتد مفروق .

والموقوف : ما سكن سابعه المتحرك .

والمكسوف : ما ذهب سابعُه المتحرك .

والمجزوء : ما ذهب من آخر الصدرِ جزءٌ ومن آخر العجز جزء .

والمشطور : ما ذهب شطرُه .

والمنهوكُ : ما ذَهب منه أربعةُ أجزاء وبقي جزآن .

•

والزيادة على الأجزاء ثلاثة أشياء : المُذال ، وهو ما زادَ على اعتدالِ جزئه حرفٌ ساكن ، مما يكونُ في آخره وتد .

والمُسبَّغُ : ما زاد على اعتدالهِ حرفٌ ساكن ، مما يكون في آخره سبب .

والمُرفَّل : ما زاد على اعتدالهِ حرفانِ : متحركٌ وساكنٌ ، مما يكون في آخره وتد .

•

واعلم أن كلَّ جزءٍ من أجزاء العَروض يكونُ مخالفاً لأجزاء حَشوه بزحاف أو سَلامة ، فهو المعتل . وما كان معتلاً فإنما هو أربعة أشياء : ابتداءٌ ، وفصلٌ ، وغايةٌ ، واعتمادٌ .

هذا قول الخليل . وأنا أقول : إنَّ المعتل كلَّه ثلاثةُ أشياء : ابتداءٌ ، وفصل ، وغاية . وإن الاعتماد ليس عِلَّةً ؛ لأنه غيرُ مخالفٍ لأجزاء الحشو ، إذ جاز فيه القبضُ والسلامةُ ، ولذلك يجوز في أجزاء الحشو كلها ، وإنما خالفها في الحُسن والقبحِ ، وليس اختلافُ الحُسن والقبح عِلَّةً . ونحن نجد الاعتماد في الشعر كثيراً ، من ذلك البيتُ الذي جاء به الخليل :

أقيموا، بني النعمانِ عنّا، صدورَكم،
وإلاّ تُقيموا، صاغرين، الرؤوسَا[1]

ومنه قولُ امرئ القيس :

أعنّي على برقٍ، أراه، ومَيضِ،
يُضيء حَبِيّاً في شماريخَ بِيضِ[2]

وتَخرجُ منه لامعاتٌ، كأنها
أكفٌّ تلَقّى الفوزَ عند المُفيضِ[3]

وإنما زعم الخليلُ أن المُعتلّ ما كان مخالفاً لأجزاء حشوه بزحاف أو سلامة، ولم يقل بحُسن أو قُبح. ألا ترى أن القَبض في مفاعيلن في الطويل حَسن، والكَفّ فيه قبيح. والقبض في مفاعيلن في الهزج قبيح، والكف فيه حسن. والاعتماد في المتقارب على ضد ما هو في الطويل السالم فيه حسن، والقبض فيه قبيح.

فإذا اعتلّ أولُ البيت سُمي ابتداء، وإذا اعتلّ وسَطُه، وهو العَروض، سُمي فصلاً. وإذا اعتل الطرفُ، وهو في

---

١ البيت ليزيد بن الخذاق الشني . اقيموا : اصرفوا .
٢ الحبي : السحاب الكثيف الذي يدنو من الارض . الشماريخ : اعالي السحب .
٣ المفيض : الذي يجيل القداح عند القمار .

القافية ، سمي غاية . وإذا لم يعتل أوله ولا وسطه ولا آخره سُمي حَشواً كُله .

•

وما كان من الأنصافِ مستوفياً لدائرته ، وآخرُ جزء منه بمنزلة الحَشو من الآخر ، فهو التام .

وما كان من الأنصاف لم يذهب به الانتقاص بجزء من الأجزاء أجمع ، فهو وافٍ ؛ وإذا ذهب به الانتقاص ، فهو مجزوء .

وما كان من الأنصاف مُقفّى فهو مُصرّع .

فإن كانت الكلمة كلها كذلك ، فهو مشطور .

فإذا لم يبق منه إلا جزآن فهو المَنهوك .

وإذا اختلفت القوافي واختلطت وكانت حيِّزاً حيِّزاً من كلمة واحدة فهو المُخمّس .

وإذا كانت أنصافٌ على قوافٍ تجمعها قافية واحدة، ثم تعاد لمثل ذلك حتى تنقضي القصيدة ، فهو المُسمّط .

باب الخرم

اعلم أن الخَرم لا يدخل إلا في كل جزء أوله وتد . وذلك ثلاثة أجزاء : فعولن ، مفاعلتن ، مفاعيلن . وهو سقوط حركة من أول الجزء . وإنما منعه أن يدخل في السَّبب ، لأنك لو أسقطت من السبب حركة بقي ساكنٌ . ولا يُبدأ بساكن أبداً . ولا يدخل الخرم إلاّ في أول البيت .

فإذا دخل الخرمُ فعولن قيل له أثلم . فإذا دخل القبض مع الخرم قيل له أثرم .

فإذا دخل الخرم مفاعلتن قيل له أعصب ؛ فإذا دخله العَصبُ مع الخرم قيل له أقصم ؛ فإذا دخله القبض مع الخرم قيل له أعقص ؛ فإذا دخله العقل مع الخرم قيل له أجمّ .

فإذا دخل الخرم مفاعيلن قيل له أخرم ؛ فإذا دخله الكفّ مع الخَرم قيل له أخرب ؛ فإذا دخله القَبض مع الخرم قيل له أشتر ، وكل ما لم يدخله الخرم فهو الموفور .

باب التعاقب والتراقب

اعلم أن التعاقب يدخل بين السببين المتقابلين في حشو الشعر حيثما كانا، ولا يكونان من جميع العروض إلا في أربعة أشطار: في المديد، والرمل، والخفيف، والمجتث. وقد بيّنا جميع ذلك في موضعه.

•

فما عاقبه ما قبله فهو صَدر. وما عاقبه ما بعده فهو عَجز. وما عاقبه ما قبله وما بعده فهو طرفان. وما لم يُعاقبه ما قبله ولا ما بعده فهو بريء.

•

والتراقب بين السببين المُتقابلين من فاصلة واحدة. ولا يدخل التراقب من جميع العروض إلاّ في المضارع والمُقتضب. وقد فسّرناه هنالك. وقد نظمنا جميع ما ذكرناه من هذه الأبواب في أرجوزة ليسهل حِفظُها على المتعلم، إذ كان حفظ المنظوم أسهلَ من حِفظ المنثور، وذكرنا فيها كل الدوائر الخمس، وما ينفكُّ في كل دائرة من عدد الشُّطور التي قالت عليها العرب، والتي لم تقُل عليها، وموضع الزّحاف منها.

•

واعلم أن الدائرة الأولى مؤلفة من أربعة أجزاء ، سُباعيّين مع خُماسيّين ، وهي : فعولن مفاعيلن ، فعولن مفاعيلن .

والدائرة الثانية من ثلاثة أجزاء سباعيــة ، وهي : مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن .

والدائرة الثالثة مؤلفة من ثلاثــة أجزاء سباعية ، وهي : مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن .

والدائرة الرابعة مؤلفة من ثلاثة أجزاء سباعيــة ، وهي : مستفعلن مفعولات مستفعلن .

والدائرة الخامسة مؤلفة من أربعة أجزاء خماسية ، وهي : فعولن فعولن فعولن فعولن .

•

واعلم أنَّ كل دائرة من هذه الدوائر ينفكُّ من رأسِ كل سببٍ وكلّ وتد فيها شطر . وقد بيّنا جميــع ذلك في الدوائر وأسماء الشطور التي تنفكُّ عنها .

أرجوزة العروض

بالله نبدا ، وبه التمامُ ،
وباسمه يُفتتحُ الكلامُ

يا طالبَ العِلْمِ ، هو المِنهاجُ ،
قد كثُرت ، من دونه ، الفِجاجُ

وكلُّ عِلمٍ ، فله فنونُ ؛
وكلُّ فنٍّ ، فله عيونُ

أولها جوامعُ البَيانِ ،
وأصلها معرفةُ اللّسانِ

فإنّ في المجاز والتأويلِ ،
ضلّتْ أساطيرُ ذوي العقولِ

حتى إذا عرَفتَ تلك الأبنيه :
واحدَها وجمعها والتثنيه

طلبتَ ما شئتَ من العلومِ ،
ما بين منثورٍ الى منظومِ

فداوِ ، بالإعرابِ والعَروضِ ،
داءَكَ في الإملالِ والقريضِ

كلاهما طِبٌّ لداء الشِّعرِ ،
واللفظِ من لحنٍ به وكَسْرِ

ما فَلْسَفَ النِّيطسُ جالينوسُ ،
وصاحبُ القانونِ بَطْلِيموسُ [1]

ولا الذي يَدْعونه بِهِرْمِسِ ،
وصاحبُ الأرْكَندِ والإقليدسِ [2]

فَلسفةَ الخَليلِ في العَروضِ ،
وفي صَحيحِ الشِّعرِ والمَريضِ

وقد نظرتُ فيه ، فاختصرتُ
إلى نِظامٍ منه قد أحْكمتُ

مُلَخَّصٍ مُختصَرٍ بديعِ ،
والبَعضُ قد يَكفي عن الجميعِ

---

١ النيطس ، كالنطاسي : العالم ، الحاذق بالطب . جالينوس : طبيب يوناني مشهور . بطليموس : فلكي يوناني ، له كتاب المجسطي الذي عرّبه الحجاج الحسيب في ايام العباسيين . وقد سماه الشاعر بالقانون .

٢ هرمس : رياضي وفلكي وفيلسوف يوناني من مدرسة الاسكندرية ، ولد في سيرين سنة ٢٧٦ ق . م وترك نفسه يموت جوعاً وهو في الرابعة والثانين من عمره . اقليدس : حكيم يوناني وضع كتاباً في فن الهندسة فسمي باسمه . الاركند : يدل سياق الكلام على انه اسم كتاب علم لاقليدس ايضاً .

اختصار الفرش

هذا اختصار الفَرش من مَقالي،
وبعدَه أقولُ في المِثالِ

أوله ، واللهَ أستعينُ ،
أن يُعرَفَ التحريكُ والسُّكونُ

من كلّ ما يبدو على اللّسانِ ،
لا كلُّ ما تَخُطُّه اليدانِ

ويَظهر التّضعيفُ في الثّقيلِ ،
تَعدُّه حرفينِ في التّفصيلِ

مُسكّناً ، وبعده مُحرّكا ،
كنون كُنّا ، وكراءِ سَرّكا

باب الاسباب والاوتاد

وبعد ذا الأسبابُ والاوتادُ ،
فإنها لقولنا عِمادُ

فالسببُ الخفيف ، إذ يُعدُّ ،
مُحرّكٌ وساكنٌ لا يَعْدو

والسبب الثقيلُ ، في التّبيينِ ،
حرَكتانِ ، غيرَ ذي تنوينِ

والوتدُ المَفروق والمَجموعُ ،
كلاهما ، في حَشوه ، ممنوعُ

وإنما اعتلّ من الأجزاءِ ،
في الفصل والغائي والابتداءِ

فالوتد المَجموع منها ، فافهمْ ،
حركتانِ قبلَ حَرفٍ قد سكَنْ

والوتد المَفروقُ ، من هذينِ ،
مُسكَّنٌ بينَ مُحرَّكينِ

فهذه الأوتادُ والأسبابُ ،
لها ثَباتٌ ، ولها ذَهابُ

وإنما عَروض كلّ قافيه ،
جارٍ على أجزائه الثّمانيه

وهاكَها بيّنةً مُصوّره ،
لكلّ مَن عاينَها مُفسّره

●

الفواصل

فاعلن ، فعولن ، مستفعلن ، فاعلاتن ، مفاعيلن ، مفاعلتن، متفاعلن ، مفعولات .

هذي التي بها يقول المُنشدُ ،
في كلّ ما يرجز ، أو يُقصّدُ[1]

كلُّ عروضٍ يَعتزي إليها ،
وإنما مَدارُه عليها

منها خُماسيّان في الهجاءِ ،
وغيرُها مُسبّعُ البناءِ

يدخلُها النّقصان بالزّحافِ ،
في الحشو والعَروضِ والقوافي

وإنما تدخل في الأسبابِ ،
لأنها تُعرَفُ باضطرابِ

---

١ يقصد : ينظم القصائد .

باب الزحاف

فكلُّ جزءٍ زال منه الثاني ،
من كلِّ ما يبدو على اللسانِ

وكان حرفاً ، شأنه السكونُ ،
فإنه عندي اسمُه مخبونُ

وإن وجدتَ الثانيَ المنقوصا
مُحرَّكاً ، سمّيْتَه الموقوصا

وإن يكن مُحرَّكاً ، فسكّنا ،
فذلك المُضمَر ، حقاً بيّنا

والرابعُ الساكن ، إذ يزولُ ،
فذلك المطويُّ ، لا يحولُ

وإن يَزُل خامسُه المسكَّنُ ،
فذلك المقبوضُ ، فهو يحسُنُ

وإن يكن هذا ، الذي يزولُ ،
مُحرَّكاً ، فإنه المعقولُ

وإن يكن محرَّكا سكّنتَه ،
فسمِّه المَعصوبَ ، إن سمَّيتَه

وإن أزلت سابعَ الحُروفِ ،
سمَّيتَه ، إذ ذاك ، بالمَكفوفِ

•

باب الزحاف

الذي يكون في موضعين من الجزء

كلُّ زحافٍ، كان في حرفينِ،
حَلَّ، من الجزء، بمَوضِعينِ

فإنه يُجحِف بالأجزاءِ،
وهو يُسمَّى أقبحَ الأسماءِ

فكُلُّ ما سُكِّن منه الثاني،
وأسقط الرَّابعُ في اللِّسانِ

فذاك المخزولُ، وهو يَقبُحُ،
فحيثُما كان، فليس يَصلُحُ

وإن يَزُل رابعُه والثاني،
ذاك وذا في الجُزءِ ساكِنانِ

فإنه، عندي، اسمُه المَخبولُ،
يُقصِّر الجُزء الذي يطولُ

وكلُّ جزءٍ في الكتابِ يُدرَكُ ،
يَسكُنُ منه الخامس المُحرَّكُ

وأسقط السابعُ، وهو يسكنُ،
فذلك المَنقوصُ ليس يَحسُنُ

وسابع الجُزء وثانيه ، إذا
كان ، يُعدُّ ساكناً ذاك وذا

فأسقِطا بأقبح الزِّحافِ ،
سُمّي مشكولاً ، بلا اختلافِ

هذا الزِّحافُ،لا سِواه، فاسمَعِ ،
يُطلقُ في الأجزاء ما لم يُمنعِ

باب العلل

والعِلَلُ التي تجوز أجمعُ ،
وليس في الحَشو لهنَّ موضعُ

ثلاثة تُدعى بالابتداءِ ،
والفَصلِ والغايةِ في الأجزاءِ

والاعتمادُ خارجٌ عن شكلِها ،
وفِعْلُه مُخالفٌ لفِعْلِها

لأنهم قد تركوا التزامَه ،
وجاز فيه القَبضُ والسَّلامَة

ومثلُ ذاك جائزٌ في الحَشْوِ ،
فنحوُ هذا غيرُ ذاك النَّحوِ

وكلُّ مُعتَلٍّ ، فغيرُ جائزِ ،
في الحَشو والقَصيد والأراجزِ

وإنما أجازه الخليلُ ،
مُجازفاً ، إذ خانه الدَّليلُ

وكلُّ حيٍّ من بني حوّاءِ ،
فغيرُ معصومٍ من الخطاءِ

فأوّلُ البيتِ ، إذا ما اعتلَّ ،
سمّيتَه بالابتداء كُلاَّ

وغايةُ الضَّربِ تُسمّى غايه ،
وليس في الحشوِ لها حِكايه

وكلُّ ما يدخلُ في العَروضِ ،
مِن عِلّةٍ ، تَجوزُ في القَريضِ

فهي تُسمّى الفَصلَ ، عند ذاكا ،
وقلَّ مَن يعرفه هُناكا

باب الخرم

والخَرمُ في أوائلِ الأبياتِ ،
يُعرف بالأسماءِ والصِّفاتِ

نُقصانُ حرفٍ من أوائل العَددْ ،
في كلِّ ما شَطْرٍ يُفكُّ من وتدْ

خمسةُ أشطارٍ من الشُّطورِ ،
يُخرم منها أولُ الصُّدورِ

منها الطَّويلُ أولُ الدوائرِ ،
وأطولُ البِناء عندَ الشَّاعرِ

يَدْخلُه الخَرمُ ، فيُدعى أثْلما ،
فإنْ تلاه القَبْض سُمِّي أثْرمَا

والوافرُ ، الذي مدار الثانيه ،
عليه ، قد تَعيه أذنٌ واعيَهْ

يَدخلُه الخَرمُ في الابتداءِ ،
في أول الجُزْءِ من الأجزاءِ

وهو يُسمّى أعضباً ، فكلّما
ضُمّ إليه العَضْبُ سُمّي أقصما

وإن يكن أعصبَ ، ثم يُعقلُ ،
فذلك الأجمّ ، ليس يُجهَلُ

والهَزَج ، الذي هو السّوارُ ،
عليه للثالثة المَدارُ

يدخله الخَرْم ، فيُدعى أخرما ،
وهو قَبيح ، فاعلمنّ وافهمَا

حتى إذا ما كُفّ بعد الخَرمِ ،
سَمّيتَه أخربَ ، إذ تُسمّي

والأشترُ المُهجّنُ العَروضا ،
ما كان منه آخرٌ مَقبوضا

هذا ، وفي الرابعة المُضارعُ ،
يَدخلُ فيه الخرم ، لا يُدافَعُ

كمِثل ما يدخلُ في شَطر الهزَجْ ،
وهو يُسمّى باسمه ، بلا حَرجْ

ولا يجوزُ الخَرمُ فيه ، وحدهُ ،
إلاّ بقَبضٍ ، أو بكفٍّ بعدهُ

لعِلَّةِ التَّرافبِ المذكورِ ،
خُصَّ بـه من أجمعِ الشُّطورِ

والمُتقاربُ ، الذي في الآخرِ ،
تَحلو بـه خامسةُ الدَّوائرِ

يَدخُله ما يَدخُـل الطويلا ،
من خَرمـه ، وليس مُستَحيلا

هذا جميعُ الخَرم ، لا سواهُ ،
وهو قبيحٌ عنـد من سمَّاهُ

يدخلُ في أوائـل الأشعارِ ،
ما قيلَ في ذي الخمسة الأشطارِ

لأنَّ ، في أوّلِ كلِّ شَطـرٍ ،
حركتَيـنِ في ابتـداء الصَّدرِ

وإنما ينفـكُّ في الأوتادِ ،
فلم يَضِرْها الخرمُ في التَّمادي

لقـوّةِ الأوتاد في أجزائها،
وأنها تَبرأ من أدوائهـــا

سالمـةٌ من اجمع الزّحـافِ ،
في كل مَجْـزوءٍ وكل وافي

والجُزْءُ ما لم ترَ فيـه خَرْمَا ،
فإنـه المَوفورُ قـد يُسمَّى

•

باب علل الاعاريض والضروب

والعِلَلُ المُسمَّياتُ اللاتي
تُعرف بالفُصولِ والغاياتِ

تَدخلُ في الضربِ وفي العَروضِ
وليس في الحَشْوِ من القريضِ

منها الذي يُعرَفُ بالمَحْذوفِ ،
وهو سُقوطُ السَّبَبِ الخفيفِ

في آخر الجُزْء ، الذي في الضربِ ،
أو في العَروض ،غيرَ قولِ الكذبِ

ومثلُه المعروفُ بالمقطوفِ ،
لولا سكونُ آخرِ الحُروفِ

وكل جُزءٍ ، في الضروبِ ، كائنِ ،
أسقط منه آخر السَّواكنِ

وسُكِّنَ الآخِرُ من باقيه ،
ممّا يُجيزون الزّحافَ فيه

فذلك المَقصورُ ، حين يُوصفُ ،
وإنْ يكن آخرُه لا يُزحفُ

من وَتدٍ يكون حينَ لا سبَبْ ،
فذلك المَقطوعُ حينَ يَنتسبْ

وكلُّ ما يُحذف ثم يُقطعُ ،
فذلك الأبترُ ، وهو أشنعُ

وإن يزُل من آخر الجُزء وَتدْ ،
إن كان مجموعاً ، فذلك الأحَذّ

أو كان مَفروقاً ، فذاك الأصلمُ ،
كلاهما للجُزءِ حقاً صَيلمُ[1]

وإن يُسكَّن سابعُ الحُروفِ ،
فإنه يُعرَف بالمَوقوفِ

وإن يكُن مُحرّكاً ، فأذهبا ،
فذلك المَكسُوفُ حقاً مُوجبا

وبعده التّشعيثُ في الخفيفِ ،
في ضربه السالمِ لا المَحذوفِ

يُقطعُ منه الوتدُ المُوسَّطُ ،
وكلُّ شيءٍ ، بعده ، لا يَسقُطُ

---

١ الصيلم : الامر المتأصل .

باب التعاقب والتراقب

وبعدَ ذا تعاقبُ الجزأينِ ،
في السَّببينِ المتقابلينِ

لا يَسقُطان جملةً في الشِّعرِ
فإنَّ ذاكَ من أشدِّ الكَسْرِ

ويَثبُتانِ أيّما ثباتِ ،
وذاكَ من سلامةِ الأبياتِ

وإن يَنَل بعضَهما إزالهْ ،
عاقَبه الآخرُ لا مَحالهْ

فكلُّ ما عاقَبه ما قبلَهُ ،
يُسمّى صدراً ، فافهمنْ أصلَهُ

وكلُّ ما عاقَبه ما بعدَه ،
فهو يُسمّى عَجُزاً ، فعُدَّه

وإن يكُن هذا وذا مُعاقِبا ،
فهو يُسمّى طرفينِ واجبا

يَدخُلُ في المَديد والخفيفِ ،
والرَّمَل المَجزوء والمَحْذوفِ

ويدخلُ المجتثَّ أيضاً أجمعَه ،
ولا يكون في سوى ذي الأربعه

والجُزءُ إذ يخلو من التعاقُب ،
فهو بَريء ، غيرَ قول الكاذب

وهكذا ، إن قِسْتَه التعاقبُ ،
وليس مثلَ ذلك التَراقبُ

لأنه لم يأتِ من جُزأينِ ،
في السَّببين المُتجاورينِ

لكنَّه جاء بجزء واحدِ ،
في أول الصَّدر من القصائدِ

والسَّببانِ غيرُ مَزْحوفَينِ ،
في جُزئه ، وغيرُ سالمينِ

إن زالَ هذا كان ذا مكانه ،
فاسمَعْ مقالي ، وافهمْ بيانَه

فهكذا التراقُب الموصوفُ،
وكُلُّه، في شَطره، مَعروفُ

يدخُلُ أولَ المُضارع السّببُ،
وبعدَه يدخُلُ صدرَ المُقتضبْ

•

الزيادات على الاجزاء

ثم الزّياداتُ على الأجزاءِ ،
مَوجودةٌ ، تُعرف بالاسماءِ

وإنما تكون في الغاياتِ ،
تُزاد في أواخر الأبياتِ

وكُلُّها ، في شَطره ، مَوجودُ ،
منها المُرفَّلُ الذي يَزيدُ

حَرفين في الجزء على اعتدالهِ ،
مُحرّكاً وساكناً في حالهِ

وذاك فيما لا يجوز الزّحفُ
فيه ، ولا يُعزى إليه الضّعفُ

وفيه أيضاً يدخُل المُذالُ ،
مُقيّداً في كلّ ما يُقالُ

وهو الذي يَزيد حرفاً ساكنا ،
على اعتدال جُزئه ، مُباينا

ومثلُه المُسبغُ من هذي العِللْ ،
حَرفٌ تَزيده على شَطر الرّمَلْ

باب نقصان الاجزاء

فإن رأيتَ الجزءَ لم يَذهب معا ،
بالانتقاص ، فهو وافٍ ، فاسمعا

وإن يكن أذهَبه النُّقصانُ ،
فافْهم ففي قولي لك البَيانُ

فذلك المجْزوءُ في النِّصفينِ ،
إذا انتقصتَ منهما جُزأينِ

والبيتُ ، إن نَقصتَ منه شطرَهُ ،
فذلك المَشطورُ ، فافهم أمرَهُ

وإن نقصتَ منه ، بعد الشَّطرِ ،
جُزءاً صحيحاً من أخيرِ الصَّدرِ

وكان ما يَبقى على جُزأينِ ،
فذلك المَنهوكُ غيرَ مَينِ

صفة الدوائر وصورها

فاسمع ، فهذي صِفةُ الدوائرِ
وصْفَ عليم ، بالعَروض ، خابرِ

دوائرٌ تَعيا على ذِهْنِ الحَذِقْ ،
خمسٌ عليهنَّ الخُطوط والحَلَقْ

فما لها من الخُطوطِ البائنهْ ،
دلائلٌ على الحُروف الساكنهْ

والحَلقاتِ المُتَجوِّفاتِ ،
علامةٌ للمتحرِّكاتِ

والنُّقَطُ ، التي على الخُطوطِ ،
علامةٌ تُعَدّ للسُّقوطِ

والحَلَقُ ، التي عليها يُنقطُ ،
تسكُنُ أحياناً ، وحيناً تسقطُ

والنُّقَط ، التي بأجواف الحَلَقْ ،
لمبتدا الشُّطور منها مُختَرقْ

فانظُرْ تجِـدْ، من تحتها، أسماءَها،
مكتوبةً قد وُضعتْ إزاءَها

والنُّقطتانِ موضعَ التعاقُبِ،
ومثلَ ذاكَ موضعَ التراقُبِ

وهـذه صورةُ كلٍّ واحِـده
منها ومَعنى فَسْرِها على حِدَه

الأولى : دائرة المختلف

الطويل : مبني على فعولن مفاعيلن . ثماني مرات .
المديد : مبني على فاعلات فاعلن . ست مرات ، بعد الحذف .
البسيط : مبني على مستفعلن فاعلن . ثماني مرات .

أوَّلُها دائرةُ الطويـلِ ، وهي ثمانٍ لذوي التفضيـلِ
مُقسَّمِ الشَّطرِ على أرباعِ ، بينَ خُماسيٍّ إلى سُباعي
حُروفُه عشرون بعد أربعَه ، قد بيَّنوا لكلِّ حرفٍ موضعَه
تنفكُّ منها خَمسةٌ شُطورُ ، يَفصِلُها التفعيلُ والتَّقديرُ
منها الطويلُ والمَديد بعدَهُ ، ثم البَسيطُ يُحكمُونَ سَرْدَهُ
ثلاثةٌ ، قالت عليها العَرَبُ ، واثنانِ صَدُّوا عنهما، وتنكَّبُوا
وهذه صُورتُها ، كما تَرى ، وذكرُها مبيَّناً مفسَّرا

الثانية : دائرة المؤتلف

الوافر : مبني على مفاعلتن . ست مرات . فقطفوا ضربه وعروضه .
الكامل : مبني على متفاعلن . ست مرات .

وهذه الثانيــة المخصوصه ،   بالسبب الثّقيل والمَنقوصــه
أجزاؤها ثلاثـة مُسبّعه ،   قد كَرهوا أن يجعلوها أربعه
لأنها تَخرجُ عن مِقدارِهم ،   في جُملة الموزون من أشعارِهم
فهي على عِشرين، بعدَ واحدِ ،   من الحُروف ما بها من زائدِ
ينفكّ منها وافرٌ وكاملُ ،   وثالثٌ قد حار فيه الجاهلُ

الثالثة : دائرة المجتلب

الهزج : مبني على مفاعيلن . بعد الحذف . أربع مرات .
الرجز : مبني على مستفعلن . ست مرات .
الرمل : مبني على فاعلاتن . ست مرات .

والدارة الثالثة، التي حكتْ ،   في قَدرِها، الثانيةَ التي مَضتْ
في عِدّةِ الأجزاء والحُروفِ ،   وليس في الثّقيل والخَفيفِ
ينفكّ منها مِثلُ ما ينفكّهْ ،   من تلك حقّاً، ليس فيه شكّهْ
ترفُل من ديباجِها في حُللِ ،   من هَزَجٍ أو رَجَزٍ أو رَمَلِ
وهذه صورتُها مبيّنه ،   بحَليها ووَشْيها ، مُزَيَّنـه

الرابعة : دائرة المشتبه

السريع : مبني على مستفعلن مستفعلن مفعولات . ست مرات .

المنسرح : مبني على مستفعلن مفعولات مستفعلن . ست مرات .

الخفيف : مبني على فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن . ست مرات .

المضارع : مبني على مفاعيلن فاعلاتن . ست مرات . فحذفوا منه جزأين فصار مربعاً .

المقتضب : مبني على مفعولات مستفعلن مستفعلن . ست مرات . فربعوه كما تقدم .

المجتث : مبني على فاعلاتن فاعلاتن . ست مرات . فربعوه كما تقدم .

ورابع الدّوائر المَسروده ، أجزاؤها ثلاثة مَعْدوده

عَجيبة ، قد حار فيها الوَصْفُ ، عشرون حرفاً ، عَدُّها ، وحرفُ

مِثلَ التي تقدّمت من قَبلها ، وشَكلُها مُخالفٌ لشكلِها

بَديعةٌ أُحْكِم في تدبيرها ، بالوَتِد المَفروقِ في شُطورها

ينفكُّ منها ستةٌ مَقُوله ، مِن بينها ثلاثةٌ مجهوله

وكلُّ هذي الستّة المَشطوره ، مَعروفةٌ لأهلِها ، مَخبوره

أوّلها السَّريع ، ثم المُنسرحْ ، ثم الخَفيف ، بعده ، ثم وَضَحْ

وبعده مُضارع ، ومُقتضبْ شَطرانِ مجزوءانِ في قول العربْ

وبعدها المُجتثّ أحلى شَطْرِ ، يوجد مَجزوءاً لأهلِ الشِّعرِ

الخامسة : دائرة المتفق

المتقارب : مبني على فعولن . ثماني مرات .

وبعدها خامسة الدّوائرِ ،   للمُتقاربِ الذي في الآخرِ

يبتكُ منها شَطْرُه ، وشَطْرُ   لم يأتِ ، في الأشعار ، منه الذكرُ

من أقصر الأجزاء والشّطورِ ،   حُروفُه عِشْرون في التقديرِ

مؤلّفُ الشّطرِ على فواصلِ   مخمّساتٍ أربعٍ ، مواثلِ

هذا الذي جَرّبه المُجرّبُ ،   من كلّ ما قالت عليه العربُ

فكلُّ شيءٍ لم تَقُل عليه ،   فإننا لم نلتفت إليه

ولا نَقول غيرَ ما قد قالوا ،   لأنه من قَولِنا مُحالُ

وإنه لو جاز ، في الأبياتِ ،   خلافُها ، لجاز في اللغاتِ

وقد أجاز ذلك الخليلُ ،   ولا أقول فيه ما يَقولُ

لأنه ناقضَ في مَعناه ،   والسيفُ قد يَنبو وفيه ماه[1]

إذ جَعل القولَ القديمَ أصلَه ،   ثم أجاز ذا ، وليس مثلَه

وقد يَزِلُّ العالِمُ النّحريرُ ،   والحَبرُ قد يَخُونه التحبيرُ

---

١ ماه : ماء ، وماء السيف رونقه .

وليس للخَليل مِن نظيرِ ، في كلّ ما يأتي من الأمورِ

لكنّه فيه تَسبيحُ وحدِه ، ما مثلُه من قبله وبَعدِه

فالحمدُ لله على نَعمائِه ، حمداً كثيراً ، وعلى آلائه

يا مَلِكاً ذلّت له المُلوكُ ، ليس له في مُلكه شَريكُ

ثبّتْ لعبدِ الله حُسن نيّته ، واعطفه بالفَضل على رعيّته

ابتداء الامثال

شطر الطويل

الطويل مُثمَّن ، له عروض واحد مقبوض وثلاثة ضروب : ضرب سالم ، وضرب مقبوض ، وضرب محذوف معتمد .

العروض المقبوض والضرب السالم

ورَوْضةِ وردٍ حُفّ بالسّوسنِ الغَضّ ،
تحلّتْ بلَونِ السّامِ والذهبِ المَحْضِ[1]

رأيتُ بها بدراً ، على الأرضِ ، ماشياً ،
ولم أرَ بدراً ، قطُّ ، يَمشي على الأرضِ

إلى مِثله ، فلْتَصْبُ ، إن كنتَ صابياً ،
فقد كان منه البَعضُ يَصْبو إلى البعض

---

١ السوسن : نبات من الرياحين . السام : الخيزران . المحض : الخالص .

وكلُّ وَرْدَ خَدَّيه ورُمّانَ صَدْره ،
بمَصٍّ على مَصٍّ ، وعَضٍّ على عَضّ

وقُـل للذي أفْنَى الفُؤادَ بحُبّـه ،
على أنه يَجزي المَحبّة بالبُغْض

أبا مُنذر أفنيتَ فاستَبقِ بعضَنا ،
حَنانَيْكَ بعضُ الشَّرِّ أهوَن من بَعض[1]

تقطيعه :

فعولن ، مفاعيلن ، فعولن ، مفـاعلن
فعولن ، مفاعيلن ، فعول ، مفاعيلن

الضرب المقبوض

وحاملـةٍ راحاً على راحـةِ اليَـدِ ،
مُورَّدةٍ تَسعى بلـونٍ مُورَّدِ[2]

متى مـا ترى الإبريقَ للكأس راكعـاً ،
تُصَلّ له ، من غير طُهر ، وتَسجُدِ

---

١ البيت منسوب لطرفة بن العبد .
٢ الراح : الخمر .

على ياسَمينٍ كاللُّجينِ ونَرجسٍ ،
كأقراطِ دُرٍّ ، في قضيبٍ زَبَرْجدِ[1]

بتلكَ وهذي ، فالْهُ ليلَكَ كلَّه ،
وعنها فسَلْ ، لا تسألِ الناسَ عن غَدِ

ستُبدي لكَ الأيامُ ما كنتَ جاهلاً ،
ويأتيكَ بالاخبارِ من لم تُزوِّدِ[2]

تقطيعه :

فعولن ، مفاعيلن ، فعولن ، مفاعلن
فعولن ، مفاعيلن ، فعولن ، مفاعلن

الضرب المحذوف المعتمد

أيقتُلُني دائي ، وأنتَ طبيبي ،
قريبٌ ، وهل من لا يُرى بقريبِ ؟

لئن خُنتَ عَهدي ، إنني غيرُ خائنٍ ،
وأيّ مُحبٍّ خانَ عهدَ حَبيبِ ؟

---

١ اللجين : الفضة . اقراط ، الواحد قرط : ما يعلق بالاذن . الزبرجد : حجر كريم يشبه الزمرد ، اشهره الاخضر .
٢ البيت لطرفة ، من معلقته .

وساحبةٍ فضلَ الذيول ، كأنها
قضيبٌ من الريحان ، فوقَ كثيبِ[1]

إذا ما بدتْ من خِدْرها قال صاحبي :
أطِعْني وخُذْ من وصْلها بنَصيب

وما كلُّ ذي لُبٍّ بمؤتيك نُصْحه ،
ومـا كلُّ مؤتٍ نُصْحه بلبيبِ[2]

تقطيعه :

فعولن ، مفاعيلن ، فعولن ، مفاعلن
فعولن ، مفاعيلن ، فعول ، فعولن

*

يجوز في حَشو الطويل القبض والكَف . فالقبض فيه حَسن . والكَف فيه قبيح . ويدخله الخَرم في الابتداء ، فيقال له : أثلم . فإذا دخله القبض مع الخرم قيل له : أثرم .

والخَرم : سقوط حركة من أول البيت ، ولا يكون إلا في وتد . والقَبض : ما ذهب خامسه الساكن . والكفّ : ما

---

١ الكثيب : التل من الرمل .
٢ البيت لأبي الأسود الدؤلي .

ذهب سابعه الساكن . والاعتماد : سقوط الخامس من فعولن التي قبل القافية ، اعتمد به فقبض . ولم تَجر فيه السلامة إلا على قبح . ولم يأت في الشعر إلا شاذاً قليلًا . والاعتماد في المتقارب : سلامة الجزء الذي قبل القافية . والمحذوف : ما ذهب من آخره سبب خفيف .

شطر المديد

هو مجزوء كله

له ثلاثة أعاريض وستة ضروب :

فالعروض الأول منها مجزوء ، وله ضرب مثله .

والعروض الثاني محذوف لازم الثاني ، له ثلاثة ضروب لازمة الثاني :

ضرب مقصور لازم الثاني ، وضرب محذوف لازم الثاني ، وضرب أبتر لازم الثاني .

والعروض الثالث محذوف مخبون . له ضربان : ضرب مثله ، وضرب أبتر لازم الثاني .

العروض المجزوء الضرب المجزوء

يا طويلَ الهجْرِ، لا تَنسَ وَصلي،   واشتغالي بك عن كلّ شُغلِ
يا هلالاً فوقَ جيدِ غزالٍ،   وقضيباً تحتَه دِعصُ رَملِ[1]
لا سلَتْ، عاذلتي، عنه نفسي،   أكثِري في حُبّه، أو أقِلّي

---

١ الدعص : كثيب الرمل المجتمع .

شادِنٌ يُزهي بخَـدٍّ وجِيدٍ، مائسٌ فاتنٌ بحُسْنٍ ودَلِّ[1]
ومتى ما يَـعِ منك كلاماً، فتَكلَّمْ، فيُجبكَ بعَقْلِ

تقطيعه :

فعـلاتن ، فعِلن ، فعلاتن فعلاتن ، فعِلن ، فعـلاتن

العروض المحذوف اللازم الثاني

والضرب المقصور اللازم الثاني

يا وميضَ البرق بينَ الغَمامْ، لا عليها بل عليـكَ السلامْ
إنَّ، في الأحداج، مَقصورةً، وجهُها يَهتِكُ سِتْرَ الظَّلامْ[2]
تحسب الهجر حلالاً لها، وترى الوصلَ عليها حَرامْ
ما تأسّيـكَ لدارٍ خَلَتْ، ولشَعْبٍ شَتَّ بعدَ التئامْ[3]
إنما ذِكرُكَ ما قـد مَضى ضلّةٌ، مثلَ حديثِ المَنام

تقطيعه :

فاعـلاتن ، فعلن ، فاعلن فاعلاتن ، فعلن ، فاعلان

---

١ الدل : الغنج . يزهي : يتيه ، يتكبر .
٢ الاحداج ، الواحدة حداجـة : ما تركب فيه النساء على الجمل كالهودج
المقصورة : المرأة لا يسمح لها ان تخرج من بيتها .
٣ التأسي : التصبر شت : تفرق . التئام : اجتماع .

الضرب المحذوف اللازم الثاني

عاتِبٌ ظَلْتُ له عاتِبَـا ، رُبَّ مَطلوبٍ غـدا طالِبا
من يتُب عن حبِّ مَعشوقِهِ ، لستُ عن حُبّي له تائِبـا
فالهوى لي قَـدَرٌ غالبٌ ، كيف أعصي القـدرَ الغالبا ؟
ساكنَ القصر ومَن حلّـه ، أصبح القلبُ بكم ذاهِبـا
اعلمُوا أني لكـم حافظٌ ، شاهداً ، ما عِشتُ ، أو غائِبا

تقطيعه :

فاعلاتن ، فاعلن ، فاعلن فاعلاتن ، فاعلن ، فاعلن

الضرب الأبتر

أيُّ تُفّاح ورُمّـانِ ، يُجتنى من خُوطِ ريحانِ[1]
أيُّ وردٍ فوقَ خـدٍّ بدا ، مستنيراً بـين سُوسانِ
وثَنٍ يُعبـد في روضةٍ ، صِيغ من دُرٍّ ومَرجانِ
من رأى الدَّلفاء في خَلوةٍ ، لم يَرَ الحـدَّ على الزاني[2]
إنما الدَّلفـاءُ ياقوتةٌ ، أُخرجت من كيسِ دهقانِ[3]

---

١ الخوط : الغصن الناعم .
٢ الدلفاء : المرأة الصغيرة الأنف في استواء .
٣ البيت لشاعر اموي ، والدلفاء فيه : اسم قينة كانت لسعيد بن عبد الملك ثم صارت الى سليمان بن عبد الملك . الدهقان : التاجر .

تقطيعه :

فاعـلاتن ، فاعلن ، فاعلن فاعـلاتن ، فاعلن ، فعلن

العروض المجزوء المحذوف

والمخبون ضربه

مِن مُحبٍّ شَفَّه سَقمُهُ ، وتلاشى لحمُـــهُ ودمُـه
كاتبٌ حنَّتْ صَحيفتُـه ، وبكى مِن رحمـةٍ قلَمُهُ
يَرفع الشكوى الى قمرٍ ، يَنجلي عن وجهـه ظُلَمُهُ
من لِقرْنِ الشمس جَبْهتُهُ ، وللمـع البَرق مُبتَسَمـه
خلِّ عقلي ، يا مُسفِّهه ، إنَّ عقلي لستُ أتَّهِمه[1]
للفتى عَقل يَعيش بـه ، حيثُ تَهدي ساقَه قدمُه[2]

تقطيعه :

فاعلاتن ، فاعلن ، فعلن فاعلاتن ، فاعلن ، فَعِلُن

الضرب الأبتر اللازم الثاني

زادني لَومُـك إصرارا ، إنَّ لي ، في الحُبِّ ، أنصارا
طارَ قلبي مِن هَوى رشإٍ ، لو دَنا للقَلبِ مـا طـارا

---

١ مسفهه : ناسبه الى السفه ، وهو ضد الحلم .
٢ البيت لطرفة .

خُذ بكفّي لا أمُتْ غَرَقاً ، إنّ بحر الحُبّ قد فارا
أنضجت نارُ الهوى كَبدي ، ودُموعي تُطفيء النارا
رُبّ نارٍ بِتُّ أرمقها تَقْضِم الهِنْديّ والغارا[1]

تقطيعه :

فاعلاتن ، فاعلن ، فعلن فاعلاتن ، فاعلن ، فَعْلن

☆

يجوز في حشو المديد : الخَبْن والكَف والشّكل . فالمخبون : ما ذهب ثانيه الساكن . والمكفوف : ما ذهب سابعه الساكن . والمشكول: ما ذهب ثانيه وسابعه الساكنان ، وهو اجتماع الخَبْن والكَف في فاعلاتن .

ويدخله التعاقب في السببين المتقابلين ، بين النون من فاعلاتن والألف من فاعلن لا يسقطان جميعاً ، وقد يثبتان . فما عاقبه ما قبله فهو صدر ، وما عاقبه ما بعده فهو عجز ، وما عاقبه ما قبله وما بعده فهو طرفان . وما لم يعاقبه شيء فهو بريء . والمقصور : ما ذهب آخر سواكنه وسكن آخر متحركاته من السبب . والأبتر : ما حذف ثم قطع .

---

١ البيت لعدي بن زيد . تقضم : تأكل باطراف اسنانها . الهندي والغار : نوعان من الشجر .

شطر البسيط

البسيط له ثلاثة أعاريض وستة أضرب :

فالعروض الأول مخبون تام ، له ضربان : ضرب مثله ، وضرب مقطوع لازم الثاني .

والعروض الثاني مجزوء ، له ثلاثة أضرب : ضرب مذال ، وضرب مجزوء ، وضرب مقطوع ممنوع من الطي .

والعروض الثالث مقطوع ممنوع من الطي، له ضرب مثله .

العروض المخبون والضرب المخبون

بينَ الأهلّةِ بَدرٌ ما له فَلَكُ ،
قلبي له سُلَّم ، والوجه مُشْتَرِكُ

إذا بدا انتهبت عيني محاسِنَه ،
وذلّ قلبي لعَينيه ، فينْتَهِكُ[1]

ابتعتُ بالدّينِ والدُّنيا مودّته ،
فخانَني،فعلى مَن يرجعُ الدَّرَكُ؟[2]

---

١ ينتهك : يضنى ويجهد .

٢ الدرك : التبعة ، اي ما يترتب عليه من ضرر .

كُفُّوا بني حارثٍ ألحاظَ رِيمِكُمُ،
فكلُّها، لفؤادي كلِّهِ، شَرَكُ[1]

يا حارِ لا أُرْمَيَنْ منكم بداهيةٍ،
لم يَلْقَها سُوقةٌ قبلي ولا مَلِكُ[2]

تقطيعه*:

مستفعلن، فاعلن، مستفعلن، فَعِلُن
مستفعلن، فاعلن، مستفعلن، فَعِلُن

الضرب المقطوع اللازم الثاني

يا ليلةً، ليس في ظلمائها نورُ،
إلّا وجوهاً تُضاهيها الدّنانيرُ

حُورٌ سَقَتْني بكأس الموت أعينُها،
ماذا سَقَتْنيه تلك الأعينُ الحُور؟

إذا ابتسَمْنَ، فدُرُّ الثّغر مُنتظم،
وإنْ نَطَقْنَ، فدُرُّ اللّفظِ مَنْثور

---

١ الريم: الغزال الابيض.
٢ البيت لزهير بن أبي سلمى.

خَلِّ الصِّبا عنكَ ، واختِم بالنُّهى عملاً ،
فإنَّ خاتمةَ الأعمالِ تكفيرُ[1]

والخيرُ والشرُّ مقرونانِ في قَرَنٍ ،
فالخيرُ مُتّبعٌ ، والشرُّ محذورُ[2]

تقطيعه :

مستفعلن ، فاعلن ، مستفعلن ، فعلن
مستفعلن ، فعلن ، مستفعلن ، فَعْلن

العروض المجزوء والضرب المذال

يا طالباً في الهوى ما لا يُنالْ ،
وسائلاً ، لم يُعفَّ ذُلَّ السُّؤالْ

ولَّتْ ليالي الصِّبا محمودةً ،
لو أنها رجعت تلك الليالْ

وأعقبتْها التي واصلتُها ،
بالهجر لمّا رأت شَيْبَ القَذالْ[3]

---

١ النهى : العقل .
٢ القرن : الحبل .
٣ القذال : قفا الرأس .

لا تَلتَمِس وُصلَةً من مُخلِفٍ ،
ولا تكُن طالباً ما لا يُنالْ[1]

يا صاحِ ، قد أخلَفَتْ أسماءُ ما
كانت تُمَنّيكَ من حُسن الوِصالْ

تقطيعه :

مستفعلن ، فاعلن ، مستفعلن
مستفعلن ، فاعلن ، مستفعلان

الضرب المجزوء

ظالمتي في الهوى لا تَظلِمي ،
وتَصْرمي حَبلَ مَن لم يَصْرِمِ[2]

أهكذا باطلاً عاقبتِني ،
لا يَرحَمُ اللهُ مَنْ لم يَرحَمِ

قتلتِ نفساً ، بلا نَفسٍ ، وما
ذَنبٌ بأعظمَ من سَفكِ الدّمِ

---

١ المخلف : الذي يعد ولا يفي .
٢ صرم الحبل : قطعه .

لمثل هذا بكَتْ عيني ، ولا
للمنزل القَفْرِ ، وللأرسمِ

ماذا وُقوفي على رَسمٍ عَفا ،
مُخلولِقٍ ، دارسٍ ، مُستعجِمِ[1]

تقطيعه :

مستفعلن ، فاعلن ، مستفعلن مستفعلن ، فاعلن ، مستفعلن

الضرب المقطوع الممنوع من الطي

ما أقربَ اليأسَ من رَجائي ،
وأبعَدَ الصبرَ من بُكائي

يا مُذكيَ النّار في فؤادي ،
أنت دوائي ، وأنت دائي[2]

مَن لي بمُخلِفَةٍ في وعدِها ،
تَخلِطُ لي اليأسَ بالرّجاء

---

١ الرسم : الاثر . عفا : امحى . مخلولق : بالٍ . دارس : عافٍ . مستعجم : لا ينطق .

٢ مذكي : مشعل .

سألتُها حاجةً، فلم تَفُهْ
فيها بنَعَمٍ، ولا بلاء

قلتُ: استجيبي، فلمّا لم تجب،
سالتْ دموعي على ردائي

تقطيعه:

مستفعلن، فاعلن، مستفعلن   مستفعلن، فاعلن، فعولن

العروض المقطوع الممنوع من الطي

ضربه مثله

كآبةُ الذُلّ في كتابي،   ونَخْوةُ العِزّ في جوابي
قتلتَ نفساً بغيرِ نَفس،   فكيف تَنجُو من العذاب؟
خُلِقْتَ من بَهجةٍ وطيبٍ،   إذ خُلق الناسُ من تُراب
ولّت حُميّا الشّباب عنّي،   فلهفَ نَفسي على الشّباب
أصبحتُ، والشيبُ قد علاني،   يَدعو حَثيثاً إلى الخِضاب[1]

تقطيعه:

مستفعلن، فاعلن، فعولن   مستفعلن، فاعلن، فعولن

☆

[1] حثيثاً: سريعاً.

يجوز في حشو البسيط : الخَبْن والطي والخبل . فالخبن : ما ذكرناه في المديد . والطي : ما ذهب رابعه الساكن . والمخبول : ما ذهب ثانيه ورابعه الساكنان ، وهو اجتماع الخبن والطي في مستفعلن .

والخبن فيه حسن ، والطي فيه صالح ، والخبل فيه قبيح . والمقطوع : ما ذهب آخر سواكنه وسكن آخر متحركاته من الوتد . والمذال : ما زاد على اعتداله حرف ساكن .

تمت الدائرة الأولى .

•

شطر الوافر

له عروضان وثلاثة ضروب

فالعروض الأول مقطوف ، له ضرب مثله . والعروض الثاني مجزوء ممنوع من العقل ، له ضربان : ضرب سالم ، وضرب معصوب .

العروض المقطوف والضرب المقطوف

تَجافى النومُ ، بعدكَ ، عن جُفوني ،
ولكن ليسَ يجفوها الدموعُ

يطيب ليَ السُّهادُ ، إذا افترقنا ،
وأنتَ به يطيبُ لكَ الهجوعُ[1]

يذكّرني تبسُّمكِ الأقاحي ،
ويَحكي لي توَرّدَكِ الرَّبيعُ[2]

---

١ الهجوع : ضد السهاد ، النوم .
٢ الاقاحي ، الواحدة اقحوانة : نبتة اوراق زهرتها صغيرة مفلّجة ، بيضاء ، يشبهون بها الاسنان .

يطير إليك من شوقٍ فؤادي ،
ولكن ليس تتركه الضلوعُ

كأنّ الشمسَ لمّا غِبْتَ غابَت ،
فليس لها على الدُّنيا طُلوع

فما ليْ عن تذكّرك امتناعٌ ،
ودون لِقائِك الحِصْنُ المَنيع

إذا لم تَستطع شيئاً ، فدعْه ،
وجاوزْه إلى ما تَستطيع[1]

تقطيعه :

مفاعلْتن، مفاعلْتن، فعولن   مفاعلْتن ، مفاعلْتن ، فعولن

العروض المجزوء الممنوع من العقل الضرب السالم

غزال زانه الحَوَرُ ،   وساعد طَرْفَه القَدَرُ
يُريكَ ، إذا بدا ، وجهاً   حَكاه الشمسُ والقمر
براه الله من نور ،   فلا جِنٌّ ولا بَشر

---

١ البيت لعمرو بن معديكرب .

فَـذاكَ الهمُّ ، لا طَلل   وقفتَ عليـه تَعتَـبر
أهاجَكَ منزِلٌ أقوى ،   وغيَّـرَ آيَه الغِيَرُ؟[1]

تقطيعه :

مفاعلـتن ، مفاعلـتن   مفاعلـتن ، مفاعلـتن

الضرب المعصوب

وبَذرٍ غير مَمحوقٍ ،   من العِقْيان مَخلوق[2]
إذا أُسقيتُ فَضْلتَه ،   مزَجتُ بريقـه ريقي
فيا لكَ عاشقاً ، يُسقى   بقيّـةَ كأسِ مَعشوق
بكيتُ لنـأيه عنّي ،   ولا أبكي بتَشهيـق[3]
لِمنزلة بهـا الأفلا   كِ أمثال المَهاريقِ[4]

تقطيعه :

مفاعلـتن ، مفاعلـتن   مفاعلـتن ، مفاعلـن

*

---

١ اقوى : اقفر . آيه : علاماته . الغير : صروف الزمان .
٢ العقيان : الذهب .
٣ التشهيق : الشهيق .
٤ المهاريق ، الواحد مهراق : الصحيفـــة ، ثوب من حرير ابيض ، الصحراء
الملساء .

يجوز في حَشو الوافر : العَصب والنقص والعقل. فالعصب فيه حسن ، والنقص فيه صالح ، والعقل فيه قبيح .

ويدخله الخرم في الابتداء ، فتسقط حركة من أول البيت ، ويسمى أعصب . فإذا دخله العَصب مع الخرم، قيل له : أقصم. فإذا دخلـه النقص مع الخرم ، قيل له : أعقص . فإذا دخله العقل مع الخرم ، قيل له : أجم .

والمعصوب : ما سكن خامسه المتحرك . والمنقوص : مـا سكن خامسه المتحرك وذهب سابعـه الساكن . والمقطوف : ما ذهب من آخره سبب خفيف وسكن آخر ما بقي .

ولا يدخل القطف إلا في العروض والضرب من تام الوافر.

شطر الكامل

الكامل له ثلاثة أعاريض وتسعة ضروب. فالعروض الأول تام ، له ثلاثة ضروب : ضرب تام مثله ، وضرب مقطوع ممنوع إلا من سلامة الثاني وإضماره ، وضرب أحذ مضمر .

والعروض الثاني أحذ ، له ضربان : ضرب مثلـه ، وضرب مضمر .

والعروض الثالث مجزوء، له أربعة ضروب : ضرب مرفّل، وضرب مُذال ، وضرب مجزوء ، وضرب مقطوع ممنوع ، إلا من سلامة الثاني وإضماره .

العروض التام الضرب التام

يا وجهَ مُعتذِرٍ ، ومُقلةَ ظالِمٍ ،
كم من دمٍ ظُلماً سفكتِ بلا دمِ

أوَجدْتِ وصلي في الكِتاب مُحرَّماً ،
ووجدتِ قتلي فيه غيرَ مُحرَّمِ ؟

كم جنّةٍ لكِ قد سكنتُ ظِلالَها ،
مُتفكّهاً في لذّةٍ ، وتنعّمِ

وشربتُ من خَمر العيـون تعلـُّلا ،
فـإذا انتشيتُ أجود جُودَ المِرْزم[1]

وإذا صحَوتُ ، فما أقصّر عن ندًى ،
وكما علمتِ شمائـلي وتكـرُّمي[2]

تقطيعه :

متفاعلن ، متفاعلن ، متفاعلن متفاعلن ، متفاعلن ، متفاعلن

الضرب المقطوع الممنوع

إلا من الاضمار والسلامة

حالَ الزمانُ ، فبـدّل الآمالا ،
وكَسا المَشيبُ مَفارقاً وقَذالا

غَنيَتْ غواني الحَيّ عنك ، وربما
طَلعتْ عليك أكِلّـةٌ وحِجالا[3]

---

١ التعلل ، من تعلل بالشيء : تشغّل به . انتشيت : سكرت . المرزم ، احد المرزمين : نجمان من نجوم المطر .

٢ البيت لعنترة من معلقته .

٣ الاكلة : الواحد اكليل . الحجال ، الواحدة حجلة : ستر يضرب للعروس في جوف البيت . ولعله اراد بحجال جمعاً لحجل : الخلخال .

أَضحى عليكَ حلالُهنّ مُحرّماً ،
ولقد يكون حرامُهنّ حلالا

إنّ الكواعبَ ، إنْ رأينك طاوياً
وَصْلَ الشبابِ ، طوين عنك وصالا[1]

وإذا دَعَونَك عمَّهنّ ، فإنه
نسبٌ يزيدكَ عندهنّ خبالا[2]

تقطيعه :

متفاعلن ، متفاعلن ، متفاعلن   متفاعلن ، متفاعلن ، فعلاتن

الضرب الأحذ المضمر

يومُ المُحبّ ، لِطوله ، شهرُ ،
والشهر يُحسَب أنه دَهرُ

بأبي وأمي غادةٌ في خدّها
سِحرٌ وبين جُفونها سِحر

١ الكواعب ، الواحدة كاعب : التي نهد ثديها .
٢ البيت للأخطل . الخبال : الفساد ، النقصان .

الشمسُ تحسِبُ أنها شمسُ الضُحى،
والبَدرُ يحسِبُ أنها البَدر

فَسلِ الهوى عنها يجيب، وإن نأتْ،
فَسلِ القِفارَ يجيبك القفر

لمن الديارُ برامتَيْن، فعاقلٍ،
دَرست وغيّر آيها القَطرُ؟[1]

تقطيعه:

متفاعلن، متفاعلن، متفاعلن متفاعلن، متفاعلن، فعْلن

العروض الاحذ الثالث

ضربه مثله

أمّا الخليطُ، فشدّ ما ذهبوا،
بانوا، ولم يَقضوا الذي يجبُ

فالدارُ بعدهمُ كوَشمِ يدٍ؛
يا دارُ فيك وفيهمُ العَجَبُ[2]

١ رامتان: موضع لبني دارم. عاقل: موضع لبني أبان بن دارم. القطر: المطر.

٢ الوشم: الخطوط التي تحدث في اليد من غرز الابرة فيها وذر النيلج، اي دخان الشحم، عليها.

أين التي صيغت محاسنُها
من فِضّةٍ شيبت بها ذَهب؟

ولّى الشبابُ فقلت أندبُه،
لا مثلَ ما قالوا ولا نَدبوا

دِمَنٌ عفَت، ومَحا معالمَها
هَطِلٌ أجَشُّ، وبارِحٌ تَرِبُ[1]

تقطيعه:

متفاعلن، متفاعلن، فعلن متفاعلن، متفاعلن، فعلن

الضرب الاحذ المضمر

عينيَّ، كيفَ غررتُما قلبي،
وأبحتُماه لوعةَ الحُبِّ؟

يا نظرةً أذكتْ، على كبدي،
ناراً، قضيتُ بجرّها نحبي

خَلّوا جَوى قلبي أكابدُه،
حَسبي مُكابدةُ الجوى، حَسْبي

---

١ دمن، الواحدة دمنة: ما بقي من الآثار بعد رحيل القوم. معالمها، الواحد معلم: ما يستدل به على الطريق. هطل: سحاب ممطر. اجش: رعاد. البارح: الريح الحارة. ترب: فيه تراب.

عَيني جنت ، من شؤم نَظرتها ،
مـا لا دواءَ له عـلى قـلْبي

جانيكَ مَن يجني عليك ، وقـد
تُعدي الصحاحَ مبارِكُ الجُرب

تقطيعه :

متفاعلن ، متفاعلن ، فعلن   متفاعلن ، متفاعلن ، فعْلن

العروض المجزوء والضرب المجزوء المرفل

هتك الحجابَ ، عن الضمائرْ ،   طرفٌ به تُبلى السَّرائرْ
يَرنو ، فيَمتحن القلو   بَ ، كأنه في القلب ناظر
يا ساحراً مـا كنتُ أعْ   رف قبله ، في الناس ، ساحر
أقصيتَني من بعـد مـا   أدنيتَني ، فالقلبُ طـائر
وغررتَني ، وزعمتَ أنّ   كَ لابنٌ ، بالصَّيف ، تامِر[1]

تقطيعه :

متفاعلن ، متفاعلن   متفاعلن ، متفاعلاتن

الضرب المذال

يا مُقلـةَ الرَّشأ الغَريـ   ـرِ ، وشُقّةَ القمرِ المنيرْ

١ اللابن : ذو اللبن ، ساقيه . التامر : ذو التمر ، مطعمه . البيت للحطيئة .

ما رنّقت عيناك لي، بين الأكلة والسنور
إلا وضعتُ يدي على قلبي، مخافة أن يَطير
هَبْني كبعضِ حَمام مكّة، واستمع قول النّذير
أبُنيّ لا تَظلِم بمكّة لا الصّغير ولا الكبير[1]

تقطيعه:

متفاعلن، متفاعلن متفاعلن، متفاعلان

الضرب المجزوء

قُل ما بدا لك، وافعلِ، واقطَعْ حِبالك، أو صِلِ
هذا الربيعُ، فَحيّه، وانزل بأكرمِ مَنزل
وصِلِ الذي هو واصلٌ، فإذا كَرهتَ، فبدّل
وإذا نبا بك منزلٌ، او مَسكنٌ، فتحوّل[2]
وإذا افتقرت، فلا تَكُن مُتخشّعاً، وتجمّل[3]

تقطيعه:

متفاعلن، متفاعلن متفاعلن، متفاعلن

---

١ البيت لسبيعة بنت الأحب، تخاطب ابناً لها يسمى خالداً.
٢ نبا بك: لم تجد به قراراً.
٣ تجمل: اي تجمل بالصبر.

الضرب المقطوع الممنوع

الا من سلامة الثاني واضماره

يا دَهرُ، ما ليَ أصفي، وأنت غيرُ مواتِ[1]
جرَّعتني غُصصاً، بها كدَّرتَ صفوَ حياتي
أينَ الذين تسابقوا، في المَجدِ، للغاياتِ
قومٌ بهم روحُ الحيا ة، تُرَدُّ في الأمواتِ
وإذا هُمُ ذكروا الإسا ءة، أكثروا الحسناتِ

تقطيعه :

متفاعلن ، متفاعلن متفاعلن ، فعلاتن

*

يجوز في الكامل من الزحاف : الاضمار والوقص والخزل. فالاضمار فيه حسن ، والوقص فيه صالح ، والخزل فيه قبيح .

فالمضمر : ما سكن ثانيه المتحرك .

والموقوص : ما ذهب ثانيه المتحرك .

والمخزول : ما سكن ثانيه المتحرك وذهب رابعه الساكن .

ويدخله من العلل القطع والحذ. فالمقطوع ، ما تقدم ذكره . والأحذ : ما ذهب من آخر الجزء وتد مجموع .

---

١ اصفي ، من اصفاه الود : اخلصه .

شطر الهزج

الهزج له عَروض واحد مجزوء ممنوع من القبض. وضربان : ضرب سالم ، وضرب محذوف .

العروض المجزوء الممنوع من القبض

ضربه مثله

أيا مَنْ لامَ في الحُبِّ ، ولم يَعلم نجوى قلبي
ملامُ الصبِّ يُغويه ، ولا أغوى من القلبِ
فأنَّى لُمْتَ، في هندٍ ، مُحبًّا صادقَ الحُبِّ
وهندٌ ما لها شِبهٌ ، بشرق ، لا ولا غربِ
الى هندٍ صَبا قلبي ، وهِند ، مثلُها يُصبي

تقطيعه :

مفاعيلن ، مفاعيلن مفاعيلن ، مفاعيلن

الضرب المجزوء المحذوف

متى أشفي غليلي ، بنَيلٍ من بَخيلٍ ؟
غزالٌ ، ليس لي منه ، سِوى الحُزن الطويلِ

جميلُ الوجه ، أخلاني   من الصبرِ الجَميل
قد حملتَ الضيمَ فيه ،   من حسود وعَذول
وما ظهري ، لباغي الضَّيم ، بالظَّهر الذَّلولِ

تقطيعه :

مفاعيلن ، مفاعيلن   مفاعيلن ، فعولن

*

يجوز في الهَزج من الزحاف القبض والكف . فالكف فيه حسن والقبض فيه قبيح . وقد فسرنا المقبوض والمكفوف في الطويل أيضاً .

ويدخله الخرم في الابتداء ، فيكون أخرم . فإذا دخله الكف مع الخرم ، قيل له : أخرب . فإذا دخله القبض مع الخرم ، قيل له : أشتر . والخرم كله قبيح .

شطر الرجز

الرجز له أربعة أعاريض وخمسة ضروب. فالعروض الأول تام ، له ضربان : ضرب تام مثل عروضه ، وضرب مقطوع ممنوع من الطيّ .

والعروض الثاني مجزوء ، له ضرب مثله مجزوء .

والعروض الثالث مشطور ، له ضرب مثله .

والعروض الرابع منهوك ، له ضرب مثله .

العروض التام الضرب التام

لم أدرِ ! جِنّيٌّ سَباني ، أم بَشَرْ ،
أم شَمس ظُهر أشرَقَت لي، أم قَمَرْ

أم ناظِرٌ يُهدي المَنايا طَرفُه ،
حتى كأنَّ الموتَ منه في النَّظر

يُحبي قَتيلاً ، ما له ، من قاتِلٍ ،
إلا سِهامُ الطَّرفِ رِيشت بالحَوَر

مـا بال رَسم الوَصل أضحى داثراً ،
حـتى لقـد أذكرتني ممّـا دثر

دارٌ لسَلمى ، إذ سُليمى جارةٌ ،
قَفراً تُرى آياتُها مِثـل الزُّبُر[1]

تقطيعه :

مستفعلن، مستفعلن، مستفعلن مستفعلن، مستفعلن، مستفعلن

الضرب المقطوع الممنوع من الطي

قَلبٌ ، بلوعات الهوى ، مَعمودُ ،
حَيّ كَميْتٍ ، حاضرٌ ، مَفقودُ[2]

ما ذقتُ طعمَ الموتِ في كأس الأسى ،
حـتى سقَتْنيه الظبـاءُ الغيـدُ

من ذا يداوي القلبَ من داء الهوى ،
إذ لا دواءٌ ، للهوى ، مَوجود

أم كيـف أسلو غـادةً ، مـا حُبّهـا
إلا قَضـاءٌ ، مـا له مَرْدود

---

١ الزبر : الكتب .
٢ المعمود : المضنى ، الموجَع .

القلبُ منها مُستريحٌ ، سالمٌ ،
والقَلب مـني جاهـدٌ ، مجهودُ

تقطيعه :

مستفعلن ، مستفعلن ، مستفعلن مستفعلن ، مستفعلن ، مستفعل

العروض المجزوء الضرب المجزوء

أعطيتُه ما سألا ، حكّمتُه ، لو عَدلا
وهبتُه روحي ، فما أدري به ما فَعلا
أسلمتُهُ في يده ، عَيّشه أم قتـلا
قَلبي به في شُغُلٍ ، لا مَلّ ذاك الشُغُلا
قَيّدَه الحُبُّ ، كما قَيّد راعٍ جَملا

تقطيعه :

مستفعلن ، مستفعلن مستفعلن ، مستفعلن

العروض المشطور الضرب المشطور

يا أيها المَشغوفُ بالحُبِّ التَّعِبْ ،
كم أنت في تَقريبِ ما لا يَقترِبْ
دَع وُدَّ من لا يَرعوي ، إذا غَضِب ،
ومَن ، إذا عاتبتَه يومـاً ، عَتَب
إنـك لا تَجـني من الشوكِ العِنَب

تقطيعه :

مستفعلن ، مستفعلن ، مستفعلن

العروض المنهوك الضرب المنهوك

بياضُ شَيْبٍ قد نَصَعْ ، رفعتُـه ، فمـا ارتفعْ
إذا رأى البيضَ انقمع ، مِن بين يأسٍ وطَمَعْ
لله أيامُ النَّخَـــع يا لَيتني فيها جَذَع[1]
أخُبُّ فيها وأضع[2]

تقطيعه :

مستفعلن ، مستفعلن

*

ويجوز في حشو الرجز : الخبن ، والطي ، والخبل . فالخبن فيه حسن ، والطي فيه صالح ، والخبل فيه قبيح . وقـد مضى تفسير الطي والخبن والخبل في البسيط .

ويدخله من العلل : القطع، وقد ذكرناه. ويكون مجزوءاً. والمجزوء : مـا ذهب من آخر الصـدر جزء ، ومن آخر العجز جزء . ويأتي مشطوراً . والمشطور : ما ذهب شطره . ويـأتي منهوكاً . والمنهوك: ما ذهب من شطره جزآن وبقي على جزء.

---

١ النخع : موضع . جذع : شاب حدث .
٢ اخب واضع : اسرع .

شطر الرمل

الرمل له عروضان وستة ضروب. فالعروض الأول محذوف جائز فيه الخبن. له ثلاثة ضروب: ضرب متمم، وضرب مقصور جائز فيه الخبن، وضرب محذوف مثل عروضه.

والعروض الثاني مجزوء، له ثلاثة ضروب: ضرب مسبغ، وضرب مجزوء مثل عروضه الجائز فيه الخبن، وضرب محذوف جائز فيه الخبن.

العروض المحذوف الجائز فيه الخبن الضرب المتمم

أنا في اللّذاتِ مَخلوعُ العِذارِ،
هائمٌ في حُبِّ ظَبْيٍ ذي احورارِ[1]

صُفرةٌ في حُمرةٍ في خدّه،
جَمَعتْ روضةَ وَرْدٍ وبَهارِ[2]

---

١ الاحورار: شدة سواد سواد العين، وشدة بياض بياضها.
٢ البهار: نبات اصفر اللون طيب الرائحة.

بأبي طاقةُ آسٍ أقبلَتْ ،
تَتَثَنّى بينَ حِجْلٍ وسِوارْ[1]

قادني طَرفي وقلبي للهَوى ،
كيفَ من طَرفي ومِن قلبي حِذاري ؟

لو بغيرِ الماء حَلقي شَرِقٌ ،
كنتُ ، كالغَصّان ، بالماء اعتصاري[2]

تقطيعه :

فاعلاتن ، فاعلاتن ، فاعلن فاعلاتن ، فاعلاتن ، فاعلاتن

الضرب المقصور

يا مُديرَ الصُّدغِ في الخدِّ الأسيلْ ،
ومُجيلَ السِّحرِ بالطَّرفِ الكَحيلْ

هل ، لمَحزونٍ كئيبٍ ، قُبلةٌ
منكَ ، يَشفي بَردُها حَرَّ الغَليلْ

وقليلٌ ذاكَ ، إلا أنّه
ليسَ مِن مثلكَ عندي بالقَليلْ

١ الحجل : الخلخال .
٢ شرق بالماء : غص به . اعتصر بالماء : شربه ليذهب غصته .

بأبي أحورُ غنّى، موهِناً،
بغناءٍ قصَّر الليلَ الطويل

يا بني الصَّيداءِ ردُّوا فرسي،
إنما يُفعلُ هذا بالذَّليل [1]

تقطيعه :

فاعلاتن ، فاعلاتن ، فاعلن فاعلاتن ، فاعلاتن ، فاعلان

الضرب المحذوف

شادنٌ ، يَسحبُ أذيالَ الطَّربْ ،
يَتَثنَّى بينَ لَهوٍ ولَعِبْ

بجَبينٍ مُفرَغٍ من فضّةٍ ،
فوقَ خَدٍّ مُشرَبٍ لونَ الذّهب

كتَبَ الدمعُ ، بخدّي ، عَهدَه ،
للهوى ، والشوقُ يُملي ما كتَب

ما لجهلي ، ما أراه ذاهباً ،
وسوادُ الرأسِ مني قد ذَهب

---

١ بنو الصيداء : قوم كانوا قد اخذوا فرساً لزيد الخيل ، فهو يطلب ردّه في هذا البيت

قالتِ الخنساءُ، لمّا جئتُها :
شابَ بعدي رأسُ هذا واشتهب

تقطيعه :

فاعلاتن ، فاعلاتن ، فاعلن فاعلاتن ، فاعلاتن ، فاعلن

العروض المجزوء الضرب المسبغ

يا هلالاً في تَجنّيهِ ، وقَضيباً في تثنّيهِ
والذي لستُ أسمّيه ، ولكنّي أكنّيه
شادِنٌ ما تقدرُ العيـ ـنُ تراه من تلاليه[1]
كلما قابله شخـ ـصٌ ، رأى صورته فيه
لانَ ، حتى لو مشى الذّ رُّ عليه كاد يُدميه

تقطيعه :

فاعلاتن ، فاعلاتن فاعلاتن ، فاعلاتان

الضرب المجزوء

يا هلالاً ، قد تجلّى في ثيابٍ من حريرْ
وأميراً ، بهواه ، قاهراً كلَّ أميرْ

---

[1] الشادن : الظبي . تلاليه : مسهل تلألؤه .

ما لخدّيكَ استعارَا حمرةَ الوردِ النَّضير
ورُسومُ الوصلِ قد أَلْ بستَها ثوبَ دُثور[1]
مقفراتٌ ، دارساتٌ مثلَ آياتِ الزَّبور

تقطيعه :

فاعلاتن ، فاعلاتن فاعلاتن ، فاعلاتن

الضرب المجزوء المحذوف الجائز فيه الخبن

يا قتيلاً من يدِه ، ميتاً من كَمَده
قدَحتْ ، للشوق ، ناراً عينُه في كَبَده
هائمٌ يبكي عليه ، رحمةً ، ذو حسده
كلُّ يومٍ هو فيه ، مُستعيذٌ من غَدِه
قلبُه ، عند الثريّا ، بائنٌ عن جَسدِه

تقطيعه :

فاعلاتن ، فاعلاتن فاعلاتن ، فعلن

*

١ الدثور : البلى .

يجوز في الرمل من الزحاف : الخَبن والكَف والشكل .
فالخبن فيه حسن ، والكف فيه صالح ، والشكل فيه قبيح .
وقد فسرنا المكفوف والمخبون .

فأما المشكول : فهو ما ذهب ثانيه وسابعه الساكنان .

ويدخله التعاقب في السببين المتقابلين ، على حسب ما يدخل في المديد .

ويدخله من العلل الحذف والقصر والإسباغ . وقد فسرنا المحذوف والمقصور . وأما المسبغ : فهو ما زاد على اعتدال جزئه حرف ساكن ، مما يكون في آخره سبب خفيف ، وذلك فاعلاتن يزاد عليها حرف ساكن فيكون فاعلاتان .

شطر السريع

السريع له أربعة أعاريض وسبعة أضرب :

فالعَروض الأول مَكسوف مَطويٌّ لازم الثاني ، له ثلاثة ضروب: ضرب موقوف مطوي لازم الثاني، وضرب مكسوف مطوي لازم الثاني مثل عروضه ، وضرب أصلم سالم .

والعروض الثاني مخبول مكسوف ، له ضربان : ضرب مثل عروضه ، وضرب أصلم سالم .

والعروض الثالث مشطور موقوف ممنـوع من الطي ، ضربه مثله .

والعروض الرابع مشطور مكسوف ممنـوع من الطي ، ضربه مثله .

العروض المكسوف المطوي اللازم الثاني

الضرب الموقوف المطوي اللازم الثاني

بكيتُ ، حتى لم أدعْ عَبرةً ، إذ حملوا الهودجَ فوق القلوص[1]

---

١ القلوص : الناقة .

بُكاءَ يَعقوبَ على يُوسفٍ ، حتى شَفى غُلَّتَه بالقميص[1]
لا تأسفٍ ، الدهرَ ، على ما مضى ، والقَ الذي ما دونه من محيص[2]
قد يُدرك المُبطىءُ من حظّه ، والخيرُ قد يَسبق جُهدَ الحريص

تقطيعه :

مستفعلن ، مستفعلن ، فاعلن   مستفعلن ، مستفعلن ، فاعلان

الضرب المكسوف المطوي اللازم الثاني

لله دَرُّ البَيْنِ ما يَفعلُ ، يَقتلُ مَن شاء ، ولا يُقتَلُ
بانُوا بمَن أهواه ، في ليلةٍ ، ردّ على آخرها الأوّلُ[3]
يا طُولَ ليل المُبتلى بالهَوى ، وصبْحُهُ ، من ليله ، أطولُ
فالدارُ ، قد ذكّرني رسمُها ما كِدتُ ، عن تَذكاره ، أذهلُ
هاج الهوى رسمٌ بذات الغضى ، مخلولِقٌ مُستعجمٌ مُحْوِلُ[4]

تقطيعه :

مستفعلن ، مستفعلن ، فاعلن   مستفعلن ، مستفعلن ، فاعلن

---

١ القميص : اي قميص يوسف التي جاؤوا بها ابام يعقوب مدّعين ان الذئب افترسه .
٢ محيص : مهرب .
٣ رد على آخرها الاول : كناية عن طولها .
٤ محول : مرت عليه احوال ، سنون .

الضرب الاصلم السالم

قلبي رهينٌ بين أضلاعي ، من بين إيناسٍ وإطماعِ
من حيثُ ما يدعوه داعي الهوى أجابه : لبَّيكَ من داعي
مَن لِسَقيمٍ ، ما له عائدٌ ، ومَيِّتٍ ، ليس له ناعي؟
لمّا رأتْ عاذلتي ما رأتْ ، وكان لي ، من سمعها ، واعي
قالت ، ولم تَقْصد لِقيل الخَنى : مَهْلًا لقد أبلغتَ أسماعي[1]

تقطيعه :

مستفعلن ، مستفعلن ، فاعلن مستفعلن ، مستفعلن ، فعلن

العروض المخبول المكسوف

ضربه مثله

شمسٌ تجلّت تحت ثوب ظُلَمْ ،
سقيمةُ الطَّرف ، بغير سَقَمْ

ضاقت عليّ الأرضُ مُذ صَرَّمت
حَبلي ، فما فيها مكانُ قَدم

شمسٌ وأقمارٌ ، يطوف بها
طوْفَ النَّصارى حول بيتِ صَنَم

١ الخنى : الفحش . البيت لأبي قيس بن الأسلت .

النَّشر مِسكٌ ، والوُجوه دنانيرٌ ،
وأطراف الأكفّ عَنَمُ[1]

تقطيعه :

مستفعلن ، مستفعلن ، فعلن · مستفعلن ، مستفعلن ، فعلن

الضرب الاصلم السالم

أنتَ بِما في نفسِهِ أعْلَمْ ،
فاحكُم بما أحببتَ أن تَحكُمْ

ألحاظُهُ في الحُبِّ قد هتّكت
مَكْنومَـهُ ، والحُبُّ لا يُكْتَم

يا مُقلةٌ وحشيَّةٌ قَتلت
نفساً ، بلا نَفسٍ ، ولم تَظْلِم

قالت : تسلَّيت ، فقلتُ لها :
ما بالُ قَلبي هائمٌ ، مُغْرَم ؟

يا أيها الزّاري على عُمَرٍ ،
قد قلتَ فيه غيرَ ما تَعلَم[2]

---

[1] العنم : شجرة حجازية لها زهرة حمراء يشبه بها البنان المخضب . والبيت للمرقش .

[2] الزاري ، من زرى عليه : عابه .

تقطيعه :

مستفعلن ، مستفعلن ، فعلن   مستفعلن ، مستفعلن ، فعلن

العروض المشطور الموقوف الممنوع من الطي

ضربه مثله

خَلَّيْتُ قلبي في يدَيْ ذات الخالْ ،
مُصفَّداً ، مُقيَّداً في الأغلالْ

قد قُلْتُ للباكي رسومَ الأطلال :
يا صاحِ ما هاجَكَ من رَبعٍ خال ؟

تقطيعه :

مستفعلن ، مستفعلن ، مفعولان

العروض المشطور المكسوف الممنوع من الطي

ضربه مثله

ويحي قتيلاً ، ما لَه من عَقْلٍ ،
بشادنٍ يَهتزّ مثلَ النَّصلِ

مُكَحَّلٍ ، ما مَسَّه من كُحلٍ ،
لا تَعذُلاني ، إنني في شُغْل

يا صاحبَيْ رَحْلي أقلاَّ عَذْلي

تقطيعه :

مستفعلن ، مستفعلن ، مفعولن

*

ويجوز في السريع من الزحاف : الخبن والطي والخبل . فالخبن فيه حَسن ، والطي صالح ، والخبل فيه قبيح .

ويدخله من العلل: الكسف والوقف والصلم. فالمكسوف: ما ذهب سابعه المتحرك. والموقوف: ما سكن سابعه. والأصلم: ما ذهب من آخره وتد مفروق . والمشطور : ما ذهب شطره.

شطر المنسرح

المنسرح له ثلاثة أعاريض وثلاثة ضروب :

فالعروض الأول ممنوع من الخبل ، له ضرب مطوي .

والعروض الثاني منهوك موقوف ممنوع من الطي ، له ضرب مثله .

والعروض الثالث منهوك مكسوف ممنوع من الطي ، له ضرب مثله .

العروض الممنوع الخبل

الضرب المطوي

بَيْضاءُ مَضْمومةٌ ، مُقرطقةٌ ،
يَنْقَدُّ عن نَهدِها قَراطِقُها[1]

كأنما بات ناعماً ، جَذِلاً ،
في جَنّةِ الخُلْد ، مَن يُعانقها

وأيّ شيءٍ ألذُّ مِن أملٍ ،
نالتْه مَعْشوقةٌ وعاشِقُها ؟

---

١ مضمومة : مجموعة . مقرطقة : لابسة القرطق ، وهو قباء ذو طاق واحد .

دَعْني أمُتْ من هوى مُخدَّرة ،
تُعلِقُ نفسي بها عَلائقُها[1]

مَن لم يَمُتْ غِبطةً يَمُتْ هَرَماً ؛
الموتُ كأسٌ ، والمرء ذائقها[2]

تقطيعه :

مستفعلن ، مفعولات ، مستفعلن مستفعلن ، مفعولات ، مفتعلن

العروض المنهوك الموقوف الممنوع من الطي

ضربه مثله

أقصرتُ بعضَ الإقصارْ ، عن شادنٍ نائي الدارْ
صَبَّرني لمّا سارْ ، ولم أكُن بالصبّار
وقالَ لي باستعبار : صبراً بني عبد الدّار[3]

تقطيعه :

مستفعلن ، مفعولات

---

١ المخدرة : التي تلازم خدرها .
٢ البيت لأمية بن ابي الصلت .
٣ البيت لهند بنت عتبة قالته يوم أحد تخاطب به بني عبد الدار .

العروض المنهوك المكسوف الممنوع من الطي

ضربه مثله

عاضَتْ بوصلٍ صَدّا ، تُريد قتلي عَمْــدا
لمَّـــا رأتني فَردا ، أبكي وألقى جَهْــدا
قالت ، وأبدتْ دُرّاً : وَيلُمّ سَعْدٍ سَعْــدا[١]

تقطيعه :

مستفعلن ، مفعولن

*

يجوز في المُنسرح من الزحاف : الخبن والطي والخبل . فالخبن فيه حسن ، والطي فيه صالح ، والخبل فيه قبيح .

ويدخله من العللِ : الوقف والكسف . وقد فسرناهما في السريع .

والمنهوك : ما ذهب شطره ، ثم ذهب منه شطر بعد الشطر .

---

١ قالت هذا ام سعد بنت معاذ لما قتل ابنها .

شطر الخفيف

الخفيف له ثلاثة أعاريض وخمسة ضروب .

فالعروض الأول منه تام ، له ضربان : ضرب يجوز فيه التشعيث ، وضرب محذوف يجوز فيه الخبن .

والعروض الثاني جائز فيه الخبن ، له ضرب مثله .

والعروض الثالث مجزوء ، له ضربان : ضرب مثله مجزوء ، وضرب مجزوء مقصور مخبون .

العروض التام الضرب التام الجائز فيه التشعيث

أنت دائي ، وفي يديك دوائي ،
يا شفائي من الجوى ، وبلائي

إنّ قلبي ، يحُبّ من لا أسمّي ،
في عَناء ، أعظِم به من عَناءِ

كيفَ ، لا ، كَيف أن ألذّ بعيش ،
مات صَبري به ، وماتَ عزائي

أيها اللائمون ، ماذا عليكم
أنْ تَعيشوا ، وأن أموتَ بدائي؟

لَيسَ مَن ماتَ، فاستراحَ، بِمَيْتٍ؛
إنّمـا المَيْتُ ميّتُ الأحياءِ[1]

تقطيعه :

فاعلاتن، مستفعلن، فاعلاتن   فاعلاتن، متفعلن، مفعولن

الضرب المحذوف يجوز فيه الخبن

ذاتُ دَلٍّ، وِشاحُهـا قَلِقٌ،
مِن ضُمورٍ، وحِجْلُها شَرِقُ[2]

بَزّتِ الشمسَ نورَهـا، وحَباها،
لَحْظَ عينيـه، شادنٌ خَرِقُ[3]

ذَهَبٌ خَدُّها، يَذوبُ حَياءً،
وسِوى ذاكَ كُلُّـه وَرِقُ[4]

---

١ البيت لعدي بن الرعلاء الغساني .
٢ الوشاح : شبه قلادة من جلد عريض يرصّع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وخصرها . قلق : اي لا يثبت لضمورها . شرق : غاص ، اي ان خلخالها يغص بلحم ساقها .
٣ خرق : ضعيف .
٤ الورق : اراد انه من فضة .

إن أمُتْ ميتةَ المُحبِّين، وَجْداً،
وفؤادي مِن الهوى حَرِق

فالمنَايا من بين غادٍ وسارٍ،
كُلُّ حَيٍّ بِرَهْنِها غَلِق[1]

التقطيع :

فاعلاتن، مستفعلن، فاعلاتن   فاعلاتن، متفعلن، فعلن

العروض المحذوف الجائز فيه الخبن

ضربه مثله

يا غليلاً، كالنَّار في كَبِدي،   واغتراب الفؤاد عن جَسَدي
وجُفوناً تذْري الدموعَ أسىً،   وتَبيعُ الرُّقاد بالسُّهُدِ[2]
ليتَ مَن شفَّني هواه رأى   زفَراتِ الهوى على كبِدي[3]
غادةٌ، نازحٌ محلَّتُها،   وكَلَتْني بلوعةِ الكَمَدِ[4]
ربَّ خَرْقٍ، من دونها، قُذُفٌ،   ما به غيرَ الجِنِّ من أحدِ[5]

---

١ رهنها غلق : اي لا يستطيع فكه الراهن .
٢ السهد : السهر .
٣ شفني : اسقمني .
٤ نازح محلتها : بعيدة دارها .
٥ الخرق : الارض الواسعة تنخرق فيها الرياح . قذف : يتقاذف بمن يسلكه .

تقطيعه :

فاعلاتن ، مستفعلن ، فعلن فاعلاتن ، مستفعلن ، فعلن

العروض المجزوء الضرب المجزوء

ما لليلى تبدّلتْ بعدنا وُدّ غيرِنا
أرهقتْنا ملامةٌ بعد إيضاح عُذرنا
فسلَونا عن ذِكرها، وتسلّت عن ذِكرنا
لم نقل ، إذ تحرّمت ، واستحلّت بهجرنا
ليت شعري، ماذا ترى أمُّ عمرو في أمرنا

تقطيعه :

فاعلاتن ، مستفعلن فاعلاتن ، مستفعلن

الضرب المجزوء المقصور المخبون

أشرقت لي بُدُورُ، في ظلامٍ ، تُنيرُ
طار قلبي بحُبّها ، مَن لقلبٍ يَطيرُ؟
يا بُدُوراً ، أنا بها ، الـ دّهرَ ، عانٍ أسيرُ
إنْ رضيتُم بأن أمو ت ، فموتي حقيرُ
كلُّ خطبٍ ، إن لم تكو نوا غضبتم ، يسيرُ

تقطيعه :

فاعلاتن ، مستفعلن فاعلاتن ، فعولن

*

يجوز في الخفيف من الزحاف : الخبن والكف والشكل . فالخبن فيه حسن ، والكف فيه صالح ، والشكل فيه قبيح .

ويدخله التعاقب بين السببين المتقابلين من مستفعلن وفاعلاتن لا يسقطان معاً ، وقد يثبتان . وذلك أن وتد مستفع لن في الخفيف والمجتث كله مفروق في وسط الجزء. وقد بيّنا التعاقب في المديد .

ويدخله من العلل : التشعيث والحذف والقصر. وقد بيّنا المحذوف والمقصور . وأما التشعيث ، فهو دخول القطع في الوتد من فاعلاتن التي من الضرب الأول من الخفيف فيعود مفعولن .

شطر المضارع

المُضارع له عروض واحد مجزوء ممنوع من القبض، وضرب مجزوء ممنوع من القبض مثل عروضه ، وهو :

أرى للصِّبا وَداعًا ، وما يذكرُ اجتماعًا
كأنْ لم يكن جديراً بحِفْظ الذي أضاعا
ولم يُصبنا سُروراً ، ولم يُلْهِنا سمَاعا
فجدِّد وصالَ صَبٍّ ، متى تَعْصِه أطاعا
إن تَدْنُ منه شِبْراً، يُقرِّبْك منه باعا

تقطيعه :

مفاعيلن ، فاعلاتن مفاعيلن ، فاعلاتن

*

يجوز في حشو المضارع من الزحاف : القبض والكف في مفاعيلن ، ولا يجتمعان فيه لعلّة التراقب . ولا يخلو من واحد منهما . وقد فسرنا التراقب مع التعاقب .

ويدخله في فاعلاتن الكف . فأما القبض ، فهو ممنوع منه وتد فاع لاتن في المضارع، لأنه مفروق وهو فاع . والتراقب في المضارع بين السببين من مفاعيلن في الياء والنون لا يثبتان معاً ولا يسقطان معاً ، وهو في المقتضب بين الفاء والواو من مفعولات .

شطر المقتضب

المقتضب له عروض واحد مجزوء مطوي وضرب مثل عروضه ، وهو :

يا مليحةَ الدَّعَجِ ، هل لديك من فَرَجِ ؟
أم تُراكِ قاتلتي ، بالدَّلال والغَنَجِ ؟
من لحُسنِ وَجهكِ من سوء فِعلكِ السَّمِجِ ؟
عاذليَّ ، حَسبكما ؛ قد غرقتُ في لُجَجِ
هل عليَّ ، وَيحكُما ، إن هَوِيتُ من حَرجِ ؟

تقطيعه :

فاعلاتن ، مفتعلن. فاعلاتن ، مُفتعلن

*

يدخل التراقب في أول البيت في السببين المتقابلين ، على حسب ما ذكرناه في المضارع .

شطر المجتث

له عروض واحد مجزوء

ضربه مثله

وشادنٍ ذي دَلالٍ، مُعصَّبٍ بالجمالِ
يَضَنُّ أنْ يَحتويه، معي، ظلامُ الليالي
أو يلتقي، في منامي، خيالُه معْ خيالي
غُصنٌ، نَما فوقَ دِعْص، يختالُ كُلَّ اختيال
البطنُ منها خَميص، والوَجهُ مثلُ الهلال[1]

تقطيعه :

مستفع لن ، فاعلاتن مستفع لن ، فاعلاتن

*

يجوز في المجتث : الزحاف والخبن والكف والشكل . فالخبن فيه حسن ، والكف فيه صالح ، والشكل فيه قبيح . ويدخله التعاقب بين السببين المتقابلين من مستفع لن وفاعلاتن على حسب ما يدخل الخفيف ، وذلك لأن وتد مستفع لن في المجتث مفروق ، كما هو في الخفيف مفروق ، وذلك يقع .

---

١ الخميص : الضامر .

شطر المتقارب

المتقارب له عروضان وخمسة أضرب .

فالعروض الأول منهما تام يجوز فيه الحذف والقصر . له أربعة ضروب : ضرب تام مثل عروضه ، وضرب مقصور ، وضرب محذوف معتمد ، وضرب أبتر .

والعروض الثاني مجزوه محذوف معتمد ، له ضرب مثله معتمد .

العروض التام الجائز فيه الحذف والقصر

الضرب التام

حالَ عن العَهد لمّا أحالا ،
وزال الأحبّةُ عنه ، فزالا

محلٌ تحلُّ عُراها السّحابُ ،
وتَحكي الجَنوبُ عليه الشّمالا[١]

---

١ تحل عراها السحاب : اي ترسل مطرها .

فيا صاحِ ، هذا مَقامُ المُحبّ ،
ورَبعُ الحَبيب ، فَحُطّ الرّحالا

سَل الرّبع عن ساكِنيه ، فإني
خَرِستُ ، فما أستطيع السّؤالا

ولا تُعْجِلَنّي ، هَداكَ المليكُ ،
فإنّ ، لكُلّ مَقامٍ ، مقالا

تقطيعه :

فعولن ، فعولن ، فعولن ، فعولن
فعولن ، فعولن ، فعولن ، فعولن

الضرب المقصور

فؤادي رَميْتَ ، وعَقْلي سَبَيْتَ ،
ودَمْعي مَرَيْتَ ، ونَوْمي نَفَيْتَ[1]

يَصُدُّ اصطباري ، إذا ما صَدَدت ،
ويَنأى عَزائي ، إذا ما نأيت

عَزَمتُ عليك بمَجرى الوِشاح ،
وما تحت ذلك مما كَنَيْتَ

---

[1] مريت : ادرَرتَ ، استخرجت .

وتُفّاحِ خَدٍّ ، ورُمّانِ صَدْرٍ ،
ومَجناهما خيرُ شيءٍ جَنَيْتُ

مُجَدَّدُ وصلاً ، عفا رسمهُ ،
فمثلُكَ لمّا بدا لي بَنَيْتُ

على رَسْمِ دارٍ قِفارٍ وَقَفْتُ ،
ومِن ذكرِ عهد الحبيب بَكَيْتُ

تقطيعه :

فعولن ، فعولن ، فعولن ، فعولن
فعولن ، فعولن ، فعولن ، فعولن

الضرب المحذوف المعتمد

أيا ويحَ نفسي ، وويلَ امّها ،
لِما لَقِيَتْ مِن جوًى هَمّها

فديتُ التي قَتَلَتْ مُهجتي ،
ولم تَتّقِ اللهَ في دَمّها

أغضُّ الجفونَ ، إذا ما بَدَتْ ،
وأكني ، إذا قيل لي سَمّها

اداري العيونَ ، وأخشى الرّقيب ،
وأرْصُــدُ غَفْلَـةَ قَيِّمِهـا[1]

سبَتْـني بِجِيـدٍ وخَـدٍّ ونَحر ،
غَــداةَ رمَتْني بأسهمِها

تقطيعه :

فعولن ، فعولن ، فعولن ، فعل
فعولن ، فعولن ، فعولن ، فعل

الضرب الابتر

لا تبكِ لَيْلى ، ولا مَيَّه ،
ولا تَنْدُبَنْ راكباً نِيَّه[2]

وبكِّ الصِّبا ، إذ طوى ثوْبه ،
فـلا أحـدٌ ناشِرٌ طيَّـه

ولا القلبُ ناسٍ لما قد مَضى ،
ولا تاركٌ أبداً غَيَّه

---

١ قيمها : الذي يقوم بأمرها .
٢ راكباً نيه : اي قاصداً قصده .

وَدَعْ قولَ باكٍ على أرْسُمٍ ،
فليس الرُّسومُ بمَبكيَّه

خَليليَّ عوجا على رسمِ دارٍ ،
خَلَتْ من سُليمى ومن مَيَّه

تقطيعه :

فعولن ، فعولن ، فعولن ، فعولن
فعولن ، فعولن ، فعولن ، فع

العروض المجزوء المحذوف المعتمد

ضربه مثله

أأحرمُ منكَ الرِّضا ، وتذكرُ ما قد مَضى
وتُعرِضُ عن هائمٍ ، أبى عنكَ أن يُعرِضا
قَضى الله بالحُبِّ لي ، فصبراً على ما قَضى
رميتَ فؤادي ، فما تركتَ به مَنْهضا
فقَوْسُكَ شِريانُهُ ، ونَبْلُك جمرُ الغَضا

تقطيعه :

فعولن ، فعولن ، فعل فعولن ، فعولن ، فعل

*

يجوز في المتقارب من الزحاف : القبض ، وهو فيه حسن. ويدخله الخرم في الابتداء ، على حسب ما يدخل الطويل .

وقد أكملنا في هذا الجزء مختصر المثال في ثلاث وستين قطعة ، وهي عدد ضروب العروض ، والتزمنا فيها ذكر الزحاف والعلل التي يقوم ذكرها في الجزء الأول الذي اختصرنا فيه فرش العروض ، ليكون هذا الكتاب مكتفياً بنفسه ، لمن قد تأدى إليه معرفةُ الأسباب والأوتاد ومواضعها من الأجزاء الثمانية التي ذكرناها في مختصر الفرش .

واحتجنا بعد هذا الى اختلاف الأبيات التي استشهد بها الخليل في كتابه ، لتكون حجة لمن نظر في كتابنا هذا . فاجتلبنا جملة الأبيات السالمة والمعتلة ، وما لكل شطر منها .

أبيات الطويل

العروض المقبوض الضرب السالم

أبا مُنذرٍ، أفنيتَ، فاستبْقِ بعضَنا،
حَنانَيْكَ! بعضُ الشرِّ أهونُ من بعضِ

ضرب مقبوض

ستُبْدي لكَ الأيامُ ما كنتَ جاهلاً،
ويأتيكَ بالأخبارِ من لم تُزَوِّدِ

أثلم مكفوف

شاقَتْكَ أحداجُ سُليمَى بعاقلٍ،
فعيناكَ، للبَينِ، تَجُودانِ بالدَّمعِ

اثرم

هاجكَ رَبْعٌ دارِسٌ، باللِّوى،
لأسماءَ عفّى المُزْنُ والقَطْرُ

محذوف معتمد

وما كلُّ ذي لُبٍّ بمؤتيك نُصحَه،
وما كلُّ مؤتٍ نُصحَه بلَبيبِ

*

أقيموا بني النُّعمان عنّا صُدورَكم،
وإلا تُقيموا صاغرينَ الرؤوسا

●

أبيات المديد

عروض مجزوء . ضرب مجزوء

يا لَبكر ، انشُروا لي كُليباً ، يا لَبكر ، أينَ أينَ الفِرارُ ؟

ضرب مجزوء . مخبون صدر

ومتى ما يَعِ منكَ كلاماً ، يتكلّم فيُجبْكَ بعقْلِ

مكفوف عجز

لن يزالَ قومُنا مُخصبين ، صالحين ما اتّقوا ، واستقامُوا

مشكول عجز

لمن الدّيارُ غيّرهنّ كلُّ جَونِ المُزنِ داني الرّبابِ [1]

مشكول طرفاه

ليت شعري ، هل لنا ذاتَ يومٍ ، بجنونٍ فارغٍ من تَلاقِ ؟

---

١ المزن ، الواحدة مزنة : السحابة المطرة . الرباب : السحاب الأبيض ، او السحاب الذي تراه دون السحاب الأعلى .

العروض المحذوف ، اللازم الثاني

الضرب المقصور ، اللازم الثاني

لا يضُرّنّ امرأً عيشُـــه ، كلُّ عيشٍ صائرٌ للزوال

الضرب المحذوف ، اللازم الثاني

اعلموا أنّي لكم حافظٌ ، شاهداً ما كنتُ أو غائبَا

الضرب الابتر ، اللازم الثاني

إنما الذّلفاء ياقوتـــةٌ ، أخرجت من كيس دِهقانِ

العروض المحذوف المخبون

الضرب المحذوف المخبون

للفتى عقلٌ يَعيشُ بـه ، حيثُ تَهدي ساقَه قَدمُه

الضرب الابتر

رُبّ نارٍ بتُّ أرمُقها ، تَقضمُ الهنديّ والغارا

أبيات البسيط

العروض المخبون ، الضرب المخبون

يا حارِ ، لا أُرمَيَنْ منكم بداهيةٍ ،
لم يَلْقَها سوقةٌ ، قبلي، ولا مَلِكُ

مخبون

لقد خلت ضُروفها عجبٌ ،
فأحدثت عِبَراً وأعقبت دُوَلا

مطوي

ارتحلوا ، غُدوةً ، وانطلقوا ، بُكَرا ،
في زُمَرٍ منهمُ تتبعها زُمَرُ

الضرب المقطوع ، اللازم الثاني

قد أشهدُ الغارةَ الشّعواء ، تَحملني
جرداءُ مَعْروقةُ اللّحيَين سُرحوبُ[1]

*

---

١ المعروقة : القليلة اللحم . السرحوب : الطويلة .

والخيرُ والشرُّ مقرونان في قَرَنٍ ،
فالخيرُ مُتَّبَعٌ ، والشرُّ محذورُ

العروض المجزوء

الضرب المذال

إنّا ذَمَمْنا على ما خَيَّلَت   سَعْدَ بن زَيدٍ وعَمراً من تميم

مخبون

قد جاءكم أنكم ، يوماً ، إذا   فارقتمُ الموتَ ، سوف تُبعثون

مطوي

يا صاحِ ، قد أخلفت أسماء ما   كانت تمنيك، من حُسن الوِصال

الضرب المحذوف

ماذا وُقوفي على رَبعٍ خلا ،   مُخلولِقٍ دارسٍ مُعجمٍ

مخبون

إنني لَمُثنٍ عليها ، استمعوا،   فيها خصالٌ تُعَدُّ أربعُ

مطوي

تلقى الهوى عن بني صادقٍ ،   نفسي فِداهُ ، وأمّي ، وأبي

الضرب المقطوع الممنوع من الطي

سيروا معاً ، إنما ميعادُكم ، يومُ الثلاثاءِ ، ببطن الوادي

*

قلت استجيبي، فلمّا لم تُجب، سالت دُموعي على ردائي

العروض المقطوع الممنوع من الطي

ما هَيَّج الشوقَ من أطلال، أضحت قِفاراً كوَحْي الواحي

ابيات الوافر

العروض المقطوف الضرب المقطوف

لنا غنمٌ ، نسوِّقها ، غزارٌ ، كأنَّ قرون جِلّتِها العِصيّ[1]

*

إذا لم تَستطع شيئاً ، فدَعْه ، وجاوِزْه إلى ما تستطيعُ

*

معقول

منازلُ ، لفَرتَنى ، قِفار ، كأنما رسومُها سُطورُ[2]

اعصب

إذا نَزل الشتاء بدارِ قومٍ ، تجنَّب جارَ بيتِهم الشتاءُ

اقصم

ما قالوا لنا سَيِّداً ، ولكن تفاحشَ قولُهم ، فأتوا بهُجْرِ

---

١ جلتها : المسنّة منها .

٢ فرتنى : اسم امرأة .

اجم

وإنكَ خيرُ من رَكبَ المَطايا، واكرمُهم أباً وأخاً ونفسا

العروض المجزوء الممنوع من العقل

ضربه مثله

لقد علمتْ ربيعةُ أنْ حَبلَكَ واهنٌ خلَقُ

*

أهاجكَ منزلٌ أقوَى، وغيَّر آيَـه الغِبَرُ ؟

الضرب المعصوب

عجبتُ لمعشرٍ عدلوا ، بمُعتمِرٍ، أبا عَمْرِو

أبيات الكامل

العروض التام الضرب التام

وإذا صحوتُ فما اقصّر عن ندًى ،
وكما علمتِ شمائلي وتكرُّمي

المضمر

إني امرؤٌ من خيرِ عبسٍ منصبي ،
شَطْري ، وأحمي سائري بالمُنْصلِ

موقوص

يذُبُّ عن حَرِيمه بنَبلِه ، وسيفِه ، ورمحِه ، ويَحتمي[١]

مخزول

منزلةٌ صُمٌّ صَداها ، وعفا رسمُها ، إن سُئِلت لم تُجِبِ

---

١ يذب : يدافع .

الضرب المقطوع

ممنوع الا من الإضمار

وإذا دعونَكَ عمَّهنَّ، فإنه نسبٌ يَزيدك عندهنَّ خبالا

٭

وإذا افتقرتَ إلى الذخائر لم تجِد ذخراً يكونُ، كصالح الأعمال

الضرب الأحذ المضمر

لمن الديارُ برامَتين، فعاقلٌ درست، وغيَّر آيها القطرُ

العروض الأحذ السالم

الضرب الأحذ المضمر

لمن الدِّيارُ عفا معالمَها، هَطِلٌ أجشُّ، وبارحٌ تَرِبُ

الضرب الاحذ المضمر

ولأنت أشجعُ من أسامةَ، إذ دُعيت نَزالِ، ولُجَّ في الذعرِ[1]

العروض المجزوء

الضرب المرفل

ولقد سبقتَهمُ إليَّ فلِمْ نزَعتَ، وأنت آخِرُ؟

---

١ أسامة : علم الاسد .

المضمر

وغررتَـني ، وزعمتَ أنـ ـك لابنٌ ، في الصَّيف، تامر

موقوص

ذهبُوا الى أجـلٍ ، وكـُ ـلٌ مؤجّلٍ حيٍّ كذاهب

الضرب المذال

جَـدَثٌ يكون مقامُـه ، أبــداً ، بمُختلِفِ الرّياحِ

مضمر

وإذا اغتبطتُ ، أو ابتأسْـ ـتُ ، حمدتُ ربَّ العالمينَ

موقوص

كُتب الشقـاءُ عليهمـــا ، فهمـا له متيسّـرانِ

مخزول

جاوبتَ ، إذ دعـاكَ ، مُعالناً غـــير مُخافِ

الضرب المجزوء

وإذا افتقرتَ ، فلا تكُن مُتخشّعاً ، وتجمّـــلِ

مضمر

وإذا الهوى كَسَره الهُدى ، وأبى التُّقى ، فاعْصِ الهوى

موقوص

ولو أنها وُزِنَتْ شَمامُ بحِلْمِه ، شالَتْ لَـــه[1]

مخزول

خلطتْ مرارتهـــا بحـلاوةٍ كالعســـلِ

الضرب المقطوع الممنوع إلا من إضمار

وإذا همُ ذكروا الإسا ءةَ ، أكثروا الحسنات

مضمر

وأبو الحُليسِ ، وربِّ مكةَ ، فارغٌ مَشْغول

---

١ شمام : جبل . شالت له : اي انه كان ارجح منها .

أبيات الهزج

العروض المجزوء الممنوع من القبض

ضربه مثله

الى هنـدٍ صبا قلـبي ، وهنـدٌ مثلها يُصـبي

مكفوف

فهــذانِ يَذودانِ ، وذا مِن كَثَبٍ يَرْمي

مقبوض

فقالت: لا تخف شيـئـا ، فما عنـدك من باسِ

أثرم

أعادُوا مـا استعاروه ، كذاكِ العيشُ عاريـه

اخرب

ولو كان أبو بِشْر أميراً ، ما رَضِيناه

أبتر

وفي الذين ماتـوا، وفيما جمعوا عِبـره

الضرب المحذوف

وما ظهـري ، لباغي الضـيم ، بالظهر الذلول

مثله

قتلنا سيـدَ الخزر ج ، سعدَ بن عُباده

أبيات الرجز

العروض التام

الضرب التام

دار لسلمى، إذ سُليمى جارةٌ، قَفْرٌ تَرى آياتِها مثلَ الزُّبُرْ

مخبون

وطالما ، وطالما ، سَقى بكفِّ خالِدٍ ، وأطْعَما

مطوي

فأرسَلَ المُهْرَ على آثارِهم، وهيّأ الرُّمحَ لطعنٍ، فطَعَنْ

مخبول

ما ولدتْ والدةٌ ، من وَلَدٍ ، أكرمَ من عَبدِ منافٍ حَسَبا

الضرب المقطوع الممنوع من الطي

القلبُ منها مُستريحٌ سالمٌ، والقلبُ منّي جاهدٌ مجهودُ

٭

لا خَيْرَ فيمن كفَّ عنا شرَّه ، إذ كان لا يُرجى ليوم خَيْرُه

العروض المجزوء

الضرب المجزوء

قد هاج قلبي منزلٌ ، من أمّ عمرٍو مُقْفِرُ

مخبول

مات الفَعال كُلُّه ، إذ مات عَبْدُ رَبِّه

مطوي

هل يَستوي عندَكَ مَن تَهوى ، ومَن لا تَمِقُهُ؟[1]

مخبول

لامَنَّكَ بنتُ مَطَرٍ ، ما أنتَ وابنةَ مَطَر

العروض المشطور

الضرب المشطور

ما هاج أحزاناً ، وشَجواً قد شَجا

*

---

[1] تمقه ، من ومقه : أحبّه .

إنَّكَ لا تَجني من الشَّوكِ العِنَب

مخبون

قد تَعلمون أنني ابنُ أختِكم

مطوي

ما كان من شيخك إلاَّ عملُه

مخبول

هلا سألت طللاً وخيا

مطوي العروض المنهوك

ياليتني فيها جَذَعْ، أخُبُّ فيها وأضعْ

مخبون

فارقت غيرَ وامقِ

مخبول

يا صاحِ ، فيما غضِبوا

أبيات الرمل

العروض المحذوف والجائز فيه الخبن

القرب المتمم

مثل سَحقِ البُردِ عفّى ، بعدَكَ ، القَطرُ
مغنَاه ، وتأويبُ الشَّمال[1]

مخبون صدر

وإذا رايةُ مَجدٍ رُفعتْ ، نَهض الصَّلتُ إليها ، فحَواه

مكفوف عجز

ليس كلُّ مَنْ أراد حاجةً ، ثم جَدَّ في طِلابها قَضاه

مشكول عجز

فَدعُوا أبا سعيد عامراً ، وعليكمْ أخاهُ ، فاضربوه

مشكول طرفان

إنّ سعداً بطلٌ مُمارسٌ ، صابرٌ ، مُحتسِب ، لِما اصابَه

---

١ السحق : الابلاء . البرد : الثوب .

الضرب المقصور

يابَني الصَّيداءِ رُدُّوا فَرَسي، إنّما يُفعل هـذا بالذليـل

*

أحمدت كِسْرى ، وأمسَى قيصرٌ ،
مُغلَقاً ، من دونه ، بابُ الحديد

الضرب المحذوف الجائز فيه الخبن

قالت الخَنساءُ ، لمّا جِئتُها : شابَ بعدي رأسُ هذا،واشتهب

مخبون

كيف ترجونَ سُقوطي ، بعدما لَفع الرأسَ مَشيبٌ وصَلَع؟[1]

الضرب المشبع

يا خليليّ اربعا فاستـ خبرا رسْماً بعُسفانِ

مخبون

واضحاتٌ فارسيّا تٌ ، وأدم عربيّات

الضرب المجزوء

مُقفِراتٌ،دارساتٌ، مثل آياتِ الزَّبور

---

[1] لفع : شمل ، غطّى .

الضرب المشبع

لانَ ، حتى لو مشى الذّ ــرُ عليه كادَ يُدْمِيهِ

الضرب المحذوف الجائز فيه الخبن

ما لِمَا قرّت به العيــ ـنانِ من هذا ثمن

مخبون

قلبُه عند الثريّا ، بائنٌ من جسده

أبيات السريع

قد يُدرك المُبطىء من حَظِّه ، والخيرُ قد يسبق جُهدَ الحريص

العروض المكفوف

المطوي اللازم الثاني

الضربُ الموقوف اللازم الثاني

أزمانَ سَلمى ، لا يَرى مثلَها الـ ـرّاؤون في شامٍ ، ولا في عِراق

مخبول

قالها ، وهو بها عارفٌ ، ويحك ، أمثالُ طَريفٍ قليل

مخبون

أرِدْ مِنَ الامور ما يَنبغي ، وما تُطيقه ، وما يَستقيم

الضرب المكسوف اللازم الثاني

لا تَكسع الشَّولَ بأغبارِها ، إنك لا تَدري مَن النّاتج[1]

*

هاج الهوى رسمٌ بذاتِ الغَضا ، مُخلولِقٌ ، مُستَعجِمٌ ، مُحوِل

---

[1] لا تكسع الشول بأغبارها : اي لا تترك للنوق بقية من ألبانها في أخلافها لاجل تغزيرها ، فانك لا تدري لمن يكون نتاجها . والناتج للابل كالقابلة للنساء .

الضرب الاصلم السالم

قالت ، ولم تقصِد لقيل الخنى: مهلاً ، فقد أبلغتَ أسماعي

الضرب المخبون المكسوف

النشر مسكٌ ، والوجوه دنا نير ، وأطرافُ الأكفِّ عنَمْ

*

يا أيها الزاري على عمرٍو ، قد قلتَ فيه غير ما تعلم

العروض المشطور الموقوف الممنوع من الطي

يا صاح ، ما هاجك من ربع خال ينضحن في حافاتِه بالأبوال

مخبون

لا بُدَّ منه ، فاحذرنْ ، وإنْ فتن

مشطور

يا صاحبيَّ رحلي أقِلا عذلي

مخبون

الضرب المشطور المكسوف الممنوع من الطي

يا ربِّ إن أخطأتُ أو نسيت

*

وبلدةٍ بعيدة النياطِ

أبيات المنسرح

العروض الممنوع من الخبل

الضرب المطوي

إنَّ ابنَ زيدٍ ما زالَ مُستعمِلاً للخيرِ، يُهدي، في مِصْرِه، العُرْفا

*

من لم يَمُتْ عَبْطةً يَمتْ هَرماً، الموتُ كأسٌ والمرءُ ذائِقها[1]

مثله

إنَّ سُمَيراً، أرى عَشيرتَه، قد حَدبوا دونه، وقد أنِفوا[2]

المطوي

منازلٌ عفاهنَّ، بذي الأراكِ، كلُّ وابلٍ مُسْبِلٍ، هَطِلِ

مخبون

في بَلَدٍ معروفةٍ سَمتُه، قَطَّعه عابرٌ على جَمَلِ

*

---

١ البيت لأمية بن أبي الصلت.

٢ سمير على هيئة التصغير: اسم رجل. حدبوا: تعطفوا.

مخبول

صبراً بني عبدِ الدار

العروض المنهوك المكسوف الممنوع من الطي

ضربه مثله

ويلُ امّ سعدٍ سعدا

ابيات الخفيف

العروض التام

الضرب التام الجائز فيه التشعيث *

حَلَّ أهلي بَطْنَ الغُميس ، فبادُوا
لي ، وحلَّتْ عُلويَّةً بالسِّخـال[1]

*

ليسَ من مات ، فاستراحَ ، بمَيْتٍ ؛
إنما الميتُ ميِّتُ الأحياءِ

مخبون صدر

وفؤادي، كعهدِه بسليمى ، بهوًى لم يَزُل ، ولم يتغيَّر

مكفوف عجز

وأقلُّ ما يظهر مِن هواكا ، ونحن نَستَنكِرُ حين يَبدو

*

---

* التشعيث : تحويل فاعلاتن الى مفعولن .

[1] البيت للاعشى .

مشكول عجز

إنّ قومي جَحاجحةٌ ، كرامٌ ، مُتقادمٌ مَجْدُهم ، أخيار[1]

مشكول طرفان

الضرب المحذوف الجائز فيه الخبن

إنْ قَدرنا، يوماً ، على عامر، نَمْتَثِل منه ، أو نَدَعه لكم

مخبون

ربّ خَرقٍ ،من دونها، قَذَفٍ ، ما به غيرُ الجِنّ من أحَد

العروض المجزوء

الضرب المجزوء

ليت شعري ، ماذا ترى أمُّ عَمرٍو في أمرِنا

مثله

اسلمي ، أمّ خالدٍ ! رُبّ ساعٍ لقاعدِ !

الضرب المقصور المخبون

كلُّ خَطبٍ ، إن لم تكونوا غَضِبتم ، يسيرْ

---

١ الجحاجحة : السادة المسارعون الى المكارم .

أبيات المضارع

العروض المجزوء الممنوع من القبض

وإن تَدْنُ منه شبراً ، يُقرِّبْكَ منه باعا

مقبوض

دعاني ، إلى سُعادٍ ، دَواعِي هَوى سُعادِ

أخوب

وقد رأيتُ مثلَ الرِّجالِ ، فما أرى مِثْل زيد

أشتر

قلنا لهم ، وقالوا ، كلٌّ له مَقالُ

أبيات المقتضب

العروض المجزوء المنطوي

الضرب المجزوء المنطوي

هل عليٌّ ، ويحكما ، إنْ لهوتُ من حَرجِ؟

مخبون

أعرضَتْ ، فلاحَ لها عارضان ، كالبرَدِ

أبيات المجتث

العروض المجزوء

البطن منها خَميصٌ ، والوجه مثلُ الهلال

الضرب المجزوء

ولو عَلِقْتَ بسَلمى ، علمتَ أنْ ستمُوتُ

*

أولئك خيرُ قومي ، إذا ذُكِرَ الخِيارُ

*

أنتَ الذي ولدَتْكَ أسْـ ـماءُ بنتُ الحُباب

أبيات المتقارب

العروض التام الجائز فيه الحذف والقصر

الضرب التام

فأمّـا تميمٌ ، تميم بن مُرٍّ ، فألفاهم القومُ رَوْبى نياما[1]

مثله

فلا تُعجلنّي ، هداكَ المليكُ ، فإنّ ، لكلّ مقام ، مقالا

مقبوض

أفادَ ، فجادَ ، وسادَ ، وزادَ ، وذادَ ، وعادَ ، وقادَ ، وأفضل

أثلم

رمينا قصاصاً ، وكانَ التّقاصُ حقّاً وعدلاً على المسلمينا

أثرم

قلتُ سداداً لمن جاءني ، فأحسنتُ قولاً ، وأحسنتُ رأيا

---

١ روبى : مختلطو النفوس .

مثل الأول

ولولا خِداشٌ أخذت دوا ب سعدٍ، ولم أعطِهِ ما عليها

الضرب المقصور

ويأوي إلى نسوةٍ بائساتٍ ، وشُعثٍ مَراضيع ،مثلَ السعالي

مثله

على رسم دارٍ قِفارٍ وقفتُ ،
ومِنْ ذِكْرِ عَهْدِ الحَبيب بكيتُ

مثله مقصور

الضرب المحذوف المعتمد

وأبني مِن الشّعرِ شِعراً عَويصاً ،
يُنسّي الرُّواةَ الذي قد رَوَوا

*

سَبتْني بخدٍّ وجيدٍ ونَحرٍ ، غَداةَ رمتْني بأسهمِها

الضرب الأبتر

غير معتمد الاعتماد في المتقارب

باثبات النون في فعولن التي قبل القافية

خليليَّ ، عوجا على رسمِ دارٍ ، خَلَتْ من سُليمى ، ومن مَيّه

مثله

صفيّةُ قُومي،ولا تَعجَزي ، وبكّي النّساءَ على حَمزةٍ[1]

الضرب المحذوف

أمن دِمنةٍ أقفرتْ ، لسَلمى ، بذات الغَضا

المجزوء المعتمد

ورُوحك في النّادي وتعلمُ ما في غد

•

١ صفية : بنت عبد المطلب ، عمة النبي محمد . حمزة : اخوها ، قتل يوم احد .

علل القوافي

القافية حرف الرويّ الذي يُبنى عليه الشعر ، ولا بد من تكريره فيكون في كل بيت .

والحروف التي تلزم حرف الروي أربعة : التأسيس ، والردف ، والوصل ، والخروج .

فأمّا التأسيس ، فألف يكون بينها وبين حرف الرويّ حرف متحرك بأيّ الحركات كان ؛ وبعض العرب يسمّيه الدخيل ، وذلك نحو قول الشاعر :

كِليني لهم يا أميمة ناصبِ

فالألف من ناصب ، تأسيس . والصاد ، دخيل . والباء ، روي . والياء المتولدة من كسرة الباء ، وصل .

أما الردف ، فإنه أحد حروف المد واللين ، وهيَ الياء والواو والألف . يدخل قبل حرف الرويّ . وحركة ما قبل الرّدف بالفتح ، إذا كان الرّدف ألفاً ، وبالضم إذا كان واواً ، وبالكسر إذا كان ياء . والأرداف ثلاثة : فردف يكون ألفاً

مفتوحاً ما قبلها . وردف يكون واواً مضموما ما قبلها .
وردف يكون ياء مكسوراً ما قبلها .

وقد تجتمع الياء والواو في شعر واحد، لأن الضمة والكسرة أختان ، كما قال الشاعر[1] :

أجارةَ بيتينا ، أبوكِ غيورُ ،
ومَيْسورُ ما يُرجَى ،لديك،عسيرُ

فجاء بغيور مع عسير ولا يجوز مع الألف غيرها ، كما قال الشاعر[2] :

بانَ الخليطُ ولو طُووِعتُ ما بانا

وجنس ثالث من الرّدف ، وهو أن يكون الحرفُ مفتوحاً، ويكون الرّدف ياء أو واواً ، نحو قول الشاعر :

كنتُ ، إذا ما جئتُه من غَيبِ ،
يَشَمُّ رأسي ، ويَشَمُّ جيبي[3]

وأما الوصل فهو إعراب القافية وإطلاقها .

---

١ أبو نواس .
٢ جرير .
٣ لخالد بن زهير الهذلي .

ولا تكون القافية مطلقةً، إلا بأربعة أحرف: ألف ساكنة مفتوح ما قبلها من الرويّ، وياء ساكنة مكسور ما قبلها من الرويّ، وهاء متحركة أو ساكنة مكنيّة.

ولا يكون شيء من حُروف المُعجم وصلاً غير هذه الأحرف الأربعة: الألف والواو والياء والهاء المكنيّة.

وإنما جاز لهذه أن تكون وصلاً ولم يجُز لغيرها من حروف المُعجم، لأنّ الألف والياء والواو حُروف إعراب ليست أصليّات، وإنما تتولد مع الإعراب؛ وتشبّهت الهاء بهنّ لأنها زائدة مثلهنّ. ووجدوها تكون خَلَفاً منهنّ في قولهم: أرقتُ الماء، وهَرَقت الماء؛ وأبا زيد، وهيا زيد. ونحو قول الشاعر:

قد جمعت من مُكُنٍ وأمكنه،
من هاهنا، وهاهنا، ومن هُنه

وهو يريد هنا، فجعل الهاء خلفاً من الألف.

وأمّا الخروج فإنّ هاء الوصل، إذا كانت متحرّكة بالفتح، تبعتْها ألف ساكنة، وإذا كانت متحركة بالكسر، تبعتها ياء ساكنة، وإذا كانت متحركة بالضم، تبعتها واو ساكنة. فهذه الألف والياء والواو يقال لها الخُروج.

وإذا كانت هاء الوصل ساكنة لم يكن لها خُروج ، نحو قول الشاعر :

ثارَ عَجَاجٌ مُستطيلٌ قسطلُهْ

وأمّا الحركات اللّوازم للقوافي فخمس ، وهي : الرس والحَذو والتّوجيه والمجرى والنّفاذ .

فأمّا الرّس ، ففتحةُ الحرف الثاني قبل التأسيس .

وأما الحذو ، ففتحة الحرف الذي قبل الرّدف أو ضمّته أو كسرته .

وأما التوجيه ، فهو ما وجّه الشاعرُ عليه قافيتَه ، من الفتح والضم والكسر ، يكون مع الرويّ المُطلق أو المقيّد ، إذا لم يكن في القافية رِدف ولا تأسيس .

وأما المجرى ، ففتحة حرف الروي المُطلق أو ضمّته أو كسرته .

وأما النفاذ ، فإنه فتحةُ هاء الوصل او كَسرتها أو ضمتها . ولا تجوز الفتحة مع الكسرة ، ولا الكسرة مع الضمة ، ولكن تنفرد كل حركة منها على حالها .

وقد يجتمع في القافية الواحدة الرّس ، والتأسيس ، والدخيل ،

والرويّ ، والمَجرى ، والوصل ، والنفاذ ، والخُروج ، كما قال الشاعر :

يُوشِكُ مَن فرّ من مَنِيّتِهِ ،
في بَعض غِرّاتِهِ يُوافِقُها

فحركة الواو : الرس ، والألف : تأسيس ، والفاء : دخيل ، والقاف : رَويّ ، وحركته المجرى ، والهاء : هاء الوصل ، وحركتها النفاذ ، والألف : الخروج . ونحو قول الشاعر :

عَفَتِ الديارُ مَحلُّها فمقامُها

فحركة القاف : الحذو ، والألف : الردف ، والميم : الروي ، وحركتها المجرى ، والهاء : وصل ، وحركتها النفاذ ، والألف : الخروج . وكل هذه الحروف والحركات لازمة للقافية .

باب

ما يجوز ان يكون تأسيساً وما لا يجوز ان يكون

إذا كانت ألف التأسيس في كلمة وكان حرف الرويّ في كلمة أخرى منفصلة عنها فليس بحرف تأسيس ، لانفصاله من حرف الرويّ وتباعده منه ، لأنّ بين حرف الرويّ والتأسيس حرفاً متحركاً . وليس كذلك الرّدف ؛ لأن الردف قريب من الرويّ ليس بينهما شيء ، فهو يجوز أن يكون في كلمة ويكون الرويّ في كلمة اخرى منفصلة عنها ، نحو قول الشاعر:

أتته الخلافةُ ، مُنقادةً   إليه ، تُجرِّرُ أذيالَها
فلم تكُ تَصلُحُ إلا لَه ؛   ولم يكُ يَصلُحُ إلا لها[١]

فألف : إلا ، رِدف . واللام ، حرف الرويّ ، وهي في كلمة منفصلة من الردف ، فجاز ذلك لقرب ما بين الرّدف والرويّ ، ولم يَجز في التأسيس ، لتباعده من الرويّ ، نحو قول الشاعر :

---

١ البيتان لأبي العتاهية في مدح المهدي .

فهنّ يَعْكفن بـه ، إذا حَجا ،
عَكْفَ النَّبيط يلعبون الفَنْزَجا[1]

فلم يجعلها تأسيساً لتباعدهـا عن الرويّ ، وانفصالها منـه . ومثله قول الراجز :

وطالمـا ، وطالمـا ، وطالمـا، غلبتُ عاداً ، وغلبتُ الأعجما

فلم يجعل الألف تأسيساً . وقد يجوز أن تكون تأسيساً إذا كان حرف الرويّ مضمراً ، كما قال زهير :

ألا ليتَ شِعري ، هل يَرى الناسُ ما أرى
مِنَ الأمر ، أو يَبدو لهم ما بدَا ليَا ؟

فجعل ألف بدا ليا تأسيساً ، وهي كلمة منفصلة من القافية لما كانت القافية في مُضمر . وكذلك قولُ الشاعر[2] :

وقد يَنْبُتُ المَرعى على دِمَنِ الثّرى ،
وتَبقى حَزازاتُ النُّفوس كما هيَا

وأما غلامك وسلامك في قافية فلا تكون الألف إلا تأسيساً، لأن الكاف التي هي حرف الرويّ لا تَنفصل من الغلام .

---

١ يعكفن به : يستدرن حوله . حجـا : وقف . الفنزج : رقص المجوس . والبيت للعجاج .
٢ هو زفر بن الحارث .

باب

ما يجوز أن يكون حرف روي وما لا يجوز أن يكون

اعلم أنّ حروف الوصل كُلّها لا يجوز أن تكون رويّاً ، لأنها دخلت على القوافي بعد تمامها ، فهي زوائد عليها ، ولأنها تَسقط في بعض الكلام. فإذا كان ما قبل حرف الوصل ساكناً فهو حرف الرويّ ، لأنه لا يكون ما قبل حرف الرويّ ساكناً، نحو قول الشاعر :

أصبحَتِ الدُّنيا ، لأربابِها ، مَلْهًى ، وأصبحتُ لها مَلْهى
كأنّني أُحرَم منها ، على قَدْرِ الذي نال أبي مِنها

وإذا حُرِّكت ياء الوصل أو واو الوصل جاز لها أن تكون رويّاً ، كما قال زهير :

ألا ليتَ شِعْري ، هل يَرى الناسُ ما أرى
مِنَ الأمرِ ، أو يَبْدو لهم ما بدا ليا

وقال عبدُ الله بنُ قيس الرقيّات :

إنّ الحوادثَ ، بالمدينة ، قد شيّبنَني ، وقرَعْنَ مَرْوَتِيَهْ[1]

---

١ قرعن مروتيه : نلن مني ونحتن من عزيمتي .

وكذلك الهاء من طلحة وحمزة وما أشبههما لا تكون روياً إلا أن تُطلق فتعود باءً ، فإذا كان ذلك فأنت فيها بالخيار ، إن شئت جعلتها روياً أو وصلاً لما قبلها . وجعلها أبو النجم روياً فقال :

أقولُ ، إذ جِئْنَ مُدبَّجاتِ :
ما أقربَ الموتَ من الحَياةِ

وكذلك التاء نحو اقشعرت واستهلت ، والكاف نحو مالكا وفعالكا ، فقد يجوز أن تكون روياً وقد يجوز أن تكون وصلاً. وإنما جاز أن تكون روياً لأنها أقوى من حرف الوصل ، وجاز أن تكون وصلاً لأنها دخلت على القوافي بعد تمامها . وقد جعلت الخنساء التاء وصلاً ولزمت ما قبلها ، فقالت :

أعينيَّ ، هلاّ تبكيان أخاكما ،
إذا الخيلُ ، من طول الوجيفِ ، اقشعرَّتِ

فلزمت الراء في الشعر كله وجعلت التاء صلةً . وقال آخر فجعل التاء روياً :

الحمدُ لله الذي استقلّتِ ، بإذنه ، السماءُ ، واطمأنّتِ

وقال حسّان فجعل الكاف روياً :

دعُوا فَلجات الشام ، قد حِيل بينها
بطَعنٍ ، كأفواه المَخاض الأوارِكِ [1]

بأيدي رجالٍ هاجروا نحوَ ربّهم ،
بأسيافِهم حقّاً وأيدي الملائك

ثم قال :

إذا سلكتْ بالرّمل منَ بطن عالجٍ ،
فقولا لها : ليس الطريقُ هنالِك

هنالك كافها زائدة ، تقول للرجل : هنالك ، وللمرأة :
هنالك .

وقال غيره :

أبا خالدٍ ، يا خيرَ أهل زمانِكا ،
لقد شَغَل الأفواهَ حسنُ فَعالكا

فجعل الكاف رويّاً . وقد يجوز ان تكون وصلاً ويلزم
ما قبلها .

---

١ فلجات ، الواحدة فلجة : الارض المشقوقة للزراعة . المخاض : النياق .
الأوارك : التي اكلت الاراك .

وكذلك فعالكم وسلامكم الميم الآخرة حرف الرويّ، كما قال الشاعر :

بنو أميّة قومٌ، من عَجيبهمُ أنّ المَنونَ عليهم، والمَنونُ هُمُ

الميم، حرف الرويّ. وقد جعلها بعضُ الشعراء وصلاً مع الهاء والكاف التي قبلها، لأنهما حرفا إضمار كالهاء والكاف، ولحقت الاسم بعد تمامه كما لحقت الهاء والكاف، في نحو قوله :

زُرْ والدَيْكَ، وقِفْ على قبرَيْهما،
فكأنني بكَ قد نُقلتَ إليهما

ومثله لأمية بن أبي الصَّلت :

لبيكُما، لبيكما، ها أنذا لَدَيْكُما

وأما النِّسبة مثل ياء قُرَشيّ وثقفي وما أشبه ذلك، إذا كانت خفيفةً فأنت فيها بالخيار، إن شئتَ جعلتها رويّاً وإن شئتَ وصلاً، نحو قول الشاعر[1] :

إني لمَن أنكرني ابنُ اليثربي،
قتلتُ عِلْباءَ وهِنْدَ الجَمَلي

---

[1] هو عمرو بن يثربي الضبي .

فجعل الياء الخفيفة رويّاً ، وإذا كانت النسبة مثقلة مثل قرشيّ وثقفي لم تكن إلا رويّاً .

وإذا قال شعراً على حصاها ورماها لم تكن الهاء الا حرف الرويّ .

ومن بنى شعراً على اهتدى فجعل الدال رويّاً جاز له أن يجعل مع ذلك أحمدا . وإن جعل الألف من اهتدى حرف الرويّ لم يجز معها أحمدا وجاز له معها بشرى وحبلى وعَصا وأفعى ، ومن ذلك قولُ الشاعر[1] :

داينتُ أروى ، والدُّيونُ تُقضى ،
فمطلَت بَعضاً ، وأدّت بعضا[2]

فلزم الضاد من تقضى وجعل الياء وصلاً ، فشبّهها بحرف المدّ الذي في القافية .

ومثله :

ولأنت تفْري ما خَلقت ،
وبعضُ القوم يَخلُق ثم لا يفْري[3]

---

١ هو رؤبة بن العجّاج .

٢ اروى : اسم امرأة . مطلت : اجّلت .

٣ تفري : تشق ، تقطع . والبيت لزهير بن ابي سلمى .

ومثله :

هجرتْك ، بعد تواصل ، دَعْـد ،
وَبدا ، لدَعْد ، بَعضُ ما يَبْدو

ويرمي ، مع يقضي جائز إذا كانت الياء حرف الرويّ ، لأنها من أصل الكلمة .

ومما لا يجوز أن يكون رويّاً الحروف المُضمرة كلها ؛ لدخولها على القوافي بعـــد تمامها ، مثل : اضربا ، واضربوا ، واضربي ؛ لان ألف اضربا لحقت اضرب ، وواو اضربوا لحقت اضرب ، وياء اضربي لحقت اضرب بعـد تمامها ، فلذلك كانت وصلاً ، لأنها زائدة مع هذا الفعل ، في نحو قول الشاعر :

لا يُبعـد الله جيراناً تركتُهم ،
لم أدرِ ، بعد غداةِ البَيْنِ ، ما صنعوا

ومثله :

يا دار عَبلة بالجـِواء تكلّمي
وعِمِي صباحاً ، دار عبلة ، واسلمي

فيجعل الياء وصلاً ، وبعضهم جعلها رويّاً على قُبح .

وأمّا ياء غلامي فهي أضعف من ياء اسلمي لأنها قد تُحذف في بعض المواضع ، تقول : هذا غلام ، تريد غلامي . وقالوا :

يا غلام أقبل ، في النداء ، ووا غلاماه ، فحذفوا الياء ، وبعضهم يجعلها روياً على ضعفها ، كما قال :

إني امرؤ ، أحمي ذمار إخوتي ،
إذا رأوا كريهة يرمون بي

ومثله :

اذا تغدّيت ، وطابت نفسي ،
فليس ، في الحيّ ، غلامٌ مثلي

قال الأخفش: وقد كان الخليل يُجيز إخواني مع أصحابي . ويأبى عليه العلماءُ ، ويحتجّ بقول الشاعر :

يازلُ عامَين، حديثُ سنّي ، لمثلِ هذا ولدتني أمّي

وحرف الإضمار اذا كان ساكناً كان ضعيفاً . فإذا تحرّك قوي وجاز أن يكون روياً ، كقول زُهير :

ألا ليت شعري، هل يَرى الناسُ ما أرى
منَ الأمر ، أو يَبْدو لهم ما بدا ليا

وإنما جاز للكاف أن تكون روياً ولم يجز ذلك للهاء، وكلاهما حرف إضمار ، لأن الكاف أقوى عندهم من الهاء وأثبت في الكلام . وإذا خاطبت المذكر والمؤنث لا تبدل صورتها كما

تُبدل الهاء ، في غلامه وغلامها . وإذا قلت : مررت بغلامك ، ورأيت غلامك ، فالكاف في حال واحدة ، والهاء مضطربة في قولك : رأيت غلامه ، ومررت بغلامه .

وإنما جاز فيها أن تكون وصلا أيضاً كما تكون الهاء ، لأنها تشبهت بالهاء إن كانت حرف إضمار كالهاء ، ودخلت على الاسم كدخول الهاء ، وكانت اسماً للحرف كما تكون الهاء ، وإنما خالفتها بالشيء اليسير .

وأما قولك : ارمه ، واغزه ، فلا تكون الهاء هاهنا روياً ، لأنها لحقت الاسم بعد تمامه ، ولأنها زوائد فيه ، وإنما دخلت لتبيّن الحركة من اغزه والميم من ارمه . وقد تدخل للوقف أيضاً .

واذا كانت الهاء أصلية لم تكن إلا روياً ، مثل قول الشاعر :

قالت أبيلى لي ، ولم أُسَبّهِ ، ما السنّ إلا غفلة المُدَلّهِ [1]

ومن بَنى شعراً على حيّ جاز له فيه طيّ وميّ ؛ لأن الياء الأولى من حي ليست بردف ، لأنها من حرف مثقل قد ذهب مدّه ولينه .

---

[1] أبيلى : اسم امرأة . لم أسبه : لم يذهب عقلي من الهرم . والبيت لرؤبة .

قال سيبويه : وإذا قال الشاعر : تعالَى أو تعالَوا ، لم تكن الياء والواو إلا رويّاً ؛ لأن ما قبلها انفتح . فلما صارت الحركة التي قبلها غير حركتهما ذهبت قوتهما في المد وأكثر لينهما .

وكذلك : اخشَيْ واخشوا . وكل ياء أو واو انفتح ما قبلها . وكذلك هذه الياء والواو إذا تحركتا لم تكونا إلا حرف روي ؛ لذهاب اللين والمد . وكذلك قوله : رأيت قاضياً وراميًا ، وأريد أن يغزو وتدعو ، في قافيتين من قصيدة .

وأما الميم من غلامهم وسلامهم فقد تكون رويّاً وقد تكون وصلاً ، ويلزم ما قبلها ؛ كما قال الشاعر :

يا قاتَلَ اللهُ عُصبةً ، شَهِدوا
خَيفَ مِنًى لي ، ما كان أشرَعَهم[1]

إن نزلوا ، لم يكُن لهم لَبَثٌ ،
أو رَحلوا ، أعجلوا مُوَدِّعَهم

لا غَفَر اللهُ للحجيج ، إذا
كان حَبيبي ، إذا نأوا ، معهم

---

١ الخيف : كل هبوط وارتفاع في سفح جبل ، وغرة بيضاء في الجبل الأسود الذي خلف ابي قبيس في مكة . منى : موضع في مكة .

فالعين هنا حرف الرويّ ، والهاء والميم صلة لحروف الإضمار كلها التي تقدّم ذكرها .

ولا يَحسن أن يكون روياً إلا ما كان منها مُحرّكاً، لأنّ المتحرك أقوى من الساكن، وذلك مثل ياء الإضافة التي ذكرنا، أو ما كان منها حرفاً قوياً مثل الكاف والميم والنون ، فإنها تكون روياً ، ساكنةً كانت أو متحركة ، وذلك مثلُ قول الشاعر :

قِفي لا يكُن هذا تعلّةَ وصْلِنا
لبَينٍ ، ولا ذا حَظّنا من نَوالكِ

ثم قال :

أبرّ وأوفى ذمّةً بعُهوده ،
إذا وُوزنت شُمّ الذُّرى بالحَوارِكِ[1]

وقال آخر :

قُل لمن يملك المُلو كَ ، وإن كان قد مُلِكْ
قد شرَيناك مرّةً، وبعثنا إليك بِك

---

١ الحوارك ، الواحد حارك : اعلى الكاهل ، ومنبت ادنى عرف الفرس الى الظهر الذي يأخذ به من يركبه .

وقال آخر في الميم :

رَفَوْني ، وقالوا: يا خُوَيلد لا تُرَع ،
فقلت ، وانكرتُ الوُجوه : هُمُ هم[١]

ولآخر :

نمت ، في الكِـرام بني عامرٍ ،
فُروعي ، وأصلي قُريش العجم

فهُمْ ليَ فخر ، إذا عُـدّدوا ،
كما أنا ، في النّـاس ، فَخْرٌ لهم[٢]

وقال آخر في النونِ :

طَرحتم من التَّرحال أمراً ، فَغَمَّنا ،
فلو قـد رحلتُم ، صبّح الموتُ بَعضَنـا

وقال آخر :

فهل يَمنعنّي ارتيادي البلا د، من حَذَر الموت،أن يأتين؟
أليس أخو المَوت مُستوثِقاً عليّ ،وإنْ قلتُ قد أُنسأن؟[٣]

---

١ رفوني : سكنوا روعي .
٢ البيتان لبشار بن برد يفتخر باهله .
٣ أنسأ : اؤجل .

وأما الهاء ، فقد أجمعوا ألاّ تكون رويّاً لضعفها ، إلا أن يكون ما قبلها ساكناً ، كما قد ذكرنا .

ومَن بَنى شعراً على اخشَوا جاز له معها : طغوا، وبغوا ، وعصوا ، فتكون الواو رويّاً لانفتاح ما قبلها وظهورها مع الفتح ، لأنها مع الضمة صلة ، ولا تكون هذه إلا رويّاً .

●

باب عيوب القوافي

السناد ، والإيطاء ، والإقواء ، والإكفاء ، والإجازة ، والتضمين ، والإصراف .

السناد على ثلاثة أوجه : فالوجه الأول منها اختلاف الحرف الذي قبل الرّدف بالفتح والكسر ، نحو قول الشاعر :

ألم تَرَ أنّ تَغْلِبَ أهلُ عِزٍّ ، جِبالُ مَعاقِلٍ ما يُرتَقينا
شَرِبنا ، من دِماء بني تَميم ، بأطراف القَنا ، حتى رَوينا

والوجه الثاني اختلافُ التوجيه في الرويّ المُقيَّد ، وهو اجتماع الفتحة التي قبل الرويّ مع الكسرة والضمة ، كهيئتها في الحَذْو ، وذلك كقوله :

وقاتمِ الأعماقِ خاوي المُخترَقْ[1]

ثم قال :

ألّفَ شتّى ، ليس بالرّاعي الحَمِقْ[2]

---

١ القاتم : المظلم . الخاوي : الخالي . المخترق: المكان تخترقه الرياح . وهو من قول رؤبة .

٢ شتى : متفرق . الحمق : القليل العقل ، او من لا عقل له .

ومثله :

تَميم بن مُرٍّ وأشياعُها ، وكِندةُ حَولي، جميعاً، صُبُر
إذا رَكبوا الخيلَ واستلأموا، تحرّقتِ الأرضُ واليوم قَرّ[1]

والوجه الثالث من السّناد أن يُدخل حرف الرّدف ثم يدعه، نحو قول الشاعر :

وبالطّوف نالا خيرَ ما أصبحا به ،
وما المرءُ إلا بالتقلّبِ والطّوْفِ

فِراقُ حبيبٍ وانتهاءٌ عن الهوى ،
فلا تَعذُليني ، قد بدا لك ما أُخفي

وأمّا القافية المطلقة فليس اختلاف التوجيه فيها سناداً .

وأما الإقواء والإكفاء فهما عند بعض العلماء شيء واحد، وبعضهم يجعل الاقواء في العروض خاصة دون الضرب ، ويجعلون الاكفاء والايطاء في الضرب دون العروض .

فالاقواء عندهم أن تنقص قوة العروض ، فيكون : مفعولن في الكامل ، ويكون في الضرب متفاعلن ، فيزيد العجز على

١ استلأموا : لبسوا الدروع . قر : بارد .

الصدر زيادة قبيحة . فيقال : أقوى في العروض ، أي أذهب قوته ، نحو قول الشاعر :

لمّا رأت ماء السّلى مَشروباً ،
والفَرثَ يُعصَرُ في الإناءِ أرَنّتِ [1]

ومثله :

أفبعد مَقتلِ مالك بن زُهيرٍ ،
ترجو النّساء عواقبَ الأطهارِ ؟ [2]

والخليل يُسمي هذا المُقعّر .

وزعم يونس أن الاكفاء عند العرب هو الاقواء . وبعضُهم يجعله تبديل القوافي ، مثل أن يأتي بالعين مع الغين ، لشبههما في الهجاء ، وبالدال مع الطاء ، لتقارب مخرجيهما ، ويحتج بقول الشاعر :

جارية من ضَبّةَ بنِ أدّ ،
كأنها في دِرْعِها المُنعط [3]

والخليل يُسمي هذا الاجازة .

---

١ السلى : جلدة فيها الولد من الناس والمواشي . الفرث : ما يوجد في الكرش من اقذار . ارنت : رفعت صوتها بالبكاء . والبيت للنابغة الذبياني .

٢ البيت للربيع بن زياد في مالك بن زهير العبسي .

٣ المنعط : المنشق .

وأبو عمرو يقول : الاقواء : اختلاف إعراب القوافي بالكسر ، والضم ، والفتح . وكذلك هو عند يونس وسيبويه .

والاجازة عند بعضهم اجتماع الفتح مع الضم أو الكسر في القافية . ولا تجوز الاجازة إلا فيما كان فيه الوصل هاءً ساكنة، نحو قول الشاعر :

الحمدُ لله ، الذي   يَعفو ، ويشتد انتقامُه
في كُرهِهم ورِضاهُمُ ،   لا يَستطيعون اهتضامَه

ومثله :

فديتُ من أنصفني في الهوى ،   حتى إذا أحكَمه ملَّه
أينما كنتُ ، ومَن ذا الذي ،   قبلي ، صَفا العيشُ له كُلُّه؟

والاكفاء : اختلاف القوافي بالكسر والضم ، عند جميع العلماء بالشعر ، إلا ما ذكر يونس .

واما المُضمَّن ، فهو أن لا تكون القافية مُستغنية عن البيت الذي يليها ، نحو قول الشاعر :

وهم وَردوا الجِفار على تميمٍ ،   وهم أصحابُ يوم عُكاظ إني
شهدتُ لهم مواطنَ صالحاتٍ ،   تُنْبِئْهم بودّ الصدر مني[1]

---

[1] البيتان للنابغة .

وهذا قبيح ، لأن البيت الأول متعلق بالبيت الثاني لا يستغني عنه ، وهو كثير في الشعر .

وأما الايطاء، وهو أحسن ما يُعاب به الشعر، فهو تكرير القوافي . وكلما تباعد الايطاء كان أحسن ، وليس في المعرفة مع النكرة إيطاء .

وكان الخليل يزعم أن كل ما اتفق لفظُه من الأسماء والأفعال وإن اختلف معناه ، فهو إيطاء ، لأنّ الايطاء عنده إنما هو ترديد اللفظتين المتفقتين من الجنس الواحد ، إذا قلت للرجل تخاطبه: أنت تضرب، وفي الحكاية عن المرأة: هي تضرب ، فهو إيطاء. وكذلك في قافية : أمر جلل ، وأنت تريد تعظيمه ، وهو في قافية أخرى جلل وانت تريد تهوينه ، فهو إيطاء . حتى إذا كان اسم مع فعل ، وإن اتفقا في الظاهر فليس بإيطاء ، مثل يزيد ، وهو اسمٌ ، ويزيد ، وهو فعل .

•

باب

ما يجوز في القافية من حروف اللين

اعلم أن القوافي التي تدخلها حروف المد ، وهي حروف اللين ، فهي كل قافية حُذف منها حرف ساكن وحركة ، فتقوم المَدة مقام ما حذف .

وهو من الطويل فعولن المحذوف ، ومن المديد فاعلان المقصور ، وفعلن الأبتر ، ومن البسيط فعلن المقطوع ، ومفعولن المقطوع .

فأما مستفعلان المذال ، فاختُلف فيه ، فأجازه قوم بغير حرف مد ، لأنه قد تم وزيد عليه حرف بعد تمامه . وألزمه قوم المد لالتقاء الساكنين ، وقالوا : المدة بين الساكنين تقوم مقام الحركة . وإجازته بغير حرف مد أحسن لتمامه .

وأما الوافر فلا يلزم شيء منه حرف مد .

وأما الكامل فيدخل فيه حرف اللين في فعلاتن المقطوع ، وفي متفاعلان المذال .

وأما الهزج فلا يلزمه حرف مد .

وأما الرجز فيلزم مفعولن منه المقطوع حرف المد .

وأما الرمل فيلزم فاعلان وحدها لالتقاء الساكنين .

وأما السريع فيلزم فاعلان الموقوف لالتقاء الساكنين . وكذلك مفعولان .

وأما المنسرح فيلزم مفعولات ، كما يلزم السريع .

وأما الخفيف فإنه يلزم فعولن المقصور ، وإن كان قد نقص منه حرفان ، وليس في المدة خلف من حرفين . ولكن لما نقص من الجزء حرف ، وهو سين مستفعلن ، قام ما تخلف بالمدة مقام ما نقص من آخر الجزء ، لأنه بعد المدة .

وأما المضارع والمقتضب والمجتث فليس فيها حرف مد لتمام أواخرها .

وأما المتقارب فألزموا فعول المقصور حرفَ المد لالتقاء الساكنين .

قال سيبويه : وكل هذه القوافي قد يجوز أن تكون بغير حرف المد ، لأن رويّها تامٌّ صحيح على مثل حاله بحرف المد ، وقد جاء مثلُ ذلك في أشعارهم ، ولكنه شاذٌّ قليل ، وأن يكون بحرف المد أحسن لكثرته ولزوم الشعراء إياه . ومما قيل بغير حرف مدّة :

وَلَقَدْ رَحَلْتُ العِيسَ، ثُمَّ زَجَرْتُهَا
قُدُماً، وقُلْتُ: عليكِ خيرَ مَعَدّ[1]

وقال آخر:

إنْ تَمْنَعِ النومَ النساءُ يُمْنَعَنْ

---

١ العيس: النياق.

ومن قولنا مقطعات

على تأليف حروف الهجاء وضروب العروض

الضرب الاول من الطويل

السالم

وأزهرَ ، كالعَيّوق ، يسعى بزَهراءِ ،
لنا منهما داءٌ وبُرءٌ مِنَ الدّاءِ [1]

ألا بأبي صُدْغٌ ، حَكى العينَ عِطْفُهُ ،
وشارِبُ مِسْكٍ قد حَكى عَطْفَةَ الرّاء [2]

فما السِّحرُ ما يُعزى إلى أرض بابلٍ ،
ولكنْ فُتورُ اللحظِ من طَرفِ حَوْراء [3]

وكَفٌّ أدارتْ مُذهَبَ اللونِ ، أصفراً ،
بِمُذْهَبَةٍ ، في راحةِ الكفِّ ، صفراء [4]

---

١ الازهر : المشرق الوجه . العيوق : نجم .
٢ الصدغ : الشعر ما بين الاذن والعين .
٣ يعزى : ينسب .
٤ مذهب اللون : اراد به الخمر . المذهبة : اي كأس مذهبة .

الضرب الثاني من الطويل

مقبوض

مُعذّبتي ، رِفقاً بقلبٍ مُعذّبِ ،
وإن كان يُرضيك العَذابُ ، فعذّبي

لَعمري ، لقد باعدْتِ غيرَ مُباعَدٍ ،
كما أنني قرّبت غيرَ مُقرّبِ

بنفسيَ بدرٌ أخملَ البدرَ نورُه ،
وشمسٌ متى تَطلع إلى الشّمس تَغربِ[1]

لو انّ امرأ القيس بنَ حُجْر بدتْ له
لما قال : مُرّا بي على أمّ جُندَبِ[2]

الضرب الثالث من الطويل

المحذوف المعتمد

مُحبٌّ طوى كَشْحاً على الزّفراتِ ،
وإنسانُ عَينٍ خاضَ في غمراتِ[3]

---

١ اخمل البدر : اخفى نوره .
٢ يشير الى بيت امرىء القيس :
خليليّ مرّا بي على ام جندبٍ لنقضي لبانات الفؤاد المعذب
٣ طوى كشحاً على الشيء : أضمره .

فيا مَن بِعَيْنَيه سَقامي وصحّتي ؛
ومَن في يَديه ميتَتي وحيـاتي

بحُبكَ عاشرتُ الهُمومَ ، صَبابـةً ،
كأنّي لهـا تِربٌ ، وهُنّ لِداتي

فخـدّيَ أرضٌ للدّموع ، ومُقْلتي
سمـاءٌ لهـا ، تَنْهلّ بالعَبَرات

الضرب الاول من المديد

وهو السالم

طلّق اللّهوَ فؤادي ثلاثاً ، لا ارتجاعَ لي بعد الثّلاثِ
وبياضٌ في سَواد عِذاري ، بدّل التّشبيبَ لي بالمَراثي
غير أني لا أطيق اصطباراً ، وأراني صابراً لانتكاثي[1]
بإناثٍ في صِفات ذُكورٍ ، وذكورٍ في صِفات إناثِ

الضرب الثاني من المديد

وهو المقصور اللازم الثاني

صَدعتْ قلبي صَدْعَ الزُجاجْ ، ما له من حيلة ، أو عِلاجْ
مزَجتْ روحيَ ألحاظُها بالهَوى ، فهو لروحي مِزاجْ

---

١ الانتكاث : نقض العهد .

يا قَضيباً فوقَ دِعْصٍ نقاً ؛ وكَثيباً تحتَ تِمثال عاجْ [1]
أنت نوري في ظلام الدُّجى ، وسِراجي عند فَقْدِ السِّراجْ

الضرب الثالث من المديد

وهو المحذوف اللازم الثاني

مُستهامٌ دَمعُهُ سابحٌ ، بين جَنْبيه هَوىً فادحْ [2]
كُلَّما أمَّ سَبيلَ الهُدى ، عاقه السانِح والبارحْ [3]
حَلَّ فيما بين أعدائه ، وهو عَن أحبابه نازحْ [4]
أيها القادِحُ نارَ الهوى ، أصْلِها ، يا أيُّها القادحْ [5]

الضرب الرابع من المديد

وهو المقطوع المحذوف

عادَ منها كُلُّ مطْبوخٍ ، غيرَ داذيٍّ ومَفْضوخِ [6]

---

١ الدعص : قطعة من الرمل مستديرة ، او الكثيب المجتمع منه والصغير . النقا : القطعة من الرمل تنقاد محدودبة .
٢ الفادح : الثقيل .
٣ السانح والبارح : أراد ما فيه يمن وما فيه شؤم .
٤ النازح : البعيد .
٥ القادح ، من قدح الزند : استخرج ناره . اصلها : اراد اشعلها .
٦ الداذي : نبت ، وقيل هو شيء له عنقود مستطيل ، وحبه على شكل حب الشعير ، يوضع منه مقدار رطل في الفرن فتعبق رائحته ويجود اسكاره. المفضوخ : شراب يتخذ من بسر ، ثمر ، مفضوخ ، مكسور .

واعتقد، مِن وُدّ أهل الحِمى، كُلَّ وُدٍّ، غير مَشدوخِ[1]
وانتشقْ ريّاك من مُلتقى شاربٍ بالمِسْكِ، مَلطوخِ
إنّ، في العلمِ وآثاره، ناسخاً من بعد مَنسوخِ

الضرب الخامس من المديد

وهو المحذوف المخبون

يا مُجيلَ الرُّوح في جَسدي، والذي يَفترُّ عن بَرَدِ
وفريدَ الحُسنِ، واحدَه، مُنتهاهُ مُنتهى العَدَدِ
خُذ بكفّي، إنني غَرِقٌ في بِحارٍ جمّةِ المَددِ[2]
ورياحُ الهَجرِ قد هَدَمَت ما أقامَ الوَصْلُ من أوَدي[3]

الضرب السادس من المديد

وهو الابتر

ذَكَرتْ من طيزَناباذِ، فَقُرى الكَرْخ ببغداذِ[4]
قَهوةٌ، ليست ببادقةٍ، لا ولا بِتْعٍ ولا داذي[5]

---

١ المشدوخ : المشقوق .
٢ المدد، من مد البحر : ارتفع ماؤه الى الشاطىء .
٣ الاود : العوج .
٤ طيزناباذ : موضع بين الكوفة والقادسية .
٥ الباذق : الخمر الحمراء . البتع : نبيذ يتخذ من عسل كأنه الخمر صلابة .

مُرّةٌ يَهذي الحَليمُ بها ، بأبي ذلك مِنْ هـاذي
فهيَ أستاذُ الشّرابِ بنا؛ والمعاني دأبُ أستاذي

الضرب الاول من البسيط

وهو المخبون

نُورٌ تَولّد من شمسٍ ومن قمرٍ ،
في طَرفهِ قَـدرٌ أمضَى من القَدرِ

أصلَى فُؤادي ، بلا ذنبٍ ، جوى حُرَقٍ ،
لم يُبقِ ، من مُهجتي ، شيئاً ولم يَذَرِ

لا والرَّحيقِ المُصفّى من مَراشفِهِ ،
ومـا بخدّيهِ من وَرْدٍ ومن طُررِ [1]

ما أنصفَ الحُبُّ قلبي في حُكومتهِ ،
ولا عَفا الشّوقُ عني عَفوَ مُقتَدرِ

---

[1] الطرر ، الواحدة طرة : ما يقطع للجارية في مقدمة ناصيتها ، الشعر الذي فوق جبينها .

الضرب الثاني من البسيط

وهو المقطوع

خرجتُ أجتاز قفراً ، غيرَ مُجتازِ ،
فصادني أشهلُ العينين ، كالبازي[1]

صقرٌ ، على كفّه صقرٌ يؤلّفهُ ،
ذا فوقَ بغْلٍ ، وهذا فوق قُفّاز[2]

كم موعِدٍ ليَ من ألحاظ مُقْلته ،
لو أنه موعِدٌ يُقضى بإنجازِ

أبكي ويَضحكُ مني طرفهُ ، هُزواً ؛
نفسي الفِداء لذاك الضاحك المازي

الضرب الثالث من البسيط

وهو المجزوء المذال

يا غُصناً مائساً ، بين الرّياطِ[3] ، ما لي بعدك بالعيش اغتباط
يا مَن ، إذا ما بدا لي ماشياً ، وددتُ أنّ له خدّي بِساط

١ الاشهل : من أشربت حدقته حمرة ، ليست بخطوط .
٢ القفاز : ما يلبس على الأيدي ويسميه العامة « الكفوف » .
٣ الرياط ، الواحدة ريطة : كل ملاءة ذات لفقين .

تَترُكُ عيناهُ مَن أبصرَهُ، مُختلطاً عقلُهُ كلَّ اختلاطْ
قلتُ: متى نَلتقي، يا سيِّدي؟ قال: غداً نَلتقي عند الصِّراط[1]

الضرب الرابع من البسيط

وهو المجزوء السالم

يا ساحراً طرفُهُ، إذ يَلحَظُ، وفاتناً لفظُهُ، إذ يَلفِظُ
يا غُصُناً يَنثني من لِينِهِ، وجهُكَ من كلِّ عينٍ يُحفَظُ
أيقظَ طَرْفي، إذ بدا، من نعسةٍ، مَنْ طَرفُهُ ناعسٌ مُستيقظُ
ظَبْيٌ له وَجْنَةٌ، من رقّةٍ، تجرحها مُقلتي، إذ تَلْحظُ

الضرب الخامس من البسيط

وهو المقطوع

يا مَن دَمي دونه مَسفوكُ، وكلُّ حُرٍّ له مَملوكُ
كأنه فِضّةٌ مَسبوكةٌ، أو ذَهبٌ خالصٌ مَسبوكُ
ما أطيبَ العيشَ، إلا أنه، عن عاجلٍ، كلّه مَتروكُ
والخيرُ مَسدودةٌ أبوابُهُ، ولا طَريقٌ له مَسْلوكُ

---

١ عند الصراط: اراد ان اللقاء يكون يوم الحساب عند اجتياز الصراط، وهو شرعاً جسر ممدود على متن جهنم يقال انه ارق من الشعرة واحدّ من السيف فمن استطاع اجتيازه دخل الجنة.

العروض المجزوء المقطوع

ضربه مثله

إليكَ يا غُرَّةَ الهِلالِ ، وبِدعةَ الحُسنِ والجَمالِ
مَددتُ كفّاً ، بها انقباضٌ ، فأين كَفّي من الهِلالِ ؟
شكوتُ ما بي إليك ، وجداً ، فلم تَرِقَّ ولم تُبالِ
أعاضكَ الله عن قريبٍ ، حالاً ، من السُّقم ، مثلَ حالي

العروض الاول من الوافر

ضربه مثله

بنفسي مَن مَراشفُهُ مُدامُ ، ومَن لَحظاتُ مُقلتِهِ سِهامُ
ومَن هو ، إن بدا والبدرُ تِمٌّ ، خَفي ، من حُسنه ، البدر التمام
أقول له ، وقد أبدى صُدوداً ، فلا لَفظٌ إليَّ ، ولا ابتسام
تَكلّم ، ليس يوجعكَ الكلامُ ، ولا يَمحو محاسِنَكَ السَّلام

العروض الثاني من الوافر

مجزوء سالم — ضربه مثله

سلبتَ الرُّوحَ من بَدَني ، ورُعتَ القلبَ بالحَزَنِ
فلي بَدَنٌ بلا روحٍ ؛ ولي روح بلا بَدَنِ

قرنتَ مع الرّدى نَفسي ، فنَفسي وهـو في قرَن
فليتَ السّحرَ ، من عَينَيـ ـك ، لم أرَه ولم يَرَني

العروض الثالث من الوافر

المجزوء المعصوب

غزالٌ من بني العاصِ ، أحسّ بصَوتِ قنّاصِ
فأتلعَ جيدَه ذُعراً ، وأشخص أيّ إشخاص[1]
أيا مَن أخلصت نَفسي هواه كُلّ إخلاص
أطاعك من صَميم القَلـ ـب ، عَفواً ، كلُّ مُعتاصِ

العروض الاول من الكامل التام

ضربه مثله

في الكِلّـةِ الصفراءِ ريمٌ أبيضُ ،
يَسْبي القلوبَ بمُقلتيـــه ، ويُمرِضُ
لمّا غـدا ، بينَ الحمولِ ، مقوّضاً ،
كاد الفؤادُ عن الحيـاةِ يُقوّضُ[2]

---

[1] اتلع جيده : مدّ عنقه متطاولاً .
[2] التقويض : نزع اعواد الخيمة واطنابها ، والهدم .

صدَّ الكرى عن جفن عينك، مُعرضاً،
لمّا رآه يَصُـــدُّ عنك ويُعْرِض

أدّيت من حُبّي ، إليك، فريضـــةً،
إن كان حُبُّ الخَلْق مما يُفرض

الضرب الثاني

المقطوع

أومتْ إليك جُفونُها بوداعِ ، خَوْدٌ بدَت لك مِن وراء قِناعِ
بَيضاء، أغاها النّعيم بصُفرة ، فكأنها شَمْسٌ بغَير شُعاع
أمّا الشّباب ، فودّعت أيامه ، ووداعُهنّ موكّلٌ بوَداعي
لله أيامُ الصّبا لو أنّها كَرّت عليَّ بلذّة وسَماع

الضرب الثالث

الأحذ المضمر

أصغى اليك بكأســه مُصْغي ،
صَلْتُ الجَبينِ مُعقربُ الصُّدغِ[1]

---

١ صلت الجبين : واضحه . معقرب الصدغ : اي ان شعر صدغـه مصفوف بشكل عقرب .

كـأس تؤلّفُ بالمَحبَّـةِ بَيننا،
طَـوْراً، وتَنْزغ أيْـمـا نزغ[1]

في رَوضـةٍ دَرجت بِزَهرتها الصَّبا،
والشمسُ في دَرج من الفَـرغ[2]

فاشرَب بكفّ أغنّ عقرب صُدغه،
للقَلب منـك، مُميتـة اللّـدغ

الضرب الرابع

الاحذ الممنوع من الاضمار – العروض الثاني

يا دميةً، نُصبت لمُعتكفٍ، بل ظَبيـةً أوفت على شَرَفِ
بل دُرّةً زَهراءَ ما سَكَنَت بَحراً، ولا اكتنفت ذرا صَدَف
أسرفتَ في قَتْلي، بلا تِرَةٍ، وسَمعتَ قول الله في السَّرَف
إنّي أتوبُ إليكَ، مُعترِفاً، إن كنتَ تَقبلُ تَوبَ مُعترِفِ

---

١ تنزغ بيننا : تفسد بيننا .
٢ الفرغ : كوكبان ، هما فرغ الدلو المقدم والمؤخر ، وهما منزلان للقمر .
وقد جعلها للشمس .

الضرب الخامس

الأحذ المضمر

يا فِتْنَةً بُعِثت على الخَلقِ ، ما بينها والموتِ من فَرْقِ
شَمسٌ بدَتْ لك من مَغاربِها ، يفترُّ مَبْسِمُها عن البَرْقِ
ما كنتُ احسب ، قبل رُؤيتِها ، للشمس مُطّلعاً سوى الشّرق
يا مَن يَضَنّ بفضل نائله ، لو في يَدَيْهِ مَفاتح الرِّزْقِ

الضرب السادس

المجزوء المرفل – العروض الثالث – له أربعة ضروب

طَلَعَت له ، والليلُ دامِسْ ، شَمْسٌ تجلّت في حَنادِسْ[1]
تَختالُ في لِينِ المَجا سِدِ ، بين حارسة وحارس[2]
يا مَن بِبَهجةِ وَجْهِه يَستأسِرُ البطلُ المُمارس[3]
لم يَبْقَ من قِبَلي سوى رَسْمٍ ، تغيّر فهو دارس[4]

---

١ دامس : مظلم . الحنادس ، الواحد حندس : الظلام .
٢ المجاسد ، الواحد مجسد : الثوب المصبوغ بالجساد ، الزعفران .
٣ يستأسر : يستسلم للأسر .
٤ قبلي : طاقتي ، صبري .

الضرب السابع

المجزوء المذيل

دَعْ قَوْلَ واشِيَةٍ وواشي ، واجعلْهُما كَلْبَيْ هِراشِ
واشرب مُعتّقةً تَسلْ سَلُ في العِظامِ ، وفي المُشاشِ[1]

الضرب الثامن

المجزوء الصحيح

ألحاظُ عَيني تَلْتَهي في رَوْضِ وَرْدٍ يَزْدَهي
رَتَعتْ بِها ، وتنزّهتْ فيها ألَذَّ تَنَزُّهِ
يا أيُّها الخَنِثُ الجُفو نِ بِنَخْوَةٍ وتَكَرُّهِ[2]
والمُكتسي غَنَجاً ، أما تَرْثي لأشْعثَ أمْرَهِ؟[3]

الضرب التاسع

المجزوء المقطوع الا من سلامة الثاني

أطْفَفْتُ شَرارةَ لهوي ، ولَوتُ بشِدّةِ عَدْوي[4]

١ المشاش ، الواحدة مشاشة : رأس العظم اللين الممكن المضغ .
٢ خنث الجفون : متكسرها .
٣ الأمره : الفاسد العين ، المبيضّة حماليقها .
٤ اطفت : مسهل اطفأت . لوت : جحدت ، انكرت . عدوي : حضري ، سرعة ركضي .

شُعَلٌ عَلَوْنَ مَفارِقي ، ومَضَتْ بِبَهجةِ سَرْوي[1]
لمّا سلكتُ عَروضَها ، ذهبَ الزِّحافُ بحَذْوي
يا أيها الشادي صَهٍ ، ليست بساعةِ شَدْوِ

الهزج

له عروض واحد وضربان

ألا يا ويحَ قلبي للشَّبابِ الغَضِّ ، إذ وَلّى
جعلتُ الغَيَّ سِرْبالي ، وكانَ الرُّشدُ بي أولى
بنفسي جائرٌ في الحُكْمِ ، يُلفى جَورُه عَدْلا
وليسَ الشَّهدُ ، في فيهِ ، بأحلى ، عندَه ، مِن لا

الضرب الثاني المحذوف

هُنا تفنى قوافي الشِّعْرِ في هذا الرَّويِّ
قوافٍ أُلبستْ حَلْياً من الحُسنِ البَديِّ
تعالَتْ عن جَريرٍ ، بل زُهيرٍ ، بل عَديِّ[2]

---

١ السرو : الفضل والسخاء في مروءة .
٢ جرير : شاعر اموي مشهور. زهير : هو ابن أبي سلمى . عدي : هو عدي ابن زيد وكلاهما شاعر جاهلي .

الاعاريض والقوافي

كتاب الجوهرة الثانية	٥
مختصر الفرش	٧
باب الاسباب والاوتاد	٨
باب الزحاف	٩
باب الزحاف المزدوج	١٠
علل الأعاريض والضروب	١١
باب الخرم	١٥
باب التعاقب والتراقب	١٦
ارجوزة العروض	١٨
اختصار الفرش	٢٠
باب الاسباب والاوتاد	٢١
الفواصل	٢٣
باب الزحاف	٢٤
باب الزحاف الذي يكون في موضعين من الجزء	٢٦
باب العلل	٢٨
باب الخرم	٣٠
باب علل الاعاريض والضروب	٣٤
باب التعاقب والتراقب	٣٦
الزيادات على الاجزاء	٣٩
باب نقصان الاجزاء	٤٠
صفة الدوائر وصورها	٤١

ابتداء الامثال

شطر الطويل ٤٧
شطر المديد ٥٢
شطر البسيط ٥٧
شطر الوافر ٦٤
شطر الكامل ٦٨
شطر الهزج ٧٦
شطر الرجز ٧٨
شطر الرمل ٨٢
شطر السريع ٨٨
شطر المنسرح ٩٤
شطر الخفيف ٩٧
شطر المضارع ١٠٢
شطر المقتضب ١٠٤
شطر المجتث ١٠٥
شطر المتقارب ١٠٦
ابيات الطويل ١١٢
ابيات المديد ١١٤
ابيات البسيط ١١٦
ابيات الوافر ١١٩
ابيات الكامل ١٢١
ابيات الهزج ٢٥

ايات الرجز ١٢٧
ايات الرمل ١٣٠
ايات السريع ١٣٣
ايات المنسرح ١٣٥
ايات الخفيف ١٣٧
ايات المضارع ١٣٩
ايات المقتضب ١٤٠
ايات المجتث ١٤١
ايات المتقارب ١٤٢
علل القوافي ١٤٥
باب ما يجوز ان يكون تأسيساً وما لا يجوز ان يكون . ١٥٠
باب ما يجوز ان يكون حرف روي وما لا يجوز ان يكون ١٥٢
باب عيوب القوافي ١٦٤
باب ما يجوز في القافية من حروف اللين . . . ١٦٩
ومن قولنا مقطعات ١٧٢

العقد الفريد

١ السلطان وعدل ساعة
٢ تحت ظلال القنا
٣ الأيدي السخيّة
٤ وفود العرب
٥ مخاطبة الملوك
٦ أبناء النور ١
٧ أبناء النور ٢
٨ ابناء النور ٣
٩ أمثال العرب
١٠ سحر البيان
١١ دموع الأحزان
١٢ أنساب العرب
١٣ من خيام الاعراب
١٤ فيض الخواطر
١٥ أدب المنابر
١٦ الكتابة والكتّاب

١٧ أخبار الخلفاء ١
١٨ أخبار الخلفاء ٢
١٩ اخبار الخلفاء ٣
٢٠ أمراء المسلمين
٢١ أيام العرب ١
٢٢ أيام العرب ٢
٢٣ طرائف الشعراء ١
٢٤ طرائف الشعراء ٢
٢٥ الأعاريض والقوافي
٢٦ الغناء والمغنون
٢٧ أخبار النساء
٢٨ المجانين والبخلاء والطفيليون
٢٩ طبائع الانسان والحيوان
٣٠ الطعام والشراب
٣١ فكاهات وملح

« تم »

٢٠٠ غ.ل.

العقد الفريد
٢٦

الغناء والمغنون

مكتبة صادر
بيروت

٢٦

الغناء والمغنون

العقد الفريد

من اشهر المجموعات الأدبية عند العرب ، فيه ادب — وأقوال — ونوادر — وملح — وتاريخ — واخبار الخ . الخ . . . .

●

الغناء والمغنّون

هو كتاب الياقوتة الثانية من العقد ، مضبوط ومشروح بقلم

كرم البستاني

العقد الفريد

لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي

٢٦

الغناء والمغنون

مكتبة صادر
بيروت

١٩٥٣/١٤٩

كتاب الياقوتة الثانية

في الغناء واختلاف الناس في ذلك

قال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربّه : قد مضى قولُنا في أعاريض الشعر ، وعِلل القوافي ، وفسّرنا جميع ذلك بالمنظوم والمنثور ، ونحن قائلون بعون الله وإذنه في علم الغناء واختلاف الناس فيه ، ومَن كرِهَه ولأيّ وجهٍ كَرِهه ، ومن استحسنه ولأي وجه استَحسن .

وكرِهنا أن يكونَ كتابُنا هـذا ، بعدَ اشتماله على فنون الآداب والحِكَم والنوادر والأمثال ، عُطلًا من هذه الصّناعة التي هي مَرادُ السّمع، ومَرتعُ النفس ، وربيعُ القلب ، ومجالُ الهوى ، ومَسْلاةُ الكئيب ، وأنسُ الوحيد، وزادُ الراكب ؛ لعِظَم موقعِ الصوت الحسن من القلبِ ، وأخْذِه بمجامع النفس.

•

قال أبو سعيد بن مسلم : قلتُ لابنِ دأبٍ : قد أخذتَ من كل شيء بطَرفٍ ، غير شيء واحد ، فلا أدري ما صنعتَ فيه؟

فقال : لعلّك تريدُ الغناء ؟

قلت : أجَل .

قال : أما إنـّك لو شهدتَني وأنا أترنم بشعر كُثَيِّر عَزّة حيثُ يقول :

وما مَرّ من يومٍ عليّ ، كيومِها ،
وإن عَظُمَتْ أيامُ أخرى وجلَّتِ

لاسترخَتْ تِكـّتُك .

قال : قلت : أتقولُ لي هذا ؟

قال : إي والله ، وللمهدي ، أمير المؤمنين ، كنت أقوله .

فضل الصوت الحسن

قال بعضُ أهل التفسير في قول الله تبارك وتعالى : «يزيد في الخَلْق ما يَشاء» : هو الصوتُ الحسن .

وقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم لأبي موسى الأشعري ، لمّا أعجبَه حُسنُ صوته : لقد أُوتيتَ مِزماراً من مزاميرِ آلِ داود .

•

وزعم أهلُ الطبِّ أن الصوتَ الحسنَ يَسري في الجسم ويجري في العروق ، فيصفو له الدمُ ، ويرتاح له القلب ، وتهَشُّ له النفسُ ، وتهتزّ الجوارحُ ، وتَخِفُّ الحركاتُ ، ومن ذلك كرهوا للطفل أن يُنوَّم على أثر البُكاء ، حتى يُرقص ويُطرَب .

•

وقالت ليلى الأخيليّة للحجّاجِ ، حين سألها عن ولدها ، وأعجبَه ما رأى من شبابه : إني والله ما حملته سَهواً ، ولا وضعتُه يَتْناً ، ولا أرضعتُه غَيْلاً ، ولا أنمتُه مَئِقاً . تعني لم أنومه مُستوحشاً باكياً . وقولها : ما حملته سهواً ، تعني في بقايا الحَيض . ويقال : حملت المرأة وُضْعاً وتُضْعاً ، إذا حملت

في استقبال الحَيض. وقولها: ولا وضعته يَتناً، تعني مُنكَّساً. وقولها: ولا أرضعته غَيلاً، تعني لبناً فاسداً.

•

وزعَمتِ الفلاسفةُ أنَّ النَّغم فضلٌ بقي من المَنطِق لم يقدِر اللسانُ على استخراجِه، فاستخرجَتْه الطبيعةُ بالألحان، على التَّرجيع لا على التَّقطيع، فلمّا ظهر عشِقَتْه النفسُ، وحَنَّ إليه الروح. ولذلك قال أفلاطون: لا ينبغي أن تُمنَعَ النفس من مُعاشقة بعضِها بعضاً. ألا ترى أنَّ أهلَ الصِّناعاتِ كلِّها، إذا خافوا المَلالةَ والفُتورَ على أبدانِهم، ترنَّموا بالألحان، فاستراحتْ لها أنفسُهم. وليس من أحدٍ، كائناً من كان، إلاّ وهو يَطربُ من صوتِ نفسِه، ويُعجِبه طنينُ رأسِه. ولو لم يكُن من فضلِ الصوتِ، إلا أنه ليس في الأرض لذةٌ تُكتَسبُ من مأكَلٍ أو مَلبَس أو مشرَبٍ أو نِكاح أو صَيد، إلاّ وفيها مُعاناةٌ على البَدن وتَعبٌ على الجوارح، ما خلا السماعَ؛ فإنه لا مُعاناةَ فيه على البدَن، ولا تعَب على الجوارح.

•

وقد يُتوصَّل بالألحانِ الحِسان إلى خيرِ الدنيا والآخرة. فمن ذلك أنها تَبعثُ على مكارمِ الأخلاق من اصطناع المعروف،

وصلةِ الارحـــام ، والذَّبّ عن الاعراضِ ، والتّجاوُزِ عن الذُّنوب . وقـد يَبكي الرجلُ بها على خَطيئتـه ، ويُرقِّقُ القلبَ من قسوتِه ، ويتذكَّر نَعـيمَ الملكوتِ ويُمثِّله في ضَميره .

•

وكان أبو يوسف القاضي ربما حَضَر مجلِس الرشيدِ وفيه الغناءُ ، فيجعل مكانَ السرورِ به بكاءً ؛ كأنه يتذكَّر به نعيمَ الآخرة .

•

وقال أحمد بن أبي دُواد : إن كنتُ لأسمعُ الغِناءَ من مُخارِقٍ عندَ المُعتصمِ فيقعُ عليَّ البكاءُ . حتى إن البهائمَ لتَحِنُّ إلى الصوتِ الحسنِ وتَعرِفُ فضلَه .

•

وقال العَتّابي ، وذكر رجلاً ، فقال : واللهِ إنّ جليسَه ، لطيبِ عِشرتِه ، لأطربُ من الإبلِ على الحُداء ، والنَّحلِ على الغِناء .

•

وكان صاحبُ الفِلاحات يقول بأنّ النحلَ أطربُ الحيوان كلّه إلى الغناء ، وأن أفراخَهـا لا تُستَنزَلُ بمثلِ الزَّجَلِ والصوتِ الحسن .

قال الراجز :

والطيرُ ، قد يسوقُه ، للموتِ ،
إصغاؤه إلى حَنينِ الصَّوتِ

•

وبعد : فهل خلقَ الله شيئاً أوقَع بالقلوب، وأشدَّ اختلاساً للعقولِ من الصوت الحسن ، لا سيما إذا كان من وجه حَسن ، كما قال الشاعر :

رُبَّ سَماعٍ حَسَنٍ ، سمعتُه من حَسَنِ
مُقرِّبٍ من فَرحٍ ، مُبعِّدٍ من حَزَنِ
لا فارقاني ، أبداً ، في صِحّةٍ من بدني

وهل على الأرض رِعديدٌ[1] مُستطارُ الفؤادِ[2] يُغنّى بقول جرير بنِ الخَطَفى :

قُل للجبانِ ، إذا تأخّر سَرجُه :
هل أنتَ ، من شَرك المنيّة ، ناجي ؟

إلاّ ثابَ إليه رُوحُه ، وقَوي قلبُه ؟ أم هل على الأرض بخيلٌ قد تَقَفّعت[3] أطرافُه لؤماً ، ثم غنّي بقول حاتم الطائي:

---

١ الرعديد : الجبان الكثير الارتعاد .
٢ مستطار الفؤاد : مذعورهُ .
٣ تقفّعت : تقبضت .

يرى البخيلُ سبيلَ المالِ واحدةً ؛
إنّ الجواد يَرى في ماله سُبُلاَ

إلا انبسطت أناملُه ، ورشَحت أطرافُه ؟ أم هل على الأرض غريبٌ نازحُ الدار ، بَعيدُ المحلّ ، يُغنّى بشعر عليّ ابن الجَهم :

يا وحشتا للغريب ، في البلد النّازحِ ، ماذا بنَفْسه صَنَعَا ؟
فارقَ أحبابَه ، فما انتفعوا بالعَيْش، من بعده، ولا انتفعا
يقولُ في نَأيه وغُربته : عَدْلٌ من الله كلّ ما صَنعا

إلا انقطعت كَبِدُه حنيناً إلى وطنه ، وتشوّقاً إلى سَكنه ؟

•

اختلاف الناس في الغناء

اختلف الناسُ في الغناء ، فأجازه عامـــةُ أهلِ الحِجاز ، وكَرِهه عامة أهل العِراق . فمن حُجةِ مَن أجازه أنّ أصلَه الشِّعرُ الذي أمرَ النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم ، به ، وحضَّ عليه ، وندبَ[1] أصحابه إليه ، وتَجنَّدَ به[2] على المشرِكين . فقال لحسّان : شُنَّ الغارَةَ على بني عبدِ مَناف ، فوالله لَشِعرُك أشدُّ عليهم من وَقع السِّهام في غَلَس الظلام .

•

وهو ديوان العَرب ، ومقيِّـدُ أحكامِهـا ، والشاهدُ على مَكارِمِها . وأكثرُ شعر حسان بن ثابت يُغنّى به .

•

قال فَرَج بن سلاّم : حدّثني الرياشيّ عن الأصمعي قـال : شَهِد حسانُ بن ثابت مأدُبةً لرجل من الأنصار ، وقـد كُفَّ بصرُه ، ومعَه ابنُه عبدُ الرحمن ، فكلما قُدِّم شيءٌ من الطعام قال حسّان لابنه : أطعامُ يَد أم طعـامُ يَدَين ؟ فيقول له : طعام يد. حتى قُدِّم الشِّواءُ ، فقال له : هذا طَعـام يَدَين .

---

١ ندب : دعا ، وحث .

٢ تجنّد به : اتخذه جنداً .

فقبض الشيخُ يده . فلما رُفع الطعام اندفعت قَينةٌ لهم تُغنّي بشعر حسان :

انظرْ ، خليلي ، بباب جِلّقَ هل
تُبصر ، دونَ البَلْقاء ، من أحدِ[1]

جِمال شَعْثاء قد هبطن ، من المَحْبس ،
بين الكُثبان ، فالسَّنَدِ[2]

قال : فجعل حسان يبكي ، وجعل عبدُ الرحمن يومىء إلى القَينة أن تُردّده . قال الأصمعي : فلا أدري ما الذي أعجب عبدَ الرحمن من بكاء أبيه .

•

وقالت عائشة ، رضي الله عنها : علّموا أولادكم الشعر تَعذُب ألسنتهم .

•

---

١ جلّق : قيل هي بلدة على ضفة بردى كانت احدى عواصم الغساسنة ، وقيل هي اسم لدمشق . البلقاء : كورة من اعمال دمشق .

٢ شعثاء : امرأة . المحبس : موضع . الكثبان ، الواحد كثيب : التل من الرمل . السند : ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح ، وربما كان هنا موضعاً بعينه .

وأردف النبيُّ صلى الله عليه وسلم الشريدَ ، فاستنشده من شعر أميةَ ، فأنشده مائة قافية ، وهو يقول : هيه ، استحساناً لها .

•

فلما أعياهم القَدْحُ في الشّعرِ والقولُ فيه ، قالوا : الشعرُ حسنٌ ، ولا نرى أن يؤخَذ بلحنٍ حسن ، وأجازوا ذلك في القرآن وفي الأذان . فإن كانت الألحان مكروهةً ، فالقُرآن والأذان أحقُّ بالتنزيه عنه . وإن كانت غيرَ مكروهة ، فالشعر أحوجُ اليها لإقامة الوزن وإخراجه عن حدّ الخبر . وما الفرق بين أن يُنشِدَ الرجلُ :

أتعرفُ رسماً كاطّرادِ المَذانبِ[1]

مُتَرسلاً ، أو يرفعَ بها صوتَه مرتجلاً ؟ وإنما جعلتِ العربُ الشعرَ موزوناً لمدّ الصوتِ فيه والدّندنةِ . ولولا ذلك لكان الشعرُ المنظومُ كالخبرِ المنثور .

•

واحتجّوا ، في إباحة الغناء واستحسانه ، بقول النبيّ صلى الله عليه وسلم لعائشة : أهديتمُ الفتاة إلى بَعلِها ؟ قالت : نعم .

---

١ الاطراد : جريان الماء متتابعاً . المذاب ، الواحد مذنب : مسيل الماء ، والجدول .

قال : وبعثتم معها مَن يُغني ؟ قالت : لا . قال : أوَما علمتم أن الأنصارَ قومٌ يُعجبهم الغَزل ؟ ألا بعثتم معَها من يقول :

أتينـاكم أتيناكم ، فحيُّونا نحيِّيكم
ولولا الحبّةُ السمرا ءُ لم تَحْلل بواديكم

•

واحتَجوا بحديث عبد الله بن عبـد الله بن أويس ، ابن عمّ مالك ، وكان من أفضل رجال الزُّهري قال : مَرّ النبيُّ ، صلّى الله عليه وسلم ، بجارية في ظلّ فارع[1] وهي تُغني :

هل عليَّ ، وَيْحكُمُ ، إنْ لهوتُ من حَرَج؟

فقال النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم : لا حَرج إن شاء الله .

والذي لا يُنكره أكثرُ الناس غناءُ النَّصْب ، وهو غِنـاء الرُّكبان .

•

مَرّ[2] بنا عمرُ بن الخطّاب ، وأنا وعاصم بن عُمَر نُغني غِناء النَّصب ، فقال : أعيدا عليّ . فأعدنا عليه . فقال : أنتما كحماري

---

١ فارع : حصن بالمدينة .
٢ الحديث لعبد الله بن عمر عن ابيه .

العبادي ، وقيل له : أيُّ حماريك شرٌّ؟ قال : هـذا ثم هذا .

●

وسمع أنَسُ بن مالك أخاه البَراء بن مالك يُغنّي ، فقال : ما هذا ؟ قال : أبيات عربية أنصبها نَصباً .

●

رأيتُ[1] سعد بن أبي وقّاص في منزلٍ بين مكةَ والمدينة قد ألقي له مُصلّى ، فاستلقى عليه ووضع إحدى رجليه على الأخرى وهو يتغنّى . فقلتُ : سبحانَ الله أبا إسحاق ، أتفعلُ مثلَ هذا ، وأنت مُحرم ؟ فقال : يا ابن أخي ، وهل تسمعني أقول هُجراً ؟

●

قال[2] عُمر بن الخطّاب للنابغة الجعديّ : أسمعني بعض ما عفا الله لك عنه من هَناتِك[3] . فأسمعه كلمة له . قال : وإنك لقائلها ؟ قال : نعم . قال : لطالما غنّيتُ بها خلف جِمال الخَطّاب .

●

---

١ الحديث لسليمان بن يسار .
٢ الحديث لقرّة بن خالد .
٣ الهنات ، واحدتها هنة : اي شيء .

عاصم عن ابن جُريج قال : سألتُ عطاء عن قراءة القرآن على ألحان الغِناء والحُداء . قال : وما بأس ذلك يابن أخي ؟

•

وحدّث عبيد بن عُمير الليثي : أنّ داود النبيّ ، عليه السلامُ ، كانت له مِعزفة[١] يَضرب بها إذا قرأ الزّبور ، لتجتمع عليه الجِنُّ والإنس والطير ، فيبكي ويَبكي مَن حوله . وأهلُ الكتاب يجدون هذا في كُتبهم .

•

ومن حُجة من كَره الغناء أن قال : إنه يُنفّر القلوب ، ويَستفزّ العقول ، ويستخفّ الحليم ، ويَبعث على اللهو ، ويَحُضّ على الطّرب ، وهو باطل في أصله .

وتأوّلوا في ذلك قولَ الله عزّ وجل : «ومِنَ الناسِ مَن يَشتري لهوَ الحديث ليُضِلّ عن سبيل الله بغير عِلم ويتّخذَها هُزُواً» ، وأخطأوا في التأويل . إنما نزلت هذه الآيةُ في قوم كانوا يَشترون الكُتب من أخبار السّمَر والأحاديث القديمة ويُضاهون بها القرآن ، ويقولون إنها أفضلُ منه . وليس مَن

---

١ معزفة : آلة طرب .

سَمِعَ الغِناء يتخذ آيات الله هُزُواً. وأعدلُ الوجوه في هذا أن يكون سبيلُه سبيلَ الشعر، فحَسَنُه حسنٌ وقَبيحُه قبيح.

•

وقد حدّث إبراهيمُ بن المنذر الحِزاميّ: أنّ ابن جامع السّهمي قَدِم مكة بمال كثير، ففرّقه في ضُعفاء أهلها، فقال سُفيان بن عُيينة: بلغني أنّ هذا السّهمي قدم بمال كثير. قالوا: نعم. قال: فعلامَ يُعطى؟ قالوا: يُغنّي الملوك فيُعطونه. قال: وبأيّ شيء يُغنّيهم؟ قالوا: بالشعر. قال: فكيف يقول؟ فقال له فتى من تلاميذه: يقول:

أُطوّفُ بالبَيتِ مع من يَطوفُ،
وأرفعُ من مئزري المُسبلِ

قال: بارك الله عليه، ما أحسنَ ما قال! قال: ثم ماذا؟ قال:

وأسْجُدُ بالليلِ، حتى الصّباحِ، وأتلو من المُحكمِ المُنزَلِ

قال: وأحسَنَ أيضاً، أحسنَ الله إليه؛ ثم ماذا؟ قال:

عَسى فارجُ الهَمّ عن يوسفَ، يُسخّرُ لي ربّةَ المَحْمِلِ

قال: أمسِكْ أمسِكْ. أفسد آخراً ما أصلح أولاً.

ألا ترى سُفيان بن عُيينة ، رحمه اللهُ ، حسّن الحسنَ من قوله وقبّحَ القبيح ؟

•

وكره الغناءَ قومٌ على طريق الزّهد في الدنيا ولذّاتها ، كما كره بعضُهم المَلاذّ ولُبسَ العباء ، وكره الحُوّارى وأكلَ الكشكار[1] ، وتركَ البُرّ وأكل الشعير ، لا على طريق التحريم ، فإنّ ذلك وجهٌ حسن ومذهبٌ جميل . فإنما الحلال ما أحلّ الله ، والحرامُ ما حرّم الله . يقول الله تعالى : «ولا تقولوا لِما تَصِفُ ألسِنَتُكم الكَذِبَ هذا حلالٌ وهذا حرامٌ لتفتروا على الله الكَذِب . إنّ الذين يَفترونَ على الله الكَذِبَ لا يُفلِحون .»

•

وقد يكون الرجل أيضاً جاهلاً بالغِناء أو متجاهلاً به ، فلا يأمر به ولا يُنكره .

قال رجل للحَسن البصري : ما تقول في الغناء يا أبا سعيد؟ قال : نِعم العَونُ على طاعة الله ! يصل الرجلُ به رحمَه ، ويواسي به صديقه . قال الرجل : ليس عن هذا أسألك . قال:

---

[1] الحوارى : لباب الدقيق . الكشكار : لفظة فارسية ولعلها ما يسميه العامة بالخشكار وهي نخالة البرغل .

وعمّ سألتني ؟ قال: أن يُغنّي الرجل . قال: وكيف يغنّي؟ فجعل الرجُل يلوي شِدقيه ويَنفُخ مِنخريه. قال الحسنُ: والله يابن أخي ، ما ظننتُ أنّ عاقلاً يفعل هذا بنفسه أبداً .

وإنما انكر عليه الحَسنُ تشويهَ وجهه وتعويج فمه ، وإن كان أنكر الغِناء فإنما هو من طريق أهل العراق ، وقد ذكرنا أنهم يكرهونه .

•

اختُلف[1] في الغِناء عند محمد بن إبراهيم والي مكة ، فأرسل إلى ابن جُريج وإلى عمرو بن عُبيد فأتياه فسألهما ، فقال ابنُ جريج : لا بأس به ، شهدتُ عَطاء بن أبي رَباح في خِتان ولده ، وعنده ابن سُريج المُغنّي، فكان إذا غنّى لم يقُل له : اسكت ، وإذا سكت لم يقُل له: غنّ، وإذا لَحَن ردّ عليه .

وقال عمرو بن عُبيد : أليس الله يقول : « ما يَلفظ مِنْ قولٍ إلاّ لديه رَقيبٌ عتيد. » فأيهما يكتب الغناء ، الذي عن اليمين او الذي عن الشمال ؟

فقال ابنُ جُريج : لا يكتبه واحد منهما ، لأنه لغوٌ

---

١ الحديث لابي الحارث .

كحديث الناس فيما بينهم ، من أخبار جاهليتهم وتناشُد أشعارهم .

•

قال لي[1] أبو يوسف القاضي : ما أعجَبَ أمرَكم يا أهلَ المدينة في هذه الأغاني ! ما منكم من شريف ولا دنيء يتحاشى عنها.

قال : فغضبتُ وقلت : قاتَلَكم الله يا أهلَ العِراق ! ما أوضحَ جهلَكم وأبعدَ من السَّداد رأيكم ! متى رأيتَ أحداً سمع الغناء ، فظهر منه ما يظهر من سُفهائكم هؤلاء الذين يَشربون المُسكر ، فيترك أحدهم صلاتَه ، ويطلّق امرأته ، ويَقذف المُحصَنة من جاراته ، ويكفُر بربّه ، فاين هذا من هذا ؟ من اختار شعراً جيّداً ثم اختار له جِرْماً حسناً فردّده عليه ، فأطربه وأبهجه ، فعفا عن الجرائم ، وأعطى الرغائب .

فقال أبو يوسف : قطعتَني ، ولم يُحِر جواباً .

•

قال إسحاق : وحدّثني إبراهيم بن سعد الزُّهري قال : قال لي الرشيد : مَن بالمدينة ممّن يُحرِّم الغِناء؟

قال : قلت : مَن أتبعَه الله خِزيتَه .

قال : بلغني أن مالك بن أنس يُحرمه .

---

١ الحديث لابراهيم بن سعد الزهري .

قلت : يا أمير المؤمنين ، أوَلمالك أن يحرّم ويُحلّل ! والله ما كان ذلك لابنِ عمّك محمدٍ، صلى الله عليه وسلم ، إلاّ بوحي من ربه ، فمن جعل هذا لمالك ؟ فشهادتي على أبي أنه سَمع مالكاً في عُرس ابن حَنظلة الغَسيل يتغنى :

سُلَيمى أزمعت بَينَنا ، فأين تظنُّها أينا ؟

ولو سمعتُ مالكاً يحرّمه ويدي تناله لأحسنتُ أدَبه .

قال : فتبسَّم الرشيد .

•

كان[1] عبدُ الله بن عمر يُحب عبدَ الله بن جعفر حُبّاً شديداً ، فدخل عليه يوماً وبين يديه جاريةٌ في حجرها عُود ، فقال : ما هذا يا أبا جعفر ؟

قال : وما تظُن به يا أبا عبد الرحمن ؟ فإن أصاب ظنُّك فلك الجارية .

قال : ما أراني إلا قد أخذتها ، هذا ميزان روميّ .

فضحك ابنُ جعفر ، وقال : صدقتَ . هذا ميزان يُوزَن به الكلام ، والجاريةُ لك . ثم قال : هاتي . فغنَّت :

أيا شوقاً الى البَلد الأمينِ ، وحيٍّ بين زمزمَ والحَجونِ

---

١ الحديث لصالح بن كيسان .

ثم قال : هل ترى بأساً ؟

قال : هل غيرُ هذا ؟

قال : لا .

قال : فما أرى بهذا بأساً .

•

وسمع عبدُ الله بن عُمر ابنَ محرز يُغنّي :

لو بُـدّلَت أعلى مَنازِلهـا سُفلاً ، وأصبح سفلُها يَعْلُو

لعرفتُ مَغناها بمـا احتمَلَت، مني الضُّلوع ، لأهلِهـا قَبْلُ

فقال عبد الله بن عمر : قُل : إن شاء الله .

قال : يَفسُدُ المعنى .

قال : لا خير في كل معنىً يُفسده إن شاء الله .

•

سمع عمرُ بن عبد العزيز راكباً يغنّي في سفره :

فلولا ثلاثٌ هُنّ من عِيشة الفتى ،
وجَدِّكَ لم أحفِل متى قام عُوّدي[1]

---

[1] وجدك : اي قسماً بحظك . لم احفل : لم اهتم . عودي : زائري في مرضي .

فمنهنّ سَبْقي العاذلاتِ بشَرْبــةٍ
كُمَيْتٍ ، متى مـا تُعْلَ بالماء تُزْبِدِ

وكَرّي ، إذا نادى المُضاف ، مُحنَّباً ،
كسِيـدِ الغَضا في الطّخْية المتورّدِ[1]

وتَقصير يوم الدَّجنِ ، والدَّجنُ مُعْجِب ،
ببَهْكَنةٍ تحت الطِّراف المُمَدَّدِ[2]

فقال عمرُ بن عبد العزيز : وأنا لولا ثلاث لم أحْفِل متى قام عوّدي : لولا أن أنفرَ في السريّة[3] ، وأقسم بالسويّة ، وأعدل في القضية .

•

قال جرير المَدَنيّ : مررت بالأسلمي العابد ، وهو في مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلم يُصلّي ، فسلّمتُ عليه ، فأومأ إليّ وأشار بالجلوس ، فجلست . فلما سلّم أخذ بيدي ، وأشار إلى حلقي ، وقال : كيف هو ؟

---

١ كري : عطفي . المضاف : الخائف المذعور . المحنّب : الذي في قوائمه انحناء . سيد الغضا : ذئب خبيث . الطخية : الظلمة . ويروى : نبّهته . المتورد : الذي يريد الماء .

٢ الدجن : الغيم والمطر . البهكنة : المرأة الحسنة الخلق السمينة الناعمة . والابيات الاربعة من معلقة طرفة بن العبد .

٣ السرية : القطعة من الجيش ، والجمع : سرايا .

قلت : أحسن ما كانَ قطّ .

قال: أما والله لوددتُ أنه خَلا لي وجهُك وأنك أسمعتَني:

يا لَقومي لحَبْلِـكَ المَصْرومِ،
يومَ شَطّوا ، وأنتَ غيرُ مَلومِ[1]

أصبح الربعُ ، من أمامة ، قَفراً ،
غيرَ مَغنى معـارفٍ ورُسوم

قلت : إذا شئت .

قال : في غير هذا الوقت إن شاء الله .

•

لما[2] خَرَج ابنُ المبارك إلى الشام مُرابطاً خرجنا معه ، فلما نظر القومُ إلى ما فيـه من التّـفير والغَزو والسَّـرايا في كـلّ يوم التفت إلينا ، فقال : إنّا لله وإنا إليه راجعون على أعمارٍ أفنيناها ، وأيامٍ وليالٍ قد قطعناها في علم الشّعر، وتركنا هاهنا أبوابَ الجنةِ مفتوحة .

قال : فبينما هو يمشي ، ونحن معه ، في أزقة المَصيصة ، إذا نحن بسكران قد رفع صوتَه يغني :

---

١ المصروم : المقطوع . شطوا : بعدوا .
٢ الحديث لحبان بن موسى وسويد .

أذلّنيَ الهَوى ، فأنا الذليلُ،
وليس إلى الذي أهوى سبيلُ

فأخرج رُزنامَجاً[1] من كُمه ، فكتب البيت . فقلنا له : أتكتب بيتَ شعر سمعتَه من سكران ؟

قال : أما سمعتم المثلَ : رُبَّ جوهرةٍ في مَزبلة ؟

●

قال : ووَلي الأوقصُ المَخزوميّ قضاءَ مكة ، فما رُئي مثلُه في العفاف والنُبل. فبينما هو نائم ذاتَ ليلة في عُلّيّة له، إذ مَرّ به سكرانُ يتغنى ويَلحَن في غنائه . فأشرف المخزوميّ عليه ، فقال : يا هذا ، شربتَ حَراماً ، وأيقظتَ نياماً ، وغنّيتَ خطأً ، خُذه عنّي ، فأصلحه عليه .

●

قال الأوقصُ المخزومي : قالت لي أمي : أي بُني ، إنك خُلقت في صورة لا تَصلح معها لمُجامعة[2] الفِتيان في بيوت القِيان ، فعليك بالدّين فإن الله يَرفع به الخَسيسةَ ويُتم به النَّقيصة . فنَفعني الله بقولها .

●

---

١ الرزنامج : لعله شيء كالدفتر او غيره .
٢ المجامعة : الاجتماع .

دخل[1] الشَّعبي على بِشْر بن مَروان ، وهو والي العِراق لأخيه عبد الملك بن مَروان ، وعنده جارية في حِجرها عود . فلما دخل الشعبيّ أمرها فوضعت العود . فقال له الشعبي : لا ينبغي للأمير أن يَستحي من عَبده . قال : صدقتم . ثم قال للجارية : هاتي ما عندك . فأخذت العود وغَنَّت :

ومما شَجاني أنها ، يومَ ودّعتْ ،
تولّت ، وماءُ العَين في الجَفن حائرُ

فلمّا أعادت ، مِن بعيد ، بنَظرةٍ
إليّ التفاتاً ، أسلمتْه المَحاجر

فقال الشعبي : الصغير أكيسُهما ، يريد الزّير . ثم قال : يا هذه ، أرخي من بَمّك ، وشُدّي من زيرك[2] . فقال له بشر بن مروان : وما عِلْمك؟ قال: أظنّ العملَ فيهما . قال: صدقت ، ومن لم ينفعه ظنّه لم ينفعه يقينه .

•

وحُدّث عن أبي عبد الله البصريّ قال : غنّى رجل في المسجد الحرام ، وهو مُستلقٍ على قفاه ، صوتاً ، ورجلٌ من

---

١ الحديث لمصعب بن عبد الله .
٢ البمّ من العود : اغلظ اوتاره ، والزير : الدقيق من الأوتار .

قُريش يُصلّي في جواره ، فسمعه خُدّام المسجد ، فقالوا : يا عدوّ الله ، أتغنّي في المسجد الحرام ! ورفعوه إلى صاحب الشُّرطة . فتجوّز القُرشي في صلاته، ثم سلّم وأتبعه ، فقال لصاحب الشرطة : كذبوا عليه أصلحك الله ، إنما كان يَقرأ . فقال : يا فُسّاق ، أتأتوني برجل قرأ القرآن تَزعمون أنه غنّى ! خلّوا سبيلَه . فلما خلّوه ، قال له القُرشي : والله لولا أنك أحسنتَ وأجدت ما شهدتُ لك ، اذهبْ راشداً .

•

وكان لأبي حَنيفة جارٌ من الكيّالين مُغرمٌ بالشراب . وكان أبو حَنيفة يُحيي الليل بالقيام ، ويُحييه جارُه الكيّال بالشراب ويُغني على شرابه :

أضاعوني ، وأيَّ فتىً أضاعوا ليوم كَريهة وسَداد ثَغرِ

فأخذه العَسس ليلةً فوقع في الحبس ، وفقد أبو حَنيفة صوتَه ، واستَوحش له . فقال لأهله: ما فَعل جارُنا الكيّال؟ قالوا : أخذه العَسس فهو في الحَبس .

فلما أصبح أبو حنيفة وضع الطَّويلة على رأسه وخَرج حتى أتى باب عيسى بن موسى ، فاستأذن عليه . فأسْرع في إذنه . وكان أبو حَنيفة قليلًا ما يأتي المُلوك . فأقبل عليه عيسى بوجهه ، وقال : أمرٌ ما جاء بك يا أبا حَنيفة ؟

قال : نعم ، أصلح الله الأمير، جارٌ لي من الكيّالين أخذه عَسس الأمير لِيلة كذا ، فوقع في حَبسك .

فأمر عيسى بإطلاق كل مَن أُخذ في تلك الليلة إكراماً لأبي حَنيفة . فأقبل الكيّال على أبي حَنيفة متشكّراً له . فلما رآه أبو حنيفة ، قال : أضعناك يا فتى ؟ يُعرّض له بقصيدته .

قال : لا والله ، ولكنك بَررت وحَفِظت .

•

الأصمعي قال : قَدم عراقيّ بعِـدْل من خُمُر العراق إلى المدينة فباعها كُلها إلاّ السُّود . فشكا ذلك إلى الدّارميّ ، وكان قد تنسّك وتَرك الشّعْر ولزم المَسجد . فقال: ما تجعل لي على أن أحتال لك بحيلة حتى تَبيعها كُلها على حُكمك ؟

قال : ما شئتَ .

قال : فعَمد الدارميّ إلى ثِياب نُسكه ، فألقاها عنه وعاد إلى مِثل شأنه الأول ، وقـال شعراً ورفعه إلى صديق له من المُغنين فغنّى به ، وكان الشعر :

قُل للمَليحة في الخِمار الأسودِ :
مـاذا فَعلتِ بزاهـدٍ مُتعبِّدِ؟

قد كانَ شَمَّرَ للصلاةِ ثيابَه ،
حتى خَطرتِ له ببابِ المَسجِـد

رُدّي عليـه صلاتَه وصيامَـه ،
لا تَقتُليـه بحقِّ دينِ مُحمـد

فشاع هذا الغناء في المدينة وقالوا : قد رجع الدارميّ وتعشّق صاحبةَ الخِمار الأسود . فلم تَبق مليحةٌ بالمدينـة إلا اشترت خِماراً أسود ، وباع التاجرُ جميعَ ما كان معه . فجعل إخوانُ الدارميّ من النُّسّاك يلقون الدارمي فيقولون : ماذا صنعتَ ؟

فيقول : ستعلمون نبأه بعد حين .

فلما أنفد العراقيّ ما كان معه رَجع الدارميّ إلى نُسكـه ولبس ثيابه .

•

كان[1] عُروة بن أذينة يُعدُّ ثقةً ثَبتاً في الحديث ، رَوى عنه مالك بن أنس ، وكان شاعراً ، لَبِقاً في شعره ، غَزِلاً ، وكان يَصوغ الألحان والغناء على شعره في حَداثته ، وينحلها المغنّين ، فمن ذلك قولُه ، وغنى به الحجازيّون :

يا ديارَ الحيّ بالأجَمه ، لم يُبيّـن رَسمُها كَلِمَه

---

١ الحديث للاصمعي .

وهو موضع صوته . ومنه قوله :

قالت ، وأبثثتها وَجدي وبُحتُ بـه :
قد كُنتَ عنديَ تحت السّتر ، فاستتِرِ

ألستَ تُبصر مَنْ حولي ؟ فقلتُ لها :
غَطّى هَواكِ ، ومـا ألقى ، على بَصري

قال : فوقفت عليه امرأة وحوله التلامذة ، فقالت : أنت الذي يقال فيك الرجل الصالح ؟ وأنت القائل :

إذا وجدتُ أُوار الحُبّ في كَبدي ،
عَمَدْتُ نحوَ سِقاء القوم أبْترِدُ

هَبْني بَردت ببَرد الماء ظاهرَه ،
فمن لنارٍ ، على الأحشاء ، تَتّقد؟

لا والله ، ما قال هذا رجل صالح قطّ .

•

قال : وكان عبد الرحمن بن عبد الله الملقّب بالقس عند أهل مكة بمنزلة عطاء بن أبي رَباح في العبادة، وانه مرّ يوماً بسلاّمة ، وهي تغني ، فقام يستمع غناءها . فرآه مولاها فقال له : هل لك أن تدخل فتسمع ؟ فأبى . فلم يزل به حتى دخل . فقال له:

أوقفك في موضع بحيث تراها ولا تراك ، فغنّته فأعجبته ، فقال له مولاها : هل لك في أن أحوّلها إليك ؟ فأبى ذلك عليه ، فلم يزل به حتى أجابه . فلم يَسمعها ويُلاحظها النّظرَ حتى شُغف بها . ولمّا شعرت لِلَحْظِهِ إياها غنّته :

رُبَّ رسولَينِ لنا بَلَّغا رسالةً ، من قبل أن يبرحا
لم يُعمِلا خُفّاً ولا حافراً ، ولا لساناً ، بالهوى ، مُفصِحا
حتى استقلاّ بجوابَيْهما ، بالطائر الميمون قد أنجحا
الطّرف والطرف بعثناهما ، فقَضّيا حاجاً ، وما صرّحا

قال : فأغمي عليه وكاد أن يَهلك . فقالت له يوماً : إني والله أحبك .

قال لها : وأنا والله أحبك .

قالت : وأحب أن أضع فمي على فمك .

قال : وأنا والله .

قالت : فما يَمنعك من ذلك ؟

قال : أخشى أن تكون صداقةُ ما بيني وبينك عداوةً يوم القيامة ، أما سمعت الله تعالى يقول : « الأخلاءُ يومئذ بعضُهم لبعض عدوّ إلاّ المُتّقين . » ثم نهض وعاد الى طريقته التي كان عليها ، وأنشأ يقول :

قد كنتُ أعذلُ، في السَّفاهةِ، أهلَها،
فاعجَبْ لِمَا تأتي به الأيّامُ

فاليومَ أعذرهم، وأعلم أنما
سُبلُ الضّلالة والهُدى أقسامُ

وله فيها:

إنْ سلامة، التي أفقَدَتْني تَجلُّدي
لو تراها وعُودَها، حين يبدو وتَبْتَدي
لجريرٍ وللغَريـ ض ِ وللقرم مَعْبَدِ
خِلْتَهم بين عُودها، والدَّساتين والبَدِ[1]

---

[1] الدساتين، الواحد دستان: وهو في اصطلاح أصحاب الموسيقى الوتر من العود.

أخبار عبد الله بن جعفر

كان[1] معاوية يَعيب على عبد الله بن جَعفر سماعَ الغِنـاء . فأقبل معاويةُ عاماً من ذلك حاجّاً ، فنزل المدينة ، فمرّ ليلةً بدار عبد الله بن جعفر ، فسمع عنـده غناءً على أوتار ، فوقف ساعةً يَستمع ثم مضى وهو يقول : أستغفر الله ، أستغفر الله . فلمّا انصرف من آخر الليل مرّ بداره أيضاً ، فإذا عبد الله قائم يُصلّي ، فوقف ليستمع قِراءته ، فقال : الحمـدُ لله ، ثم نهض وهو يقول : «خَلَطوا عَمَلاً صالِحاً وآخَرَ سَيِّئاً عسى اللهُ أن يَتوبَ عليهم .»

فلمّا بلغ ابنَ جعفر ذلك أعدّ له طعاماً ، ودعاه الى منزله ، وأحضر ابنَ صَيّاد المغني ، ثم تقدّم إليـه يقول : إذا رأيتَ معاوية واضعاً يده في الطعام فحرّك أوتارك وغنّ . فلما وضع معاوية يده في الطعام حرك ابنُ صَيّاد أوتاره وغنى بشعر عديّ ابن زيد ، وكان معاوية يُعجَب به :

---

١ الحديث للاصمعي .

يا لُبَيْنَى ! أوقِدي النارا، إنّ مَن تهوينَ قد حارا

رُبَّ نارٍ بِتُّ أرمُقها، تَقْضِم الهِنْديّ والغارا[1]

ولها ظَبْيٌ يُؤجّجُها، عاقدٌ في الخَصر زُنّارا

قال : فأعجب معاوية غناؤه حتى قبض يده عن الطعام ، وجعل يَضرب برجله الأرض طرباً. فقال له عبدُ الله بن جعفر : يا أميرَ المؤمنين ، إنما هو مُختار الشعر يركّب عليه مختار الألحان ، فهل ترى به بأساً ؟

قال : لا بأس بحكمة الشعر مع حكمة الألحان .

•

قال : وقدم عبدُ الله بن جعفر على معاوية بالشام ، فأنزله في دار عياله ، وأظهر من إكرامه وبِرّه ما كان يستحقّه . فغاظ ذلك فاختةَ بنتَ قَرظَة، زوجة معاوية، فسمعت ذات ليلة غناءً عند عبد الله بن جعفر ، فجاءت الى معاوية فقالت : هلمّ فاسمع ما في منزل هذا الذي جعلته بين لحمك ودمك ، وأنزلته في دار حرمك .

فجاء معاوية فسمع شيئاً حرّكه وأطربه، وقال : والله إني

---

١ الهندي والغار نوعان من الشجر .

لأسمع شيئاً تكاد الجبال تَخِرّ له ، وما أظنُّـه إلاّ من تَلَقين الجن . ثم انصرف .

فلمّا كان من آخر الليـل سمع معاوية قراءة عبد الله وهو قائم يصلّي. فأنبه فاختة، وقال لها : اسمعي مكانَ ما أسمعتني، هؤلاء قومي ، مُلوك بالنهار رُهبان بالليل .

ثم إن معاوية أرِق ذاتَ ليلة فقال لخادمه خُديج : اذهب فانظُرُ مَن عند عبد الله ، وأخبِره بخُروجي إليه .

فذهب فأخبره . فأقام كلّ من كان عنده، ثم جاء معاوية ، فلم يَر في المجلس غيرَ عبدالله . فقال : مجلسُ مَن هذا ؟

قال : مَجلس فلان .

قـال مُعاوية : مُره يَرجعَ إلى مجلسه . ثم قـال : مَجلس من هذا ؟

قال : مجلس فلان .

قال : مُره يرجع إلى مجلسه . حتى لم يبق إلا مجلس رجل . فقال : مجلس من هذا ؟

قال : مجلس رجل يُداوي الآذان ، يا أمير المؤمنين .

قال له معاوية: فإنّ أذني عليلة، فمُرْه فليَرجع إلى موضعه. وكان موضع بُديح المغني . فأمره ابنُ جعفر ، فرَجع إلى موضعه . فقال له معاوية : داوِ أذني من عِلّتها .

فتناول العود ثم غنّى :

أمِن أمّ أوْفى دِمْنَةٌ لم تكلّمِ ،
بحَومانةِ الدّرّاج ، فالمُتثلّمِ

فحرّكَ عبدُ الله بن جعفر رأسَه . فقال معاوية : لِمَ حرّكت رأسكَ يابن جعفر ؟

قال : أريحية أجدها يا أميرَ المؤمنين ، لو لُقيتُ عندها لأبليتُ ، ولئن سئلتُ عندها لأعطيت .

وكان معاوية قد خَضَب . فقال ابن جعفر لبُديح : هات غير هذا .

وكانت عند معاوية جارية أعزّ جواريه عنده ، كانت متولّية خِضابه . فغنّاه بُديح :

أليس عِنْدكَ شُكر للتي جَعلت
ما ابيضّ من قادمات الشّعر ، كالحُمَمِ

وجَدّدت منك ما قد كان أخلقه
صَرْف الزّمان وطول الدّهر والقِدَمَ

فطرب مُعاوية طرباً شديداً ، وجعل يُحرك رجلَه . فقال ابنُ جعفر : يا أمير المؤمنين ، سألتَني عن تحريك رأسي ، فأخبرتُك . وأنا أسألك عن تحريك رجلك .

فقال معاوية : كل كَريم طَروب .

ثم قام وقال : لا يَبرح أحدٌ منكم حتى يأتيَه إذني .

فبعث إلى ابن جعفر بعشرة آلاف دينار ، ومائة ثوبٍ من خاصّ ثيابه ، وإلى كل رجل منهم بألف دينار وعشرة أثواب .

•

وعن ابن الكَلبي والهَيثم بن عديّ ، قالا : بينا عبدُ الله بن جعفر في بعض أزقّة المدينة إذ سمع غِناء ، فأصغى إليه ، فإذا بصوت شجيّ رقيق لِقَيْنة تُغني :

قُل للكِرام ببابنا يَلِجُوا ،
ما في التّصابي ، على الفتى ، حَرَجُ

فنزل عبدُ الله عن دابّته ودخل على القوم بلا إذن . فلما رأوه قاموا إليه إجلالاً له ورفعوا مجلسه . ثم أقبل عليه صاحبُ المنزل ، فقال : يابن عمّ رسول الله ، دخلتَ منزلنا بلا إذن وما كُنتَ لهذا بخليق .

فقال عبدُ الله : لم أدخل إلاّ بإذن .

قال : ومَن أذن لك ؟

قال : قَيْنتك هذه سمعتُها تقول :

قل للكرامِ ببابنا يلجوا

فولجنا ، فإن كنا كراماً فقد أذن لنـا ، وإن كنّا لئاماً خرجنا مَذمومين .

فضحك صاحبُ المنزل ، وقال : صدقتَ جُعلت فـداك ، ما أنت إلاّ من أكرم الأكرمين .

ثم بعث عبدُ الله الى جارية من جواريه فجاءت ، فقال لها : غنّي . فغنّت . فطرب القومُ وطرب عبدُ الله . فدعا بثياب وطيب ، فكَسا القوم وصاحبَ المـنزل وطيّبهم ، ووهب له الجارية ، وقال له : هذه أحذق بالغناء من جاريتك .

أخبار ابن أبي عتيق

ذكر رجل من أهل المدينة أنّ ابن أبي عَتيق ، وهو عبد الله ابن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، دخل على عائشة أم المؤمنين ، وهي عَمّته ، فوضع رأسَه في حِجرها أو على رُكبتها ، ثم رفع عقيرتَه يتغنّى :

ومُقَيَّدٍ حَجِلٍ جَررتُ برجلِه ،
بعد الهدوء ، له قوائم أربع[1]

فاطرب زمانَ اللهو من زمن الصِّبا ،
وانزع ، إذا قالوا أبى لك مَنزع[2]

فليأتينّ عليكَ يوماً ، مرةً ،
يُبكَى عليك مُقنَّعاً ، لا تَسمعُ

قالت له عائشة : يا بُني ، فاتّقِ ذلك اليوم .

•

---

١ الحجل : المقيد الذي يقفز على الرجلين معاً . الهدوء : الهزيع من الليل ، والهزيع : الطائفة من الليل او نحو ثلثه او ربعه ، وقيل ساعة منه .
٢ انزع : كفّ وانتهِ .

السائب راوية كُثَيِّر، قال : قال لي كثير يوماً : قُم بنا الى ابن أبي عتيق نتحدّث عنده . قال : فجئناه ، فوجدنا عنده ابنَ مُعاذ المغني ، فلمّا رأى كثيِّراً قال لابن أبي عتيق : ألا أغنّيك بشعر كثيِّر ؟ فاندفع يغني بشعره حيث يقول :

أبائنةٌ سُعدى ؟ نعم ، ستَبينُ ،
كما انبتّ من حَبل القرين قرينُ[1]

أإن زُمّ أجمالٌ وفارق جيرةٌ ،
وصاحَ غُراب البين ، أنتَ حزينُ ؟

فأخلفنَ ميعادي ، وخُنّ أمانتي ،
وليس ، لمن خانَ الأمانةَ ، دِينُ

فالتفت ابنُ أبي عتيق الى كثير فقال : ولِلدِّين صحبتهنّ يابن أبي جمعة ؟ ذاك والله أشبه بهنّ ، وأدعى للقلوب إليهنّ ؛ وإنما يُوصفن بالبُخل والامتناع ، وليس بالأمانة والوفاء . وابن قيس الرُّقيّات أشعر منك حيث يقول :

حبّذا الإدلالُ والغَنَجُ ، والتي في طرفها دَعَجُ
والتي إنْ حدّثت كذبت ، والتي في ثغرها فَلَجُ[2]

1 انبتّ : انقطع .
2 الفلج : التباعد بين الأسنان .

خبّروني : هل على رجلٍ عاشقٍ ، في قُبلةٍ ، حرج ؟[1]

فقال كثير : قُم بنا من عند هذا . ثم نهض .

•

وقال عبدُ الله بن جعفر لابن أبي عتيق : لو غنّتك فلانة جاريتي صوتاً ما أدركتك ذكاتُك[2] .

قال ابن أبي عتيق : قُل لها تفعل وليس عليك إن متُّ ضمان .

فأخذ بيده عبدُ الله بن جعفر وأدخله منزله ، ثم أمر الجارية فخرجت ، وقال لها : هاتي ، فغنّت :

بهواكِ صيّرني العذولُ نكالا ،
وجدَ السبيلَ الى المَقالِ ، فقالا[3]

ونهيت نومي عن جُفوني ، فانتهى ،
وأمرت ليلي أن يَطول ، فطالا

قال : فرمى بنفسه ابنُ أبي عتيق الى الأرض وقال : « فإذا وجَبَتْ جُنوبُها فكلُوا منها وأطعِمُوا القانِع والمُعترّ . »

•

---

١ الحرج : الاثم .
٢ ما ادركتك ذكاتك : اي متّ .
٣ نكالاً : اي عبرة للغير .

أبو القاسم جعفر بن محمد قال : لمّا وصف عبدُ الله بن جعفر لعبد الملك بن مروان ابن أبي عَتيق وحدّثه عن إقلاله وكثرة عياله ، أمره عبدُ الملك بن مروان أن يَبعث به إليه . فأعلمه ابنُ جعفر بما دار بينه وبين عبد الملك وبعثه إليه . فدخل ابنُ أبي عتيق على عبد الملك ، فوجده جالساً بين جاريتين قائمتين عليه ، تَميسان كغُصنَيْ بانٍ ، بيد كل جارية مِروحةٌ تُروّح بها عليه ، مكتوب بالذهب على المروحة الأولى :

إنني أجلبُ الرّيا	حَ ، وبي يَلعب الخَجَلْ
وحِجابٌ ، إذا الحبـ	يبُ ثنى الرأسَ للقُبَل
وغِياثٌ ، إذا النّدِيـ	م تغنّى ، أو ارتجل

وفي المروحة الأخرى :

أنا في الكَفّ لطيفهْ ،	مَسكني قصرُ الخليفهْ
أنا لا أصلُحُ إلاّ	لظريفٍ ، أو ظريفهْ
أو وصيفٍ حَسن القَـ	ـدّ ، شبيهٍ بالوصيفهْ

قال ابنُ أبي عتيق : فلمّا نظرتُ الى الجاريتين هوّنتا الدنيا عليّ ، وأنستاني سوء حالي ، وقلت : إن كانتا من الإنس فما نساؤنا إلاّ من البهائم . فكلما كررتُ بصري فيهما

تذكرت الجنة ، فاذا تذكرت امرأتي ، وكنتُ لها محبّاً ، تذكرت النار .

قال : فبدأ عبدُ الملك يتوجّع إليّ بما حكى له ابنُ جعفر عني ويُخبرني بما لي عنده من جميل الرأي . فأكذبتُ له كلّ ما حكاه له ابن جعفر عني ، ووصفتُ له نفسي بغاية المِلاء والجِدّة. فامتلأ عبدُ الملك سروراً بما ذكرتُ له، وغمّاً بتكذيب ابن جعفر. فلما عاد إليه ابنُ جعفر عاتبه عبدُ الملك على ما حكاه عني ، وأخبره بما حلّيتُ به نفسي. فقال : كذب والله يا أمير المؤمنين ، وإنه أحوجُ أهل الحجاز إلى قليل فضلك ، فضلًا عن كثيره.

ثم خرج عبدُ الله فلقيني فقال : ما حملكَ أن كذّبتني عند أمير المؤمنين ؟

قلت : أفكنتَ تُراني تُجالسني بين شمس وقمر ، ثم أتفاقر عنده ! لا والله ما رأيتُ ذلك لنفسي وإن رأيتَه لي .

فلما أعلم بذلك عبدُ الله بن جعفر عبدَ الملك بن مروان ، قال : فالجاريتان له .

قال : فلما صارتا إليّ زُرت عبدَ الله بن جعفر ، فوجدتُه قد امتلأ فرحاً، وهو يشرب وبين يديه عُسّ[1] فيه عسل ممزوجٌ بمسك وكافور . فقال : مَهْيَم[2] ؟

---

[1] العسّ : القدح الكبير .

[2] كلمة استفهام معناها : ما حالك ، او ما حدث لك .

قلت : قد والله قبضت الجاريتين .

قال : فاشرب .

فتناولت العُس ّ فجرَعت منه جرعة . فقال لي : زِد . فأبيتُ عليه . فقال لجارية له عنده تُغنيه : إنّ هذا قد حاز اليوم غَزالتين من عند أمير المؤمنين ، فخُذي في نَعتهما، فإنهما كما فَلكت[1] صُدورُهما .

فحرّكت الجارية العود ثم غنّت :

عَهدي بها في الحَيّ قد جُرّدت ،
زهراءَ ، مثلَ القمر الضامرِ

قد حجّم الثّديُ على نَحْرها ،
في مُشرفٍ ذي بَهجة ، ناضرِ[2]

لو أسندت مَيْتاً إلى صدرها ،
قام ، ولم يُنقَل إلى قابرِ

حتى يقولَ الناسُ ، مما رأوا :
يا عجبا للميّتِ الناشرِ !

---

١ فلكت الجارية : استدار ثديها .
٢ حجم الثدي : نهد وصار له نتوء وارتفاع . المشرف : اراد به الصدر .

قال : فلما سمعتُ الأبيات طربتُ ، ثم تناولتُ العُسَّ فشربت عَللًا بعد نهل[1] ، ورفعت عقيرتي أغني :

سقَوني ، وقالوا : لا تُغنِّ ، ولو سقَوا
جبالَ حُنينٍ ما سقَوني لغنَّتِ

قال : وخرج أبو السائب وابنُ أبي عتيق يوماً يتنزهان في بعض نواحي مكة ، فنزل أبو السائب ليبول وعليه طويلته ، فانصرف دونها . فقال له ابن أبي عتيق : ما فعلت طويلتك ؟ قال : ذكرت قولَ كُثيِّر :

أرى الإزار على لُبنى ، فأحسده ،
إنّ الإزار، على ما ضمّ، مَحْسودُ

فتصدقت بها على الشيطان الذي أجرى هذا البيت على لسانه. فأخذ ابن ابي عتيق طويلته فرمى بها وقال : أتسبقني أنت إلى برّ الشيطان ؟

•

سمع سليمانُ بن عبد الملك مُغنّياً في عسكره فقال: اطلبوه. فجاءوا به . فقال : أعِدْ عليّ ما تغنيتَ به . فغنّى واحتفل .

---

١ العلل : الشرب الثاني . والنهل : الشرب الاول .

وكان سليمان أغير الناس، فقال لأصحابه : كأنها والله جَرجرة الفَحل في الشَّول . وما أحسب أنثى تَسمع هذا إلا صَبَت . وأمر به فخُصي .

•

وقالوا : إن الفرزدق قدم المدينةَ فنزل على الأحوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح، صاحب النبي صلى الله عليه وسلم، وهو الذي حَمت لحمه الدَّبْر[1]، فقال الأحوص : ألا أسمعك غِناء ؟

قال : تَغَنَّ .

فغنّاه :

أتنسى، إذ تُودّعنا سُليمى بعُود بَشامة، سُقي البَشام[2]
بنفسي مَن تَجنُّبه عزيزٌ عليّ، ومَن زيارته لِمام[3]
ومَن أمسي وأصبح لا أراه، ويَطرُقني، إذا هَجَع النِّيام

فقال الفرزدق : لمن هذا الشعر ؟

---

١ الدبر : جماعة النحل والزنابير .
٢ البشام : شجر طيب الرائحة تتخذ عيدانه لاخراج ما دخل بين الاسنان من الطعام . الواحدة بشامة .
٣ لمام : زيارة غير طويلة .

قال : لجرير . ثم غنّاه :

إنّ الذين غدوا بلُبِّك غادروا
وشَلاً بعَينك ، ما يزال مَعينا[1]

غَيَّضن من عَبَراتهن ، وقُلن لي:
ماذا لقيتَ من الهَوى ولقينا ؟[2]

فقال : لمن ذا الشعر ؟

فقال : لجرير . ثم غنّاه :

أسرى ، لخالدةَ ، الخَيالُ ، ولا أرى
شيئاً ألذّ من الخَيال الطارقِ[3]

إنّ البليّة مَن يُمَـــلُّ حديثه ،
فانقَع فؤادك من حديث الوامق[4]

فقال : لمن هذا الشعر ؟ فقال : لجرير . فقال : ما أحوجَه

---

١ اللب : العقل . الوشل : الدمع . المعين : الجاري .
٢ غيض : حبس .
٣ اسرى : سار ليلاً . خالدة : اسم زوجة جرير .
٤ انقع : ارو . الوامق : المحب .

مع عَفافه إلى خُنوثة[1] شعري ، وما أحوجني مع فُسوقي إلى رقّة شعره .

•

وقال جرير : والله لولا ما شُغلت به من هذه الكِلاب لشبّبت تَشبيباً تحنّ منه العجوز إلى أيام شبابها ، حَنينَ الجَمل إلى عَطَنه[2] .

•

وقال الأحوص يوماً لمعبد : امضِ بنا إلى عَقيلة حتى نتحدّث إليها ونَسمع من غنائها وغناء جواريها .

فمَضيا ، فألفيا على بابها مُعاذاً الأنصاريّ ، وابن صياد . فاستأذنوا عليها ، فأذنت لهم إلا الأحوصَ ، فإنها قالت : نحن على الأحوص غِضاب . فانصرف الأحوص وهو يلوم أصحابَه على استبدادهم بها ، وقال :

ضَنّت عَقيلةُ عنك ، اليومَ ، بالزادِ ،
وآثرتْ حاجة الساري على الغادي

---

١ الخنوثة ، من خنث الرجل : كان فيه تكسر ولين وتثنٍّ ، فكان على صورة الرجال واحوال النساء .
٢ عطنه : مبركه .

قُولا لِمنزلها : حُيّيتَ مِن طَلَلٍ ،
وللعَقيق : ألا حُيّيتَ مِـن وادي

إذاً وهبتُ نَصيبي ، من مودّتهـــا ،
لمَعبدٍ ، ومُعـــاذٍ ، وابن صيّاد

●

وجعل رجل يترنّم في مسجد المدينـة ورجـل من قُريش يسمع ، فأخذه بعضُ القَوَمَة[1] ، فقـالوا : يا عدوّ الله ، أتغني في المَسجد الحرام ! وذهبوا بـه إلى صاحب الحُكم . وأتبعهم القرشي ، فقـال لصاحب الحـكم : أصلحك الله ، إنما كان يقرأ . فأطلق سبيلَه . فقال له القرشي : والله لولا أنـك أحسنتَ في غنائك، وأقمت داراتِ معبد، لكنتُ عليك أشد من الأعوان .

والصوت المنسوب إلى دارات معبد قولُ أعشى بكر :

هُريرةُ ، وَدّعها ، وإنْ لام لائمُ ،
غداة غدٍ ، أم أنت للبين واجمُ؟

●

ويروى أنّ معبداً دخل على قُتيبة بن مسلم والي خراسان ، وقد فتح خمس مدائن ، فجعل يَفخر بها عند جلسائه . فقال له

---

١ القومة : المتولون امر المسجد .

معبد : والله لقد صُغتُ بعدك خمسة أصوات إنها لأكثر من خمسِ المدائن التي فتحت .

والأصوات هي :

الأول :

وَدّع هُريرةَ ، إنّ الركبَ مرتحلُ ،
وهل تُطيق وداعاً أيها الرجلُ ؟[١]

والثاني :

هُريرة وَدّعْها ، وإن لام لائمُ ،
غداةَ غـدٍ ، أم أنت للبينِ واجمُ ؟

والثالث :

وَدّع لُبانـةَ ، قبل أن تترحّلا ،
واسبِل ، فإنّ سبيلَه أن يُسبلا

والرابع :

لعمري ، لئن شَطّت بعثمةَ دارُها ،
لقد كِدتُ من وَشْك الفِراق أليحُ[٢]

---

١ البيت للأعشى .
٢ عثمة : امرأة . أليح : أشفق وأجزع . والبيت لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة الفقيه .

والخامس :

تُغِذُّ بيَ الشهباءُ نحو ابن جعفر،
سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها[1]

•

---

[1] تغذ بي : تسرع في سيرها .

اصل الغناء ومعدنه

قال أبو المنذر هشام بن الكلبيّ : الغِناء على ثلاثة أوجه : النَّصْب والسِّناد والهَزَج . فأمّا النصب فغِناء الركبان والقَينات . وأمّا السِّناد فالثقيل الترجيع الكثير النغمات . وأمّا الهَزَج فالخفيف كُلّه ، وهو الذي يثير القلوب ويهيج الحليم . وإنما كان أصل الغناء ومعدنه في أمهات القرى من بلاد العرب ظاهراً فاشياً ، وهي المدينة والطائف وخيبر ووادي القرى ودومة الجندل واليمامة ، وهذه القرى مجامع أسواق العرب .

•

وقيل إن أوّل مَن صنع العود لامَك بن قابيل بن آدم ، وبكى به على ولده .

ويقال : إنّ صانعه بطليموس صاحب كتاب الموسيقى ، وهو كِتاب اللحون الثمانية .

•

وكان أوّل من غنّى في العرب قينتان لعاد ، يقال لهما الجرادتان ، ومن غنائهما :

ألا يا قَيلُ ويحك ، قُم فهَيْنِم ،
لعلَّ اللهَ يُصبحنا غَماما[1]

وإنما غنّتا بهذا حين حُبس عنهما المطر .

وكانت العربُ تسمّي القينةَ الكَرينة ، والعود الكِران.

والمِزهر أيضاً هو العود ، وهو البَربط .

وكان أول من غنّى في الاسلام الغناءَ الرقيق ُطويسُ ، وهو علّم ابن سريج ، والدّلال ، ونومة الضُحى ، وكان يكنى أبا عبد النعيم ، ومن غِنائه وهو أول صوت غُنّي به في الاسلام :

قد براني الشوقُ ، حتى كدتُ ،من شوقي ،أذوبُ

---

١ القيل : الملك دون الملك الاكبر . هينم : صوّت بصوت خفيّ ، وأريد به هنا الدعاء .

اخبار المغنين

أولهم طويس ، وكان في أيام عثمان رضي الله عنه .

حدثنا جعفر بن محمد قال : لما وَلي أبانُ بن عثمان بن عفان المدينةَ لمعاوية بن أبي سفيان قعد في بَهوٍ له عظيم ، واصطفّ له الناس ، فجاءه طويس المغني ، وقد خضب يديه غمساً واشتمل على دفٍّ له ، وعليه مُلاءة مصقولة ، فسلّم ، ثم قال : بأبي وأمي يا أبان ، الحمد لله الذي أرانيك أميراً على المدينة ، إني نذرتُ لله فيك نذراً إن رأيتُك أن أخضب يديّ غمساً وأشتمل على دفّي وآتي مجلسَ إمارتك وأغنيك صوتاً .

قال : فقال : يا طويس ، ليس هذا موضع ذاك .

قال : بأبي أنت وأمي يابن الطيب أبِحني .

قال : هاتِ يا طويس .

فحسر عن ذراعيه وألقى رداءه ومشى بين السماطين وغنّى :

ما بال أهلكِ ، يا ربابُ ، خزراً كأنهم غِضابُ ؟

قال : فصفّق أبان بيديه ثم قام عن مجلسه ، فاحتضنه وقبّل

بين عينيه ، وقال : يلومونني على طُويس ! ثم قال له : من أسنُّ ، أنا أو أنت ؟

قال : وعيشِك لقد شهدتُ زفاف أمّك المباركة إلى أبيك الطيب .

انظر الى حذقه ورقّة أدبه ، كيف لم يقل : أمّك الطيبة الى أبيك المبارك

•

وعن ابن الكلبيّ قال : خرج عمرُ بن عبد العزيز الى الحج وهو والي المدينة ، وخرج الناس معه ، وكان فيمن خرج بكر ابن اسماعيل الأنصاري وسعيد بن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت ، فلمّا انصرفا راجعين مرّا بطويس المغني ، فدعاهما الى النزول عنده . فقال بكر بن اسماعيل : قُد البعيرَ إلى منزلك .

فقال له سعيد بن عبد الرحمن : أتنزل على هذا المخنّث ؟

فقال : إنما هو منزل ساعة ثم نذهب .

فاحتمل طويس الكلام على سعيد . فأتيا منزله ، فاذا هو قد نظّفه ونجّده ، فأتاهما بفاكهة الشام ، فوضعها بين أيديهما ، فقال له بكر بن اسماعيل : ما بقي منك يا طويس ؟

قال : بقي كلّي يا أبا عمرو .

قال : أفلا تُسمعنا من بقاياك ؟

قال : نعم .

ثم دخل خيمته فأخرج خريطة ، وأخرج منها دُفّاً ، ثم نقر وغنّى :

يا خليليّ ، نابني سُهُدي، لم تَنم عيني ، ولم تَكَدِ
كيف تَلْحوني على رجل مُؤنسٍ ، تَلتذّه كبدي
مثلِ ضَوءِ البدر صورتُه، ليس بالزُّمَّيلة النَّكِدِ[1]
مِن بني آلِ المُغيرة ، لا خاملٍ نِكْسٍ،ولا جَحِدِ[2]
نَظرتْ عيني، فلا نظرت، بعده ، عيني إلى أحـــد

ثم ضرب بالدُّفّ الارضَ والتفت إلى سعيد بن عبد الرحمن، فقال : يا أبا عثمان ، أتدري من قائل هذا الشعر ؟

قال : لا .

قال : قالته خولة بنت ثابت عمّتك في عُمـارة بن الوليد ابن المُغيرة .

ونهض . فقال له بكر : لو لم تَقُل ما قلتــه لم يُسمعك ما أسمعك .

---

١ الزُّمَّيلة : الضعيف الجبان . النكد : العسر القليل الخير .
٢ الخامل : الساقط لا نباهة له . النكس : الضعيف الدنيء لا خير فيه . الجحد : القليل الخير .

وبلغت القصة عمرَ بن عبـــد العزيز فأرسل إليهما فسألهما فأخبراه ، فقال : واحدة بأخرى والبادي أظلم .

•

الأصمعيّ قال : حدثني رجل من أهل المدينـة قال : كان طُويس يتغنّى في عُرس رجل من الانصار ، فدخل النّعمانُ ابنُ بشير العُرس وطويس يتغنّى :

أجَدَّ ، بعَمرةَ ، غُنيانُها ، فتَهجُرَ ، أم شأننا شأنُها؟[١]

وعمرةُ من سَرواتِ النسا ء، تنفَحُ ، بالمسك ، أردانُها

فقيل له : اسكت اسكت، لأن عمرة أم النّعمان بن بشير، فقال النعمان : إنه لم يقل بأساً ، إنما قال :

وعمرةُ من سَرواتِ النسا ء، تنفَحُ ، بالمسك ، أردانُها

•

وكان مع طُويس بالمدينة ابن سريج والدّلال ونَومة الضُّحى، ومنه تعلمّوا . ثم نجم بعـد هؤلاء سَلْم الخاسر ، وكان في صُحبة عبد الله بن جعفر . وعنه أخذ معبد الغناء .

•

ثم كان ابن ابي السّمح الطائي ، وكان يتيماً في حجر عبد الله

---

١ الشعر لقيس بن الخطيم .

ابن جعفر ، وأخذ الغناء عن مَعبد ، وكان لا يضرب بعود ، إنما يغني مرتجلاً ، فإذا غنّى لمعبد صوتاً حقّقه ، ويقول : قال الشاعر فلان ، ومطّطه معبد وخففتُه أنا . ومن غنائه :

نامَ صَحبي ، ولم أنمْ ، لِخَيالٍ بنا ألمّ
إنّ ، في القصر ، غادةً ، كحلت مُقلَتي بدَم

•

وكان معبد والغَريض بمكة . ولمعبد أكثرُ الصناعة الثقيلة . ولما قدمت سكينةُ بنت الحُسين عليهما السلام مكة أتاها الغريضُ ومعبد فغنّياها :

عُوجي علينا ، ربّة الهودجِ ، إنك إلاّ تَفعلي تَحرجي[1]

قالت : والله ما لكما مَثل إلاّ الجَدْي الحار والبارد ، لا يُدرى أيهما أطيب .

•

قال إسحاق بن إبراهيم : شَهِد الغريضُ ختاناً لبعض أهله ، فقال له بعض القوم : غنِّ . فقال : هو ابنُ الزانيةِ إن غنّى . قال له مولاه : فأنت والله ابنُ الزانية ، فغنِّ . قال : أكذلك أبا عَبدل ؟ قال : نعم . قال : أنت أعلم . فغنّى :

---

[1] تحرجي : تأثمي . والبيت للعرجي .

وما أنسَ م الأشياءِ، لا أنسَ شادناً ،
بمكة ، مَكحولاً ، أسيلاً مدامعُه[1]

تشرّبَ لونَ الرّازقيّ بياضُه ،
وبالزّعفرانِ خالطَ المسكُ رادعُه[2]

فلوت الجنّ عنقه فمات . وقال غير إسحاق : بل غنى :

أمِن مَكتومةَ الطّللُ يلوح ، كأنه خَلَل[3]

لقد نزلوا قريباً منـ ك ، لو نفعوك إذ نزلوا

تحاولني لتقتلني ، وليس بعينها حَوَلُ

•

ثم نجم ابن طُنبورة ، وأصله من اليمن ، وكان أهزج الناس وأخفّهم غناء ، ومن غنائه :

وفتيانٍ على شَرفٍ جميعاً ،
دَلفتْ لهم بباطيةٍ تدُور[4]

---

١ م الأشياء : من الأشياء . الشادن : الظبي . الأسيل : الصقيل .
٢ الرازقي : العنب الأبيض . رادعه : خالطه .
٣ الخلل : المنفرج بين الشيئين ، والوهن ، والفساد . ولعله بكسر الخاء وهو البقية من الطعام بين الاسنان فيكون المعنى ان هذا الطلل لم يبق منه الا بقية .
٤ الباطية : اناء من الزجاج يملأ من الشراب .

كأني لم أصِدْ فيهم ببازٍ ،
ولم أطْعِم ، بعرصتهم ، صُقوري[1]

فلا تَشرب بلا لهوٍ ، فإني
رأيتُ الخيل تشرب بالصَّفير

ويقال انه حضر مجلساً لرجل من الأشراف إلى ان دخل عليهم صاحبُ المدينة . فقيل له : غَنّ ، فغنى :

ويلي من الحيَّةِ ، ويلٌ ليه ،
قد عشَّش الحيَّةُ في بيتيه

فضحك صاحبُ المدينة ووصله .

•

ومنهم : حكم الوادي ، وكان في صحبة الوليد بن يزيد ويغني بشعره ، ومن غنائه :

خفَّ من دار جيرتي ، يابنَ داودَ ، أنسُها
قد دنا الصبحُ ، أو بدا ، وهي لم يُقضَ لُبسُها
فمتى تخرجُ العرو سُ ، لقد طال حبسُها
خرجتْ بين نسوةٍ ، أكرمُ الجنسِ جنسُها[2]

•

[1] العرصة : ساحة الدار .
[2] الشعر للوليد بن يزيد .

وكان بالشام أيام الوليد بن يزيد، مُغَنٍّ، يقال له الغُزَيِّل، ويُكنى أبا كامل، وفيه يقول الوليد بن يزيد:

مَن مُبلغٌ عنّي أبا كاملٍ أني، إذا ما غابَ، كالهاملِ؟

ومن غنائه:

امدح الكأسَ ومن أعملَها،
واهجُ قوماً قتلونا بالعَطَش

إنما الكأسُ ربيعٌ باكر،
فإذا ما لم نذُقها لم نَعِش[1]

•

وكان لهارون الرشيد جماعةٌ من المغنين، منهم إبراهيم الموصلي، وابنُ جامع السهمي، ومخارق، وطبقة اخرى دونهم؛ منهم: زلزل، وعمرو الغزّال، وعلّويه. وكان له زامر يقال له بَرصوما.

وكان إبراهيم أشدّهم تصرّفاً في الغناء، وابنُ جامع أحلاهم نغمة. فقال الرشيد يوماً لبرصوما: ما تقول في ابن جامع؟ فقال: يا أمير المؤمنين، وما أقول في العسل الذي من حيثما ذقته فهو طيّب؟

---

١ الشعر لنابغة بني شيبان.

قال : فإبراهيم الموصلي ؟

قال : هو بستان فيه جميع الثمار والرياحين .

قال : فعمرو الغزال ؟

قال : هو حسن الوجه يا أمير المؤمنين .

•

قال إسحاق : قلت ليوسف : من احسن الناس غناء ؟

قال : ابن مُحرز .

قلت : وكيف ذلك ؟

قال : إن شئتَ أجملتُ وإن شئت فصّلت .

قلت : أجمل !

قال : كان يغني كلّ إنسان بما يشتهي ، كأنه خُلق من قلب كلّ إنسان .

•

وكان إبراهيم أوّل من وقّع الايقاع بالقضيب .

•

وحدّث يحيى بن محمد قال : بينا نحن على باب الرشيد ننتظر الاذن ، إذ خرج الآذن ، فقال لنا : أمير المؤمنين يقرئكم السلام . قال : فانصرفنا . فقال لنا إبراهيم : تصيرون الى منزلي ؟ قال : فانصرفنا معه . قال : فدخلتُ داراً لم أر

أشرف منها ولا أوسع، وإذا أنا بأفرشة خزّ مظهّرة بالسنجاب[1]. قال: فقعدنا، ثم دعا بقدح كبير فيه نبيذ، وقال:

اسقِني بالكبير إني كبيرُ،
إنما يشرب الصغيرَ صغيرُ

ثم قال:

اسقِني قهوةً بكوبٍ كبيرٍ،
ودَعِ الماءَ كلّه للحميرِ

ثم شرب بـه، وأمر به فملىء، وقال لنا: إنّ الخيل لا تشرب إلاّ بالصفيرِ. ثم أمر بجوارٍ، فأحطن بالدار. فما شبّهت أصواتهنّ إلاّ بأصوات طيرٍ في أجَمة يتجاوَبنَ.

•

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي: لمّا أفضت الخلافـة الى المأمون أقـام عشرين شهراً لم يسمع حرفاً من الغناء، ثم كان أول من تغنّى بحضرته أبو عيسى. ثم واظب على السّماع وسأل عني، فجرحني عنـده بعضُ مَن حسَدني، فقال: ذلك رجل يتيه على الخلافة. فقال المأمون: ما أبقى هذا من التيه شيئاً،

---

[1] السنجاب: حيوان أكبر من الجرذ له ذنب طويل كثيث الشعر يرفعه صعداً تتخذ منه الفراء.

وأمسك عن ذكري . وجفاني كلُّ من كان يَصلني ، لِما ظَهر من سوء رأيه . فأضرَّ ذلك بي ، حتى جاءني يوماً علّويه فقال لي : أتأذن لي اليوم في ذكرك ؟ فإني اليوم عنده .

فقلت : لا ولكن غَنّه بهذا الشعر ، فإنه سيبعثه على أن يسألك : من أين هذا ؟ فينفتح لك ما تريد ، ويكون الجواب أسهلَ عليك من الابتداء .

فمضى علّويه . فلما استقرّ به المجلسُ غنّاه الشعرَ الذي أمرته به ، وهو :

يا مَشرعَ الماءِ ، قد سُدّت مسالكُه ،
أما اليك سبيلٌ غيرُ مَسدودِ

لحائمٍ حار ، حتى لا حياةَ به ،
مُشرّدٍ عن طريق الماء مَطرودِ[1]

فلما سمعه المأمون قال : ويلك ! لمن هذا ؟

قال : يا سيدي ، لعبد من عَبيدك جفوته واطّرحته .

قال : إسحاق ؟

قال : نعم .

---

[1] الحائم : العطشان .

قال : ليحضُر الساعة .

قال إسحاق : فجاءني الرسول ، فسرتُ اليه . فلما دخلت ، قال : ادنُ ، فدنوت . فرفع يديه مادّهما ، فاتكأتُ عليه ، فاحتضنَني بيديه ، وأظهر من إكرامي وبرّي ما لو أظهره صديق لي مواسٍ لسرّني .

•

سمعتُ[1] إسحاق الموصلي يقول : حضرت مسامرةَ الرشيد ، ليلةً ، عَبْثراً المغني ، وكان فصيحاً متأدباً ، وكان مع ذلك يغني الشعر بصوت حسن . فتذاكروا رقة شعر المدنيين، فأنشد بعضُ جلسائه ابياتاً لابن الدُّمينة حيث يقول :

وأذكُر أيام الحِمى ، ثم أنثني
على كَبدي ، من خَشيةٍ أن تَصدّعا

وليست عشيّات الحِمى براجع
عليك ، ولكنْ خَلّ عينيك تَدمعا

بكتْ عينيَ اليمنى ، فلما زجرتها
عن الجهل بعد الحِلم ، أسبلتا معا

فأعجب الرشيد برقة الابيات . فقال له عَبْثر : يا أمير

---

١ الحديث للحارث بن عبيد الله .

المؤمنين ، إنّ هذا الشعر مدني رقيق ، قد غُذي بماء العقيق ؛ حتى رقّ وصفا ، فصار أصفى من الهوا ؛ ولكن إن شاء أميرُ المؤمنين أنشدته ما هو أرقّ من هذا وأحلى ، وأصلب واقوى، لرجل من أهل البادية .

قال : فإني أشاء .

قال : وأتوتّم به يا أميرَ المؤمنين ؟

قال : وذلك لك .

فغنّى لجرير :

إنّ الذين غدَوا بلُبّـك غادروا
وشَلاً بعينك ، لا يزال مَعينا

غيّضن من عَبراتِهِنّ، وقُلن لي:
ماذا لقيتَ، من الهوى ، ولَقِينا؟

روحوا العشيّةَ روحةً مذكورة ،
إن حِرنَ حِرنا ، او هُدِينَ هُدينا

فرمَوا بِهِنّ سَواهماً، عَرْضَ الفلا،
إن متنَ مِتْنا ، او حَيِينَ حَيِينا[1]

قال : صدقت يا عبثر ، وخلع عليه وأجازه .

●

---

[1] السواهم : النياق الضوامر ، الواحدة ساهمة .

وكان لابراهيم الموصلي عبدٌ أسود يقال له زِرياب ، وكان مطبوعاً على الغناء ، علّمه ابراهيم ، وكان ربما حضر به مجلس الرشيد يُغني فيه . ثم إنه انتقل إلى القيروان الى بني الاغلب ، فدخل على زيادة الله بن إبراهيم بن الاغلب، فغنّاه بأبيات عنترة الفوارس ، حيث يقول :

فإن تَـكُ أمّي غُرابيّةً ، مِنَ ابناء حامٍ ، بها عِبتَني
فإنّي لطيفٌ بِبيض الظُّبى، وسُمر العَوالي ، إذا جِئْتَني
ولولا فِرارُك ، يوم الوغى، لقدتُك في الحرب، او قُدتَني[1]

فغضب زيادة الله : فأمر بصَفع قفاه واخراجه ، وقال له : إن وجدتُك في شيء من بلدي ، بعد ثلاثة أيام ، ضربتُ عنقك. فجاز البحرَ الى الأندلس ، فكان عند الامير عبد الرحمن بن الحَكم .

•

وكان في المدينة في الصدر الأول مُغنٍّ يقال له قَند ، وهو مولى سعد بن أبي وقّاص . وكانت عائشة أم المؤمنين ، رضي الله عنها ، تَستظرفه ، فضربه سعد ، فحلفت عائشة لا تكلمه

---

١ لقدتك : اي لقدتك اسيراً .

حتى يرضى عنه قَنَد. فدخل عليه سعد وهو وَجِــع من ضربه ، فاسترضاه ، فرضي عنه ، وكلمته عائشة .

•

وكان مُعاوية يُعقِب بين مروان بن الحكم وسَعيد بن العاص على المدينة ، يستعمل هذا سنةً وهذا سنة ، وكانت في مروان شدّة وغِلظة، وفي سعيد لِين عَريكة وحِلم وصَفح. فلقي مروانُ ابن الحكم قَنَداً المغني ، وهو مَعزول عن المدينة وبيده عُكازة، فلما رآه قال :

قل لقندٍ يُشيّع الأظعانا ، ربما سَرّ عَينَنا وكَفانا

قال له قند : لا إله إلا الله ، ما أسمَجك والياً ومعزولاً .

•

وروى ابن الكَلبي عن أبيه قــال : كان ابنُ عائشة مــن أحسن الناس غناء وأنبههم فيه وأضيقهم خُلقاً ، إذا قيل له غَنّ يقول : أوَ لمثلي يُقال هذا ؟ عليّ عِتقُ رقبة إن غنيتُ يومي هذا . فإن غنى وقيل له: أحسنت . قال : لمثلي يُقال أحسنت؟ عليّ عِتق رقبة إن غنيتُ سائر يومي هذا .

فلما كان في بعض الأيام سال وادي العقيق، فجاء بالعَجب، فلم يبق بالمدينة مُخبّأة ولا شابّة ولا شابّ ولا كَهلٌ إلا خرج

يُبصره، وكان فيمن خرج ابن عائشة المُغني، وهو مُعتجر بفضل ردائه ، فنظر إليه الحسنُ بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، وكان فيمن خرج إلى العقيق ، وبين يديه أسودان كأنهما ساريتان ، يَمشيان بين يديه أمام دابته ، فقال لهما : أنتما حُران لوجه الله ، إن تفعلا ما آمركما به ، وإلاّ أقطعكما إرْباً إرْباً ، اذهبا إلى ذلك الرجل المُعتجر بفضل ردائه ، فخُذا بضَبْعيه ، فإن فعل ما آمرُه به ، وإلا فاقذفا به في العَقيق .

قال : فمضيا والحسن يَقفوهما . فلم يشعر ابن عائشة إلا وهما آخذان بضَبْعيه . فقال : مَن هذا ؟

فقال له الحسن : أنا هذا يابن عائشة .

قال : لبَيك وسَعديك ، وبأبي أنت وأمي .

قال : اسمع مني ما أقول ، واعلم أنك مأسور في أيديهما، هما حُران ، إن لم تُغنّ مائةَ صوتٍ ، إن لم يَطرحاك في العَقيق ، ولئن لم يفعلا ذلك لأقطعنّ أيديهما .

فصاح ابن عائشة : يا ويلاه ! واعظم مُصيبتاه !

قال : دَع من صياحك وخُذ فيما يَنفعنا .

قال : اقترح وأقم مَن يُحصي .

وأقبل يغني. فترك الناسُ العقيق وأقبلوا عليه. فلما تَمّت أصواته مائة كبّر الناسُ بلسان واحد تكبيرةً واحدة ارتجت

لها أقطار المدينة ، وقالوا للحسن : صلى الله على روحك حيّاً وميتاً، فما اجتمع لأهل المدينة سرورٌ قط إلا بكم أهلَ البيت.

فقال له الحسن : إنما فعلت هـذا بك يابن عائشة لاخلاقك الشكِسة .

قال له ابنُ عائشة : والله ما مرّت عليّ مصيبة أعظم منها . لقد بلغتْ أطراف أعضائي .

فكان بعد ذلك إذا قيل له : ما أشد ما مرّ عليك ؟ قال : يوم العقيق .

•

وكان إبراهيم بن المهدي ، وهو الذي يقال له ابن شكلة[١] ، داهياً عاقلاً عالماً بأيام الناس، شاعراً مُفلقاً، وكان يصوغ فيُجيد.

ويروى عن إبراهيم أنه قد كان خالف على المأمون ودعا إلى نفسه ، فظفر به المأمونُ فعفا عنه ، وقال لما ظَفر به المأمون:

ذهبتُ من الدُّنيا ، كما ذَهبت منّي ،
هَوى الدّهرُ بي عنها ، وأهوى بها عنّي

فإن أبكِ نَفسي أبكِ نفساً عزيزةً ؛
وإن أحتسبْها أحتسبْها على ضَنّ

---

١ شكلة : اسم امّه .

فلما فُتِحت له أبوابُ الرّضا من المأمون غنى بهما بين يديه.

فقال له المأمون : أحسنت والله يا أمير المؤمنين .

فقام إبراهيم رهبةً من ذلك ، وقال : قتلتني والله يا أمير المؤمنين ، لا والله لا أجلس حتى تسميني باسمي .

قال : اجلس يا إبراهيم .

فكان بعد ذلك آثَر الناس عند المأمون ، ينادمه ويسامره ويُغنيه . فحدّثه يوماً فقال : بينا أنا مع أبيك يوماً ، يا أمير المؤمنين، بطريق مكة إذ تخلّفتُ عن الرُّفقة وانفردت وحدي وعطشت، وجعلتُ أطلب الرُّفقة، فأتيت إلى بئر، فإذا حبشيٌّ نائم عندها ، فقلت له : يا نائم ، قُم فاسقني .

فقال : إن كنت عطشانَ ، فانزل واستقِ لنفسك .

فخطر صوتٌ ببالي ، فترنّمت به، وهو :

كَفّناني ، إن مِتّ ، في دِرْع أروَى،
واسقياني ، من بئر عُروة ، مائي

فلما سَمعني قام نشيطاً مسروراً وقال : والله هذه بئر عُروة ، وهذا قبره . فعجبت يا أمير المؤمنين لِمَا خطر ببالي في ذلك الموضع . ثم قال : أسقيك على أن تُغنيني ؟

قلت : نعم .

فلم أزل أغنيه وهو يجبذ[1] الحبل، حتى سقاني وأروى دابتي، ثم قال : أدلك على موضع العسكر على أن تغنيني ؟

قلت : نعم .

فلم يزل يعدو بين يديّ وأنا أغنيه حتى أشرفنا على العسكر فانصرف . وأتيت الرشيدَ فحدّثته بذلك فضحك . ثم رجعنا من حَجّنا ، فإذا هو قد تلقاني وأنا عَديل الرشيد ، فلما رآني قال : مُغنٍّ والله !

قيل له : أتقول هذا لأخي أمير المؤمنين ؟

قال : إي لعمر الله ، لقد غنّاني، وأهدى إليّ أقِطاً[2] وتمراً. فأمرتُ له بصلة وكُسوة ، وأمر له الرشيد بكُسوة أيضاً .

فضحك المأمون ، وقال : غنّني الصوت .

فغنّيتُه ، فافتتن به . فكان لا يقترح عليّ غيرَه .

•

وكان مُخارِق وعلّويه قد حرّفا القديم كُلّه ، وصيّرا فيه نغماً فارسية ، فإذا أتاهما الحجازيّ بالغناء الأول الثقيل قالا : يحتاج غناؤك الى قَصّار .

---

١ يجبذ : يجذب .
٢ الأقط : الجبن .

واسمُ عَلُّويه عليّ بن عبد الله بن سيف بن يوسف ، مولى لبني أمية .

•

وكان زلزل أضرب النـاس بوتر ، لم يكن قبله ولا بعده مثله . ولم يكن يُغنّي ، وإنما كان يضرب على إبراهيم وابن جامع وبَرصوما .

ومن غنائه في المأمون :

ألا إنما المأمون ، للناس ، عِصمةٌ ،
مميّزةٌ بين الضّلالةِ والرُّشدِ

رأى اللهُ عبدَ الله خيرَ عباده ،
فملّكه ، واللهُ أعلمُ بالعبدِ

•

حدّث سعيد بن محمـد العجلي عن الأصمعيّ قال : كان أبو الطّمحان القيني، حنظلةُ بن الشرقي، شاعراً مجيداً ، وكان مع ذلك فاسقاً ، وكان قـد انتجع يزيدَ بن عبد الملك ، فطلب الاذنَ عليه أياماً ، فلم يصل ، فقـال لبعض المُغنّين : ألا أعطيك بيتين من شعري تُغني بهما أميرَ المؤمنين ؟ فإن سألك مَن قائلهما فأخبره أنّي بالباب ، وما رزقني الله منه فهو بيني وبينك . قال : هات . فأعطاه هذين البيتين :

يكادُ الغمامُ الغرُّ يُرعِدُ إن رأى
مُحيَّا ابنِ مَروانٍ ، وينهلُّ بارقُه

يظلُّ فتيتُ المسكِ ، في رونقِ الضُّحى ،
تسيلُ بـه أصداغُه ومفـــارقه

قال : فغنَّتني بهما في وقت أريحية ، فطرب لهما طرباً شديداً ، وقال : للهِ دَرُّ قائلِهما ، مَن هو ؟

قال : أبو الطَّمحان القَيني ، وهو بالباب يا أمير المؤمنين .

قال : ما أعرفُه .

فقال له بعض جلسائه : هو صاحب الدير يا أمير المؤمنين .

قال : وما قِصة الدير ؟

قال : قيل لأبي الطمحان : ما أيسر ذنوبك ؟ قـال : ليلة الدير . قيل له : وما ليلة الدير ؟ قال : نزلت ذات ليلة بـدير نصرانية فأكلتُ عندها طَفيشَلاً[1] بلحم خِنزير ، وشربت من خمرها ، وسرقتُ كساءها ومضيت .

فضحك يزيد وأمر له بألفي درهم ، وقال : لا يدخل علينا . فأخذها أبو الطَّمحان وانسلَّ بها وخيَّب المُغني .

•

---

١ الطفيشل : نوع من المرق .

خرجتُ[١] يوماً الى المسجد الجامع ، ومعي قرطاسٌ لأكتب فيه بعض ما أستفيده من العلماء . فمررتُ بباب أبي عيسى بن المتوكل ، فإذا ببابه المسدودُ ، وكان من أحذق الناس بالغناء ، فقال : أين تريد يا أبا عكرمة ؟

قلت : الى المسجد الجامع لعلّي أستفيد فيه حكمةً أكتبها.

فقال : ادخل بنا على ابي عيسى .

قال : فقلتُ : مثل أبي عيسى في قدره وجلالته يُدخل عليه بغير إذن !

قال : فقال للحاجب : أعلم الأمير بمكان أبي عِكرمة .

قال : فما لبث إلاّ ساعة حتى خرج الغلمان فحملوني حَملاً. فدخلتُ إلى دارٍ ، لا واللهِ ، ما رأيتُ أحسنَ منها بناء ، ولا اطرفَ فرشاً ، ولا صباحةَ وجوه . فحين دخلنا نظرتُ إلى أبي عيسى . فلمّا أبصرني قال لي : يا بغيض ، متى تحتشم ؟ اجلس ، فجلست . فقال : ما هذا القرطاس بيدك ؟

قلت : يا سيدي حملتُه لأستفيد فيه شيئاً ، وأرجو أن أدرك حاجتي في هذا المجلس .

فمكثنا حيناً ، ثم أُتينا بطعامٍ ما رأيتُ أكثر منه ولا

---

١ الحديث لأبي عكرمة .

أحسن ، فأكلنا . وحانت مني التفاتة ، فإذا أنا بزنين ودُبيس، وهما من أحذق الناس بالغِناء ، قال : فقلت : هذا مجلس قد جمع الله فيه كل شيء مَليح. قال: ورُفع الطعام وجيء بالشراب، وقامت جارية تَسقينا شراباً ما رأيتُ أحسن منه ، في كأس لا أقدر على وصفها . فقلت : اعزّك الله . ما أشبه هذا بقول إبراهيم بن المهدي يصف جارية بيدها خمر :

حَمْراءُ صافيةٌ في جَوف صافيةٍ ،
يَسعى بها ، نَحوَنا ، خَود من الحُورِ[1]

حَسناءُ تحمِل حَسناوين في يدها :
صافٍ من الراح في صافي القوارير[2]

وقد جلس المسدود وزنين ودبيس. ولم يكن في ذلك الزمان أحذق من هؤلاء الثلاثة بالغناء ، فابتدأ المسدود فغنّى:

لمّا استقلّ بأردافٍ تُجاذبه ،
واخضرّ فوق نظام الدُّرّ شاربُه[3]

---

١ الخود : الشابة الحسناء . الحور ، الواحدة حوراء : وهي من اشتد بياض بياض عينيها وسواد سوادهما واستدارت حدقتهـا ورقت جفونها وابيض ما حواليها .

٢ القوارير ، الواحدة قارورة : وعاء يحمل فيه الشراب

٣ استقل : اراد نهض. الارداف ، الواحد ردف : العجز. نظام الدر : اراد به ثغره على تشبيه اسنانه بالدر المنظوم .

وتمّ في الحسن والتامت محاسنُه ،
ومازجتْ بِـدَعاً فيهـا غرائبُه[1]

وأشرقَ الوردُ في نسرينِ وَجْنتِه ،
واهتزّ أعـلاه ، وارتجّت حقائبُه

كَلّمتُه بجفونٍ غـيرِ ناطقةٍ ،
فـكان من رَدّه ما قال حاجبُه

ثم سكت فغنى زنين :

الحُبُّ حُلْوٌ أمرّتـه عواقبُه ،
وصاحبُ الحُبّ صَبُّ القلب ، ذائبُه

استودعُ الله مَن بالطّرف ودّعني ،
يومَ الفِراق ، ودمعُ العَينِ ساكبُه

ثم انصرفتُ ، وداعي الشّوق يهتِف بي :
ارفُق بقلبك قد عزّت مطالبُـه

ثم سكت وغنى دبيس :

وعاتبتُه دهراً ، فلمّـا رأيتُه ،
إذا ازداد ذُلاً جانبي عزّ جانبُه

---

١ التامت ، مسهل التأمت : اجتمعت ، اتفقت .

عقدتُ له، في الصّدر مني، مودّةً،
وَخلّيتُ عنه منهما لا اعاتبه

ثم سكت فغنى زنين :

بَدرٌ من الانس حَفتـه كواكبُه ،
قـد لاح عارضُه ، واخضرّ شاربُه

إن يَعِدِ الوعدَ ، يوماً ، فهو مُخلفُه ؛
أو يَنطقِ القولَ ، يوماً ، فهو كاذبه

عاطيتُه ، كدَم الأوداج ، صافيةً ،
فقام يَشدو ، وقد مالت جوانبه[1]

قال أبو عكرمة : فعجبتُ أنهم غنّوا بلحن واحـد وقافية واحدة .

قال أبو عيسى : يُعجبك من هذا شيء يا أبا عكرمة ؟

فقلت : يا سيدي ، المنى دون هذا .

ثم إن القوم غنّوا على هذا الى انقضاء المجلس ، إذا ابتدأ المسدود بشيء تبعه الرجلان بمثـل ما غنّى . فكان مما غنى المسدود :

---

١ الاوداج ، الواحد ودج : عرق في العنق .

يا ديرَ حَنّة من ذات الأُكَيراحِ ،
مَن يَصحُ عنك، فإني لستُ بالصاحي[1]

يَعتادُه كُلُّ مَحفوٍّ مَفارقُه ،
من الدّهان عليها سَحقُ أمساحِ[2]

ما يَدلُفون إلى ماء بآنيةٍ ،
إلا اغترافاً من الغدران بالرّاحِ[3]

ثم سكت فغنى زنين :

دَع البساتين من آسٍ وتُفّاحِ ،
واعدُل، هُديت ، إلى ذات الأُكيراحِ

واعدُل إلى فِتيةٍ ذابت لحومُهم ،
من العِبادة ، إلا نِضوَ أشباح

---

١ الشعر لأبي نواس . الاكيراح : تصغير اكراح ، الواحد كرح : لفظة سريانية معناها بيت الراهب، وذات الأكيراح مكان في العراق كانت فيه بيوت صغار تسكنها الرهبان الذين لا قلالي لهم . وبالقرب منه ديران دير حنة ودير عبدا .

٢ يعتاده : يأتيه مرة بعد مرة . محفوّ : من حفا شاربه بالغ في الاخذ منه ، قصه . السحق : البالي . الامساح : الاكسية من شعر ، الواحد مسح .

٣ يدلفون : يمشون مشي المقيد . الراح ، الواحدة راحة : الكف .

وخَمرةٍ عُتّقت في دَنّها ، حِقَباً ،
كأنها دَمعةٌ من جفن سَيّاحِ[1]

ثم سكت فغنى دبيس :

لا تَحفلنّ بقَول اللائم اللاحي ،
واشرب على الورد من مَشمولة الرّاح

كأساً ، إذا انحدرت في حَلقِ شاربها ،
أغناك لألاؤها عن كلّ مِصباح

ما زِلتُ أسقي نَديمي ، ثم ألثمه ،
والليلُ مُلتحفٌ في ثوب سَيّاح

فقام يشدو ، وقد مالت سوالفُه :
يا ديرَ حنّــــة من ذاتِ الأكيراحِ

ثم ابتدأ المسدود فغنى :

باحورار العينِ والدّعجِ ، وابيضاض الثغر والفَلجِ[2]
وبتفّاحِ الخُدود ، وما ضَمّ من مسك ومن أرَجِ
كُن رقيقَ القلب ، إنك ، من قتلِ مَن يَهواك ، في حَرَج

---

١ السياح : الراهب المتعبد .
٢ الدعج : سواد العين مع سعتها . الفلج : تباعد ما بين الاسنان وعدم تراكبها .

ثم سكت وغنى زنين :

كِسرويُّ التيهِ ، مُعتدلٌ ، هاشميّ الدلِّ والغنَجِ
وله صُدْغان قد عُطفا ببياضِ الخدّ ، كالسَّبج[1]
وإذا ما افترّ مُبتسماً ، أطلق الأسرى من المُهج
ما لما بي منك من فرجٍ ، لا ابتلاني الله بالفرج

ثم سكت وغنى دبيس :

يُعمِلُ الأجفانَ بالدعجِ ، عَمَلَ الصهباءِ بالمُهجِ
بأبي ظبي كَلِفتُ به ، واضح الخدّين والفلجِ
مرّ بي في زيّ ذي خنث ، بين ذات الضالِ من أمجِ[2]
قلتُ : قلبي قد فتنتَ به ، قال: ما في الدّين من حرجِ

ثم سكت وغنى المسدود :

ما يُبالي اليومَ من صنعا ، من بقلبي يُبدع البِدَعا
كنت ذا نُسُكٍ وذا ورع ، فتركتُ النُسك والوَرَعا
كم زجرتُ القلب عنك ، فلم يُصغِ لي يوماً ، ولا نَزَعا[3]

---

١ السبج : الخرز الأسود .
٢ أمج : بلد من اعراض المدينة .
٣ نزع : كف وانتهى .

لا تَدعني ، للهوى ، غَرضاً ؛ إنّ وِرْدَ الموت قد شَرعا

ثم سكت وغنى دبيس :

اسقِني كأساً مُصرّدة ، إنّ نَجم الليل قد طَلعا[1]
قد شربتُ الحبّ شُربَ فتىً لم يَدَعْ ، في كأسه ، جُرعا

ثم ابتدأ ايضاً دبيس فغنى :

يقولون : في البُستانِ للعينِ لذّةٌ ،
وفي الخمر والماءِ الذي غير آسِنِ[2]

إذا شئتَ أن تَلْقى المحاسن كُلّها ،
ففي وجه مَن تهوى جميعُ المحاسن

فغضب المسدود لما قطع عليه دبيس ، وقال : غَنّ على غير هذه القافية واللحن ، ثم نرجع الى حالنا الاولى . فقال أبو عكرمة : قد أصبتَ .

فابتدأ المسدود فغنى :

أدعوكَ مِن قلبي ، إذا لم أركَ ،
يا غايةَ الطّرف ، إذا أبصرك

---

١ التصريد : الشرب دون الري .
٢ الآسن : المتغير .

قضى لك اللهُ ، فسُبحان مَن
أحلّك القلبَ ، ومن قدّرك

لستُ بناسيكَ على حالةٍ ،
يا ليتَ ما تذكُرني أذكرك

صَبّرني الله على ما أرى
منك من الهَجر، كما صَبّرك

قال : فقال زنين : وأنا فلا بُدّ أن أسلك سبيلكما .

قال أبو عِكرمة : ثم التفت إليّ، فقال : ما ترى؟ فقلت : أحسنتَ والله . فابتدأ يغنّي :

يا هائمَ القلب عاصِ مَن عذلك ،
ما نِلتَ ممّن هويته أملك

دعاك داعِي الهوى بخُدعته ،
حتى إذا ما أجبته خذلك

فاحتلْ لداء الهوى وسَطوته ،
إنك إنْ لم تُداوه قتلك

ثم ابتدأ المسدود يغني :

شَقّقتُ جَيْبي عليك شقّاً ، وما لجيبي أردتُ شقّا

أردتُ قلبي ، فصادفتْه يداي ، بالحَبيبِ قد توفّى
مالكَ رِقّي ، أبَتَ عِتقي ، لولاكَ ما كنتُ مسترَقّا

ثم سكت وغنى زنين

قد ذُبتُ شوقاً ، ومِتُّ عِشقا ،
يا زَفراتِ المُحبِّ رِفْقا

ثَكِلتُ نفسي ، وزُرتُ رمسي ،
إن كنتُ للهَجرِ مُستحقّا

ثم سكت وغنى دبيس :

ظمئتُ شوقاً ، وبحرُ عِشقي يَفيض عَذباً ولستُ أُسقى
أنا الذي صِرتُ من غرامي ، على فِراش السَّقام ، مُلقى
فمِن زفيرٍ ، ومن شَهيقٍ ، ومن دُموع تجود سَبقا

ثم ابتدأ المسدود فغنى :

ماذا على نُجلِ العُيون لوَ انهم
أومَوا إليك ، فسلَّموا ، أو عرَّجوا[1]

أمِنوا مُقاساة الهُموم ، وأيقنوا
أنّ المُحبّ ، إلى الأحبّة ، يُدلِجُ[2]

---

١ العيون النجل : الواسعة الحسنة ، الواحدة نجلاء . عرجوا : وقفوا .
٢ يدلج : يسير في الليل .

ثم سكت وغنّى دبيس :

هيّا ، فقد بدأ الصباحُ الأبلجُ ،
قد ضمّ مُشبهةَ الغزالِ الهودجُ[1]

بانُوا ولم أقضِ اللُّبانة منهمُ ،
وكذا الكريمُ إذا تصابى يلهج

ثم سكت وغنى زنين :

السّحر والغنج ، في عينيك، والدّعجُ،
والشمس والبدرُ في خدّيك، والضّرجُ[2]

الدُّرُّ ثغرُكَ ، لولا أنّ ذا بَرَدٌ ؛
والحِبرُ صُدغك ، لولا أنّ ذا سَبَج

أنضجتَ قلبي ، ولو أنّ الورى لقيتْ
قلوبُهم منك ما لاقيتُ ما لَهِجوا[3]

ثم سكت وابتدأ المسدود فغنى :

يا صاحبَ المُقَل المِراضِ ، انظُرْ إليّ بعينِ راضِ

---

١ الابلج : المشرق المضيء .
٢ الضرج : أراد الاحمرار .
٣ لهجوا ، من لهج بالشيء : اغري به وثابر عليه .

إن تَجفُني ، مُتعمّداً ، لِتُذيقني جُرَعَ الحِياضِ
فلطالمـــا أمكنتَني ، منك ، المراشفَ عن تراضِ

ثم سكت وغنى زنين :

هائم مُدنف من الإعراضِ ، لا سبيلٌ له الى الإغماضِ
موثَق النوم ، مطلق الدمع ، مايعـ ـرف ملجأً من الحتوف القواضي
ما يرى جسمَه سوى لحظاتٍ ، أمرضتْه من العيونِ المِراضِ

ثم سكت وغنى دبيس :

كن ساخِطاً واظهر بأنك راضي ،
لا تُبدينَّ تكرُّه الإعراضِ

وانظرُ إليَّ بمُقلة غضبانةٍ ،
إن كنتَ لم تنظر بمُقلةِ راضِ

وارحم جفوناً ما تجفُّ من البكا ،
في ليلةٍ مسلوبةِ الاغماض

واحكم فَديتُك بين جسمي والهوى ،
فالحُكم منك ، على الجوارحِ ، ماضِ

ثم ابتدأ المسدود فغنى :

يا ذا الذي حـال عن العهدِ ،
ومَن براني منـــه بالصدّ

بسُمرةِ الخالِ ، وما قد حوى
من حُمرةٍ في سالفِ الخدّ

ألا تعطّفت علـــى عاشقٍ ،
منفرد بالبَثّ والوجـــدِ

ثم سكت وغنى زنين :

أظَلُّ بكتمان الهوى ، وكأنما
ألاقي الذي لاقاه غيري من الوجدِ

فلا الدمعُ أطفى حُرقة البَين والبُكا ؛
ولا أنا بالشكوى أنفّس من جهدي

ثم سكت وغنى دُبيس :

تهزّأتَ بي لمّا خلوتَ من الوَجدِ ،
ولم ترثِ لي ، لا كان عندك ما عندي

وعِبتَ عليّ الشوق والوجد والبُكا ،
وأنتَ الذي أجريتَ دمعي على خدّي

صددتَ بلا جُرم إليك أتيتُه ،
أكان عجيباً لو صددتَ عن الصدّ ؟

ألا إنني عبدٌ لطرفك خاضِعٌ ،
وطَرفُك مولًى لا يرِقّ على عبدِ

ثم غنى المسدود :

أقمتُ ببلدةٍ ورحلتَ عنها ،
كلانا عند صاحبه غريبُ

أقلُّ الناسِ ، في الدنيا ، نصيباً ،
مُحِبٌ قد نأى عنه الحبيبُ

ثم سكت وغنى زنين :

خليليَّ ما للعاشقين قلوبُ ؛
ولا للعيونِ الناظرات ذنوبُ

فيا معشر العشّاق ! ما أوجع الهوى ،
اذا كان لا يلقى المُحِبُّ حبيبُ

ثم سكت وغنى دبيس :

ذَلّت لوجهك أعينٌ وقلوبُ ،
بين المخافة والرجاء تذوبُ

يا واحدَ الحُسن ، الذي لحظاتُه
تدعو النفوسَ الى الهوى ، فتُجيبُ

مَن وجهُـه القمرُ المُنير، وقَدُّه
غُصْنٌ نَضـيرٌ، مُشْرق، وكثيبُ

أَلِناظِرَيْك على العُيونِ رقيبُ؛
أم هل لطَـرفك في القُلوب نصيب؟

ثم ابتدأ المسدود فغنى:

قَـلَقٌ لم يَزُل، وصَـبرٌ يَزولُ،
ورِضًى لم يَطُل، وسُخط يَطولُ

لم تَسِل دمعتي عليَّ من الرَّحمةِ،
حتى رأيتُ نفسي تَسيـل

جال، في جسْمي، السَّقامُ، فجِسمي
مُدْنَف، ليس فيـه روح تَجول

يَنْقضي، للقَتيل، حَولٌ، فيُنسى،
وأنا فيك كُلَّ يوم قتيـلُ

ثم سكت وغنى زنين:

ويُقْنعني ممَّن أحبُّ كِتابُـه،
ويَمْنعُنيـه إنـه لَبَخيـلُ

كفى حزَناً ألا أُطيقَ وَداعَكم ،
وقد حان مني ، يا ظلومُ ، رَحيلُ

ثم سكت وغنى دبيس :

ليس إلى تركك مِن حيلةٍ ؛
ولا إلى الصَّبرِ لقَلْبي سَبيلْ

فكيفما شِئتَ ، فكُن ، سيّدي ،
فإنّ وجدي بك وجدٌ طويلْ

إنْ كنتَ أزمعتَ على هَجْرِنا ،
فحَسْبُنا اللهُ ، ونِعْمَ الوكيلْ

قال أبو عكرمة : فأقبل أبو عيسى على المَسدود ، فقال له : غَنّ صوتاً . فغنى :

ما حيلتي ، وفؤادي هائمٌ أبداً ،
بعَقْربِ الصُّدغِ ، مِن مولايَ ، مَلْسوعُ

لا والذي تَلفَتْ نَفْسي بفُرقتهِ ،
فالقلبُ من حُرَقِ الهِجرانِ مصدوعُ

ما أرّقَ العينَ إلا حُبُّ مُبتدعٍ ،
ثوبُ الجمالِ ، على خدّيهِ ، مَخلوعُ

قال أبو عكرمة: فوالله، الذي لا إله إلا هو، لقد حضرتُ من المجالس ما لا أحصي، ما رأيتُ مثل ذلك اليوم. ثم إن أبا عيسى أمر لكل واحد بجائزة وانصرفنا. ولولا أنّ أبا عيسى قطعهم ما انقطعوا.

من سمع صوتاً فوافقه معناه

واستخفه الطرب

حَكى إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن أبيه ، قال : دخلت على هارون الرشيد ، فلما رأيتُه قد أخذ في حديث الجَواري وغلَبَتِهِنّ على الرجال ، غنّيتُه بأبياته التي يقول فيها :

مَلَكَ الثلاثُ الآنساتُ عِناني ،
وحَلَلْنَ ، مِن قلبي ، بكُلّ مَكانِ

ما لي تُطاوعني البريّةُ كُلّها ،
وأُطيعُهنّ ، وهُنّ في عِصْياني؟

ما ذاكَ إلا أنّ سُلطان الهَوى ،
وبه قَوِينَ ، أعزّ من سُلطاني

فارتاح وطَرِب وأمر لي بعشرة آلاف درهم .

•

وغنى إبراهيم الموصلي محمّدَ بن زبيدة الأمينَ بقول الحسن بن هانىء فيه :

رشأ ، لولا محاسنُـــه ، خَلَتِ الدُّنيا من الفِتَنِ
كُلُّ يوم يَسْـتَرقُّ له حُسْنُه عبداً ، بلا ثمنِ
يا أمينَ الله ! عِشْ أبداً ، دُمْ على الأيامِ والزَّمنِ
أنت تَبقى ، والفَناءُ لنا ، فإذا أفنيتَنا ، فكُنِ
سَنَّ للناس القِرى ، فقرَوا ، فكأنَّ البُخلَ لم يكُنِ

قال : فاستخفَّه الطرب حتى قام من مجلسه ، وأكبَّ على إبراهيم يُقبّل رأسه . فقام إبراهيم من مجلسه يُقبل أسفل رجليه ، وما وَطئتا من البساط . فأمر له بثلاثـة آلاف درهم . فقال إبراهيم : يا سيدي ، قد أجزتَني إلى هذه الغاية بعشرين ألف ألف درهم .

فقال الأمين : وهل ذلك إلا خراج بعض الكُوَر ؟!

•

الرياشيّ عن الأصمعي ، قال : قدم جرير المدينـةَ ، فأتاه الشعراء وغيرهم ، وأتاه أشعب فيهم . فسلّموا عليه وحادثوه ساعةً وخرجوا ، وبقي أشعب . فقال له جرير : أراك قبيحاً وأراك لئيم الحَسب ، ففيم قُعودك وقد خرج الناس ؟

فقال له : أصلحَك الله ، إنه لم يدخل عليك اليومَ أحدٌ أنفعُ لك مني .

قال : وكيف ذلك ؟

قال : لأني آخذ رقيق شعرك ، فأزيّنه بحُسن صوتي .

فقال له جرير : فقُل .

فاندفع يغنّيه :

يا أختَ ناجيــةَ ! السلامُ عليكمُ ،
قبل الرّحيل، وقبل لَوم العُذّلِ

لو كنتُ أعلم أنّ آخرَ عهدِكم
يومُ الرّحيل ، فعلتُ ما لم أفعل

قال : فاستخفّ جريراً الطربُ لغنائــه بشعره حتى زحف إليه واعتنقه، وقبّل بين عينيه ، وسأله عن حوائجه فقضاها له.

•

الزبير بن بكّار قال : كان المِسْور بن مَخرمة ذا مـال كثير، فأسرع فيه على إخوانه، فذهب . فسأل امرأته ، وكانت موسرة ، فمنعته وبَخلت عليه. فخرج يريد بعضَ خلفاء بني أمية مُنتجعاً . فلما كان ببعض الطريق نزل ماءً يقال له بَلاكِث . فقال له غُلامه : كيف يقال لهذا الماء ؟ قال : يقال له بَلاكث. فقــال :

بينما نحنُ من بلاكثَ ، بالقاع ،
سراعـاً ، والعيسُ تَهوي هُويّا

خطرت خطرةٌ على القلب، من ذكراكِ،
وَهْنــاً، فما استطعتُ مُضيّــا

قلتُ: لبّيكِ، إذ دعاني لكِ الشوقُ؛
وللحـادِيَيْن: كُـرّا المَطِيّــا

فقال: هُنّ بُدْنٌ[1] إن لم تكرّها رواجع.

قال له: قد أشرفن على أمير المؤمنين.

قال: هن بُدنٌ إن لم تكرّها رواجع.

فانصرف ودخل المصلّى ليلاً. فوجد رجال قريش حلَقاً يتحدثون، فقالوا له: زادُ خير.

فقال: زاد خير.

حتى انتهى إلى داره. فقالت له امرأته: زاد خير. فأنشدها الأبيات. قالت: كل ما أملِكُ في سبيل الله إن لم أشاطرك مالي. فشاطرته مالها.

•

وروى أبو العبّاس قال: حُدّثت أن عُمرَ الوادي قال: أقبلتُ من مكة أريد المدينة فجعلت أسير في صَمْدٍ[2] من الأرض، فسمعت غِناءً من الهواءِ لم أسمع مثلَه، فقلت: والله

---

١ البدن، الواحدة بَدَنة: وهي من الابل والبقر كالاضحية من الغنم تُهدى الى مكة فتنحر.

٢ الصمد: المكان المرتفع الغليظ.

لاتوصلن إليه . فإذا هو عبد أسود . فقلت له: أعِدْ ما سمعت. فقال : والله لو كان عندي قِرى أقريكه ما فعلت ، ولكن أجعله قراك . فإني والله ربما غنّيتُ بهذا الصوت ، وأنا جائع ، فأشبع، وربما غنيته وأنا كسلان فأنشط، وربما غنيته وأنا عطشان فأروى . ثم ابتدأ فغنى :

وكنتُ متى ما زُرْتُ سُعدى بأرضها ،
أرى الأرض تُطوى لي ، ويَدنو بعيدُها

مِن الخَفِراتِ البيضِ ، وَدَّ جَليسُها ،
إذا ما انقضَت أحدوثةٌ ، لو تُعيدها

قال عمر : فحفظتُه منه . ثم تغنّيت به على الحالات التي وصف ، فإذا هو كما ذكره .

•

وتحدث الزبيريون عن خالد صامةَ بأنه كان من أحسن الناس ضرباً بعود ، قال : قدمتُ على الوليد بن يزيد في مجلس ناهيك به مجلساً ، فألفيتُه على سريره وبين يديه مَعبد ومالك بن أبي السَّمح وابن عائشة وأبو كامل غُزَيِّل الدمشقي، فجعلوا يغنّون حتى بلغت النوبة إليّ . فغنيتُه :

سَرى همّني ، وهمُّ المرءِ يَسري ،
وغاب النّجمُ ، إلا قِيدَ فِترِ

لِحَمٍ ، ما أزال له قَريناً ،
كأنَّ القلبَ أودعَ حرَّ جمر

علی بَكْرٍ أخي ، فارقت بكراً ،
وأيُّ العيشِ يَصلُح بعدَ بكر؟

فقال : أعدْ يا صام .

ففعلت . فقال لي : مَن يقول هذا الشعر ؟

قلت : يقوله عُروة بن أذينة يرثي أخاه بكراً .

قال الوليد : وأيّ عيش يصلُح بعدَ بكر؟ والله لقد حَجّر واسعاً . هذا والله العيش الذي نحن فيه يصلح على رَغم أنفه .

•

وقد قيل إن سُكينة بنت الحسين غُنّيت بهذا الشعر فقالت: ومن بكر هذا ؟ فوصف لها. فقالت: هو ذاك الأُسَيْدُ[1] الذي كان يأتينا ، لقد طاب كل شيء بعده حتى الخبز والزيت .

•

وعن عبد الصمد بن المُعذل قال : سمعتُ إسحاق الموصلي يتحدّث قال : حججتُ مع الرشيد ، فلما نزلت المدينة آخيتُ بها رجلاً كانت له مُروءة ومعرفة وأدب ، وكان يغني . فإني ذاتَ ليلة في منزلي ، إذا أنا بصوته يستأذن عليّ ، وظننت أمراً

---

١ الأُسيد : تصغير الأسود .

قد حدث ففزَع فيه إليّ . فأسرعتُ نحو الباب ، فقلت : ما جاء بك ؟

قال : دعاني صديق إلى طعام عتيد ومجلس شراب قد التقى طرفاه ، وشِواء رَشراش[1] ، وحديث مُمتع وغناء مُشبع ، فأجبتُه وأقمت معه إلى هذا الوقت ، فأخذتْ مني حُميّا الكأس مأخذها ، ثم غنّيت بقول نُصيب :

بزينب ألمم ، قبل أن يَرحل الرّكبُ ،
وقُل : إنْ تَمَلّينا ، فما مَلّكِ القلبُ

فكِدْتُ أطير طرباً . ثم وجدت في الطرب تَنْغيصاً ، إذ لم يكن معي منْ يفهم هـذا كما فهمتُه . ففزعتُ إليك لأصف لك هذه الحال ، ثم أرجع إلى صاحبي .

وضَرب بغلَته موليّاً . فقلت : قِف أكلمك .

فقال : ما بي إلى الوقوف إليك من حاجة .

•

وحَدّث أن معاوية بن أبي سفيان استمع على يزيد ذات ليلة ، فسمع عنده غناء أعجبه ، فلما أصبح قال له : مَن كان مُلهيك البارحة ؟

---

[1] الرشراش : الحمل الندي الذي يقطر دسمه .

قال : سائب خائر .

قال : فأكثر له من العَطاء .

•

وكان ابن أبي عَتيق من نُبلاء قريْش وظرفائهم . فمن ظريف أخباره أن عثمان بن حَيّان المُرّي ، لما دخل المدينة والياً عليها اجتمع إليه الأشراف من قريش والأنصار ، فقالوا له : إنك لا تعمل عملاً أحرى ولا أولى من تحريم الغناء والزنا . ففعل وأجّلهم ثلاثاً . فقدم ابنُ أبي عتيق في الليلة الثالثة وكان غائباً . فحطّ رحلَه بباب سلاّمة الزّرقاء ، وقال لها : بدأتُ بك قبل أن أصير إلى منزلي .

قالت : أوَما تدري ما حَدث بعدك ؟

وأخبرته الخبر . فقال : أقيمي إلى السّحر حتى ألقاه .

فلقيه فأخبره أنّه إنما أقدمه حُبُّ التسليم عليه ، وقال له : إن أفضل ما عملتَ تحريم الغناء والزنا .

فقال : إن أهلك أشاروا عليّ بذلك .

فقال : إنهم وُفّقوا ووُفّقت ، ولكني رسولُ امرأة إليك تقول : قد كانت هذه صناعتي فتُبت إلى الله منها . وأنا أسألك أيها الأمير ألاّ تحولَ بينها وبين مُجاورة قبر النبي صلى الله عليه وسلم .

فقال عثمان : إذاً أدَعها .

فقال : إذاً لا يَدعُكَ الناس ، ولكن تدعو بها فتنظر إليها ، فإن كان يجوز تركها تركتها .

قال : فادعُ بها .

فأمر بها ابنُ أبي عتيق . فتنقّبت وأخذت سُبحةً في يدها وصارت إليه ، فحدّثته عن مآثر آبائه ، ففكِه بها . فقال ابنُ أبي عتيق : أريد أن أُسمِع الأميرَ قراءتها . ففعلت ، فحرّكه حُداؤها . ثم قال له ابنُ أبي عتيق : فكيف لو سمعتَها في صناعتها التي تركتْها .

فقال له : قل لها فلتُغنِّ .

فغنّت :

سَددنَ خَصاصَ البيتِ ، لمّا دخلنَه ،
بكلّ بَنان واضحٍ ، وجَبين[1]

فنزل عثمان عن سريره ثم جلس بين يديها ، وقال : لا والله ما مِثلك يَخرُج عن المدينة .

فقال ابنُ أبي عتيق : يقول الناس أذن لسلّامة ومنع غيرها .

فقال له : قد أذنت لهم جميعاً .

●

---

١ الخصاص : كل خلل أو خرق في باب او برقع ونحوهما .

وذُكر لابن أبي عتيق أنّ المخنّثين خُصوا . وأنه خُصي فلان فيهم ، لواحد منهم كان يعرفه . فقال ابنُ أبي عتيق : إنا لله ! لئن خُصي لقد كان يُحسن :

لِمَن رَبعٌ بذات الجيـ ـشِ ، أمسى دارساً خَلَقا؟

ثم استقبل ابنُ أبي عَتيق القبلة ، فلما كَبّر سَلّم ، ثم قال لأصحابه : أما إنه كان يُحسن خفيفَه ، فأما ثقيله فلا والله، ثم كَبّر .

•

وكان سليمان بن عبد الملك مُفرطَ الغَيْرة ، فسَمع مُغنّياً في عسكره ، فقال : اطلبوه ، فجاءوا به . فقال له : أعِد ما تغنّيت به . فأعاد واحتفل . فقال لأصحابه : والله لكأنها جَرْجَرة الفحل[1] في الشّول وما أحسب أنثى تَسمع هذا إلا صَبت إليه . ثم أمر به فخُصي .

•

وقال أبو العبّاس محمد بن يزيد النحوي : روي لنا ان رجلا من الصالحين كان عند إبراهيم بن هشام ، فأنشده إبراهيمُ قول الشاعر :

---

[1] جرجر الفحل : ردّد صوته في حنجرته .

إذ أنتَ فينا ، لمنْ يَنهاك ، عاصيةٌ ،
وإذ أجُرُّ إليكم ، سادراً ، رَسَني

فقام الرجل فرمى بشِق ردائه وأقبل يَسحبه حتى خرج من المجلس ، ثم رَجع إلى موضعه فجلس . فقال له إبراهيم : ما بالك ؟

قال : إني كُنت سمعتُ هذا الشعر فاستحسنْته ، فآليتُ ألاّ أسمعه إلا جررتُ ردائي ، كما جرّ هذا الرجل رَسنه .

•

ووقف رجل من الشعراء على رجل من المغنين فأنشده :

إني أتيتُ إليك من أهلي ، في حاجةٍ ، يسعَى لها مِثلي
لا أبتغي شيئاً ، لديك ، سوى حَيّ الحُمولَ بجانب الرَّملِ

قال له : انزل فلك ما طلبت .

•

مر دَحمان المُغني بقوم وعليه رداء عَدنيّ يثربيّ . فقالوا له : بكم أخذت الرداء ؟ فقال :

ما ضرّ جيرانَنا إذا انتجعوا

•

وحدّث أبو العباس أحمد بن بكر ببغداد قال : حدّثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال : كان يُقال قديماً : إذا قسا

عليكَ قلبُ القُرشي من تِهامة فغنّته بشعر عمرَ بن أبي ربيعة وغِناء ابن سُريج. وكذا فعل أشعب برجل من أهل مكة من بني هاشم، وكان أشعب قد انتجع اهلَ مكة من المدينة. قال اشعب: فلما دخلتُ عليه غنيتُه بغناء أهل المدينة وأهل العقيق. فلم ينجع ذلك فيه ولم يُحرك من طيبه ولا أريحيته. فلما عيل صَبري غنيتُه بغناء ابن سُريج المكي وقول ابن أبي ربيعة القُرشي:

نظرتُ إليها بالمُحصّب من مِنى،
ولي نَظَرٌ، لولا التحرّجُ، عارمُ[1]

فقلت أشمسٌ أم مَصابيح راهبٍ
بدت لك تَحت السّجْف، أم أنت حالمُ؟

بعيدة مَهْوى القُرط، إمّا لنَوفلٍ
أبوها، وإمّا عبد شمسٍ وهاشمُ[2]

قال: فحرّكتُ والله من طَربه. وكان الذي أردتُ. ثم غنّيته لابن أبي رَبيعة القرشي أيضاً:

ولولا أن تقولَ لنا قريش
مَقال النّاصح، الأدنى، الشّفيقِ

---

١ العارم: الخارج عن حده، الشرس، المؤذي.
٢ بعيدة مهوى القرط: كناية عن طول العنق. القرط: حلية تعلق بالاذن.

لقلتُ ، إذا التقينا ، قَبِّليني ،
وإن كُنَّا بقارعةِ الطَّريق

فقال : أحسن والله . هكذا يطيب التلقي ، لا بالخوف والتوقّي . قال : فلما رأيتُه قد طرب للصوتين ولم يَنْدَ لي بشيء ، قلت : هو الثالث وإلا فعليه السلام . قال : فغنيته الثالث من غناء ابن سُريج وقول عُمر بن أبي ربيعة ، ويقال إنها لجميل :

ما زلتُ أمتحن الدَّساكرَ دونها ،
حتى ولجتُ على خَفيِّ المَولِج[1]

فوضعتُ كفّي عند مَقطع خَصْرِها ،
فتنفّست نَفَساً ، ولم تتلهّج[2]

قالت : وحقّ أخي وحُرمة والدي ،
لأنبهنّ الحيّ ، إنْ لم تَخْرج

فخرجتُ ، خيفةَ قولها ، فتبسّمت ،
فعلمتُ أنّ يمينَها لم تَخرَج

---

١ الدساكر ، الواحدة دسكرة : القرية العظيمة ، وبيوت يكون فيها الشراب والملاهي . ولجت : دخلت .
٢ تتلهج : اراد بها تنطق ، وهو من اللهجة .

فرشفتُ فاها ، آخذاً بقرونها ،
رَشْفَ النَّزِيفِ ببرد ماء الحَشْرَجِ[1]

فصاح الهاشميّ : أواه ! أحسن والله وأحسنت ! وأمر لي بألف درهم وثلاثين حلة وخِلْعة كانت عليه .

•

وغنى ابنُ سُرَيجٍ رجلاً من بني هاشم بقول جرير :

بَعثن الهوى ، ثم ارتمين قلوبَنا
بأسهم أعداء ، وهُنّ صديقُ

وما ذُقتَ طعم العَيش، منذ نأيتمُ ،
وما ساغَ لي ، بين الجوانح ، ريق

قال : فخَطف من ثوبه ذراعاً ، وقال : هذا والله العِقْيان[2] في نحور القِيان .

•

قال: وصَحب شيخٌ من أهل المدينة شاباً في سفينة ، ومعهم جارية تُغني ، فقال له : إن معنا جارية تُغني ونحن نُجلّك ، فإذا أذِنت لنا فَعلنا ؟

قال : فأنا أعتزل وافعلوا ما شئتم .

---

١ النزيف : العطشان . الحشرج : الكوز الرقيق يبرد فيه الماء .
٢ العقيان : الذهب الخالص .

فتنحّى وغنّت الجارية :

حتى إذا الصبحُ بدا ضوؤه،   وغابت الجوزاءُ والمِرزَمُ[1]
أقبلتُ، والوَطء خفيٌّ، كما   يَنساب من مَكمنه الأرقم[2]

فرمى الناسكُ بنفسه في الفرات وجعل يخبط بيديه طرباً ويقول :

أنا الأرقم. فأخرجوه وقالوا: ما صنعتَ بنفسك ؟

فقال : والله اني أعلم مِن تأويله ما لا تعلمون .

•

وقال أحمد بن جعفر : حَضر قاضي مكة مأدبةً لرجل من الاشراف . فلما انقضى الطعام اندفعت جاريةٌ تُغني :

إلى خالد ، حتى أنخْنـا بخالدٍ ،
فنِعمَ الفتى يُرجى، ونِعم المُؤمَّلُ

فلم يدرِ القاضي ما يصنع من الطرب حتى أخذ نَعليه فعلّقهما في أذنيه ، ثم جثا على رُكبتيه ، وقال : اهدوني فاني بَدنة .

•

---

١ الجوزاء والمرزم : نجمان .
٢ الارقم : الحيّة الذكر .

كان رجلٌ من الهاشميّين يُحب السماع ، فبعث إلى رجل من المغنّين فاقترح عليه صوتاً كان كلِفاً به ، فغنّاه إياه . فطرب الهاشمي وشقّ ثوباً كان عليه ، ثم قال للمغني : افعل بنفسك مثلَ ما فعلتُ بنفسي .

قال : أصلحك الله ، إنك تجد َخلفاً من ثوبك ، وإني لا أجد خلفاً من ثوبي .

قال : أنا أخلف لك .

قال : فافعل وتفعل .

قال : أخرجتنا من حدّ الطّيب الى حد السّوم .

•

من قرع قلبه صوت

فمات منه أو أشرف

حدث أبو القاسم إسماعيل بن عبد الله المأمونيّ في طريق الحج من العراق الى مكة قال : حدّثني أبي ، قال : كانت بالمدينة قَينة من أحسن الناس وجهاً وأكملهم عقلاً وأفضلهم أدباً ، قرأتِ القرآن ، وروت الاشعار وتعلّمت العربية ، فوقعت عند يزيد بن عبد الملك فأخذت بمجامع قلبه ، فقال لها ذات يوم : ويحك ! أما لك قرابةٌ أو أحد يحسن أن أصطنعه أو أسدي اليه معروفاً ؟

قالت : يا أمير المؤمنين ، أمّا قرابة فلا ، ولكن في المدينة ثلاثة نفر كانوا أصدقاء لمولاتي ، كنت أحب أن ينالهم شيء مما صرتُ اليه .

فكتب إلى عامله بالمدينة في إشخاصهم وأن يُعطى كل رجل منهم عشرة آلاف درهم ، وأن يعجّل بسراحهم اليه .

ففعل عاملُ المدينة ذلك. فلما وصلوا إلى باب يزيد استؤذن لهم، فأذن لهم وأكرمهم وسألهم حوائجهم. فأما الاثنان فذكرا

حوائجهما ، فقضاها لهما . وأما الثالث فسأله عن حاجته ، فقال: يا أمير المؤمنين ، ما لي حاجة .

قال : ويحك ! ولمَ ؟ ألستُ أقدر على حوائجك ؟

قال : بلى يا أمـــير المؤمنين ، ولكن حاجتي لا أحسبك تقضيها .

قال : ويحك ! فسلني فانك لا تسألني حاجة أقدر عليها إلا قضيتُها .

قال : ولي الأمان يا أمير المؤمنين ؟

قال : نعم ، وكرامة .

قال : إن رأيتَ أن تأمر جاريتك فلانة التي أكرمتنا لها أن تغنيني ثلاثة أصوات ، أشرب عليها ثلاثة أرطال ، فافعل .

قال : فتغير وجه يزيد وقام من مجلسه ، فدخل على الجارية فأعلمها .

قالت : وما عليك يا أمير المؤمنين ، افعل ذلك .

فلما كان من الغد أمر بالفتى فأحضر وأمر بثلاثة كراسي من ذهب فألقيت . فقعد يزيد على أحدها ، وقعدت الجارية على الآخر ، وقعد الفتى على الثالث ، ثم دعا بطعام فتغدّوا جميعاً ، ثم دعا بصُنوف الرياحين والطيب فوُضعت ، ثم أمر بثلاثة ارطال فمُلئت . ثم قال للفتى : قُل ما بدا لك وسَل حاجتك .

قال : تأمرها تُغني :

لا أستطيع سُلوّاً عن مودّتها ،
أو يَصنعَ الحبُّ بي فوق الذي صَنعا

أدعو الى هجرها قلبي ، فيُسعدني ،
حتى إذا قلتُ هـذا صادقٌ نزعا

فأمرها فغنّت . فشرب يزيد وشرب الفتى ثم شربت الجارية .
ثم أمر بالأرطال فمُلئت ، ثم قال للفتى : سلْ حاجتكَ .

قال : تأمرها تُغني :

تخيرتُ من نَعمان عُودَ أراكة ،
لهِندٍ ، ولكن مَن يبلّغه هِنْدا؟

ألا عرّجا بي ، باركَ الله فيكما ،
وإن لم تكن هِند لأرضكما قصدا

قال : فغنّت بهما وشرب يزيد ثم الفتى ثم الجارية . ثم أمر بالأرطال فمُلئت ، ثم قال للفتى : سل حاجتك .

قال : يا أمير المؤمنين ، مُرها تغني :

منّا الوصالُ ، ومنكمُ الهجرُ ، حتى يفرّقَ بيننا الدهرُ
والله ما أسلوكمُ أبداً ، ما لاح نَجمٌ ، أو بدا فجر

قال : فلم تأتِ على آخر الأبيات حتى خرّ الفتى مغشيّاً عليه .

فقال يزيد للجارية : انظـري ما حالُه .

فقامت إليه فحرّكته فاذا هو ميْت . فقال لها : ابكيه .

قالت : لا أبكيه يا أمير المؤمنين وأنت حيّ .

قال لها : ابكيه ، فوالله لو عاش ما انصرف إلاّ بك .

فبكته ، وأمر بالفتى فأحسن جهازه ودَفنه .

•

قال : وحدّث أبو يوسف بالمدينة قال : انّ عبـد الله بن جعفر وَفَد على عبد الملك بن مروان ، فأقام عنده حيناً . فبينا هو ذات ليلة في سمره إذ تذاكروا الغِناء . فقال عبد الملك : قبّح الله الغنـاء ، مـا أوضعه للمروءة ، وأجرحه للعِرض ، وأهدمه للشرف ، وأذهبه للبهاء .

وعبد الله ساكت ، وإنما عرض لعبد الله ، وأعانـه عليه من حضر من أصحابه . فقال عبـدُ الملك : ما لك أبا جعفر لا تتكلم ؟

قال : ما أقول ولحمي يتمزّع وعرضي يتمزّق !

قال : أما إني نُبّئتُ انك تُغني ؟

قال : أجل يا أمير المؤمنين .

قال : أفّ لك وتُفّ .

قال : لا أفّ ولا تفّ ، فقد تأتي أنت بما هو أعظم من ذلك .

قال : وما هو ؟

قال : يأتيك الأعرابيّ الجافي يقول الزور ويقذف المحصنات، فتأمر له بألف دينار ، وأشتري أنا الجارية الحسناء من مالي ، فأختار لها من الشعر أجودَه ، ومن الكلام أحسنه ، ثم تردّده عليّ بصوت حسن ، فهل بذلك بأس ؟

قال : لا بأس ، ولكن أخبرني عن هذه الأغاني ما تصنع ؟

قال : نعم، اشتريتُ جارية باثني عشر ألف درهم مطبوعة ، فكان بديح وطويس يأتيانها فيطرحان عليها أغانيهما ، فعلقتْ منهما حتى غلبتْ عليهما ، فوُصفت ليزيد بن معاوية ، فكتب إليّ : إمّا أهديتَها إليّ وإما بعتَها بحكمك .

فكتبتُ إليه : إنها لا تخرج عن مِلكي ببيع ولا هِبة .

فبذل لي فيها ما كنتُ أحسب أنّ نفسه لا تسخو به، فأبَيتُ عليه . فبينا هي عندي على تلك الحال إذ ذكَرت لي عجوز من عجائزنا أنّ فتى من أهل المدينة يسمع غناءها ، فعلقها وشُغف بها ، وأنه يجيء في كل ليلة مستتراً يقف بالباب حتى يسمع غناءها ثم ينصرف . فراعيت مجيئه ، فإذا الفتى قد أقبل مقنّع الرأس ، فأشرفتُ عليه وقد قعد مُستخفياً . فلم أدعُ بها تلك الليلة

وجعلت أتأمل موضعه. فبات مكانه الذي هو فيه. فلمّا انشقّ الفجر اطّلعت عليه فإذا هو في موضعه، فدعوت قيّمة الجواري فقلت لها : انطلقي الساعة فزيّني هذه الجارية واعجلي بها إليّ .

فلمّا جاءت بها نزلتُ وفتحت الباب وحرّكته . فانتبه مذعوراً ، فقلت له : لا بأس عليك ، خذ بيد هذه الجارية فهي لك ، وإن هممتَ ببيعها فردّها إليّ .

فدهِش وأخذه الخبل ولُبِط به[1]. فدنوتُ من أذنه فقلت : ويحك ! قد أظفرك الله ببُغيتك ، فقم فانطلق بها إلى منزلك.

فإذا الفتى قد فارق الدنيا . فلم أرَ شيئاً قطّ أعجب منه .

قال عبد الملك : وأنا والله ما سمعتُ شيئاً قطّ أعجب من هذا ، ولولا أنّك عاينته ما صدّقتُ به ، فما صنعت بالجارية ؟

قال : تركتُها عندي ، وكنت اذا ذكرت الفتى لم أجد لها مكاناً من قلبي ، وكرهتُ أن أوجه بها الى يزيد ، فيبلغه حالها فيحقد عليّ ، فما زالت تلك حالُها حتى ماتت .

•

ووقف رجل يقال له طريفة على أيوب المغني فقال :

إني قصدتُ إليك ، من أهلي ، في حاجة يسعى لها مثلي
لا أبتغي شيئاً ، لديك ، سوى حيّ الحُمولَ بجانب الرمل

---

١ لبط به : صرع .

فقال له : انزل ، فلك ما طلبت .

فنزل . فأخرج عوده ثم غنّاه بقول امرىء القيس :

حيِّ الحمولَ بجانب العزْلِ ، إذ لا يلائم شكلُها شكلي[1]

فلُبط بطريقة[2] ، فإذا هو في الأرض مُنجدل . فلمّا أفاق قام يمسح التراب عن وجهه . فقيل له : ويحك ! ما كانت قصّتك ؟

قال : ارتفع والله من رجلي شيء حارّ وهبط من رأسي شيء بارد فالتقيا وتصادما ، فوقعتُ بينهما لا أدري ما كانت حالي .

---

١ العزل : ماء بين البصرة واليمامة .

٢ لبط به ، بالبناء للمجهول : اذا ضرب بنفسه الأرض من داء أو أمر يغشاه مفاجأة .

أخبار عنان وغيرها من القيان

كان[1] هارون الرشيد قد استعرضَ عِنان جارية الناطفي ليشتريها ، وقال لها : أنا والله أحبك . ثم أمسك عن شرائها . فجلس ليلةً معه سُمّاره ، فغنّاه بعضُ مَن حضر من المغنين بأبيات من جرير حيث يقول :

إنّ الذين غدوا بلبِّك غادَروا وشَلا بعَيْنك ، لا يزال مَعينا

قال : فطرب الرشيد لها طرباً شديداً وأعجب بالأبيات ، وقال لجلسائه : هل منكم أحد يُجيز هذه الأبيات بمثلهن ، وله هذه البَدرة ؟

وبين يديه بَدرة من دنانير . فقالوا فلم يصنعوا شيئاً . فقال خادم على رأسه : أنا بها لك يا أمير المؤمنين .

قال : شأنك .

فاحتمل البـدرة ثم أتى الناطفي ، فقال له : استأذن لي على عِنان .

---

[1] الحديث لابراهيم بن عمر .

فأذنت له . فدخل وأخبرها الخبر . فقالت : ويحك ! وما الأبيات ؟

فأنشدها إياها .

فقالت له : اكتب :

هَيَّجتَ بالقول، الذي قد قُلتَه ،
داءً بقلبي ، ما يزال كَمِينا

قد أينعت ثمراته في حينها ،
وسُقِين من ماءِ الهوى ، فرَوينا

كَذَبَ الذين تقوّلوا ، يا سيدي ،
إنّ القلوب ، إذا هَوِين هَوِينا

فقالت له : دونك الأبيات ، فدفع إليها البدرة ورجع الى هارون . فقال له : ويحك ! من قالها ؟

قال : عِنان جارية الناطفي .

فقال : خلعتُ الخلافة من عنقي إن باتت إلا عندي .

قال : فبعث الى مولاها فاشتراها منه بثلاثين ألفاً ، وباتت بقية تلك الليلة عنده .

•

وقال الأصمعي : ما رأيت الرشيد مُتبذلاً قطُّ إلاّ مرّةً ، كتبتْ إليه عنان جارية الناطفي رقعة فيها :

كنتُ في ظِلٍّ نعمة بهواكا ، آمناً منكَ لا أخاف جفاكا

فسعى بيننا الوشاةُ ، فأفرز ت عيونَ الوشاة بي ، فهناكا

ولعَمري ، لغير ذا كان أولى بك ، في الحقّ ، يا جُعلت فداكا

قال : فاخذ الرقعة بيده ، وعنده أبو حفص الشّطرنجي ، فقال : أيكم يُشير الى المعنى الذي في نفسي فيقول فيه شعراً ، وله عشرة آلاف درهم ؟

فظننت أنه وقع بقلبه أمرُ عنان ، فبدر أبو حفص فقال :

مجلسٌ يُنسَبُ السرور إليه ، لِمُحبٍّ ، رَيحانُه ذِكراكا

فقال : يا غلام ، بدرة .

فقال جرير :

كُلما دارت الزُّجاجة والكا سُ أعارته صَبوةٌ ، فبكاكا

فقال : يا غلام ، بدرة . قال الأصمعي : فقلت :

لم ينلكِ الرَّجاءُ أن تحضُريني ، وتجافت أُمنيتي عن سِواكا

قال : أحسنت والله يا أصمعي ، لها ولك بهذا البيت عشرون ألفاً .

وقال : غير أني أشعرُكم حيث أقول :

قد تمنّيتُ أن يُغشّيني الا ه نُعاساً ، لعلّ عيني تراكا

قلنا له : صدقتَ والله يا أمير المؤمنين .

•

وقال بكر بن حمّاد الباهلي : لما انتهى إليّ خبرُ عِنان وأنها ذُكرت لهارون ، وقيل له إنها اشعر الناس ، خرجتُ متعرضاً لها ، فما راعني إلا الناطفي مولاها قد ضَرب على عَضُدي ، فقال لي : هل لك فيما سنح من طعام وشراب ومجالسة عِنان ؟

فقلت : ما بعد عِنان مَطلب .

ومضينا حتى أتينا منزله . فعقل دابّته ثم دخل ، فقال : هذا بَكرٌ شاعر باهلة يريد مجالستَكِ اليوم .

فقالت : لا والله ، إني كَسلانة .

فحَمل عليها بالسوط ، ثم قال لي : ادخُل ، فدخلت ودمعُها يتحدّر كالجُمان في خدّها ، فطمعتُ بها فقلت :

هذي عنانٌ ، أسبلَتْ دمعَها ،
كالدُّرّ ، إذ ينسلّ من خَيطهِ

ثم قلت لها : أجيزي . فقالت :

فليت مَن يَضرِبُها ، ظالماً ،
تَجِفّ يُمناه على سَوطه

فقلت لها : إنّ لي حاجة .

فقالت : هاتها ، فمن سَببك أوذينا .

قلت لها : بيتٌ وجدته على ظهر كتابي لم أفرضه ولم أقدر على إجازته .

قالت : قل .

فأنشدتها :

فما زال يشكو الحُبَّ ، حتى حسبتُه
تنفّس ، في أحشائـه ، أو تكلّما

قال : فأطرقت ساعة ثم أنشدت :

ويَبكي ، فأبكي رحمةً لبُـكائـه ،
إذا ما بكى دمعـاً بكيتُ له دما

قلت لها : فما عندك في إجازة هذا البيت :

بَديع حُسنٍ ، بديع صَدٍّ ، جَعلت خدّي له مَلاذا

فأطرقت ساعة ثم قالت :

فعاتَبـــوه ، فعنّفوه ، فأوعدوه ، فكان ماذا ؟

●

كان[1] للمأمون جماعة من المغنين ، وفيهم مغنٍّ يسمى سَوسناً ، عليه وَسم جمال . قال : فبينما هو عنده يغني إذ تطلّعت جارية من جواريه فنظرت إليه فعلقته . فكانت إذا حضر سَوسن تُسوّي عودها وتغني :

ما مررنا بالسّوسنِ الغضّ ، إلا
كان دمعي ، لمُقلتيّ ، نديما

حبّذا أنت ، والمُسمّى به أنت ،
وإن كُنت منه أذكى نسيما

فإذا غاب سوسن أمسكت عن هذا الصوت وأخذت في غيره . فلم تزل تفعل ذلك حتى فطن المأمون . فدعا بها ودعا بالسّيف والنّطع ، ثم قال : اصدُقيني أمرَكِ .

قالت : يا أمير المؤمنين ، يَنفعني عندك الصّدق ؟

قال لها : إن شاء الله .

قالت : يا أمير المؤمنين ، اطّلعتُ من وراء الستارة فرأيته فعلقتُه .

فأمسك المأمون عن عقوبتها ، وأرسل إلى المُغني فوهبها له ، وقال : لا تقربنا .

●

---

١ الحديث لاسحاق بن ابراهيم الموصلي .

قال أبو الحسن : كان الواثق إذا شرب وسَكِر رقد في موضعه الذي سكر فيه ، ومن سكر من ندمائه تُرك ولم يخرج . فشرب يوماً فسَكِر ورقد وانقلب أصحابه ، إلا مغنياً أظهر التراقد ، وبقيت معه مغنّيةٌ للواثق . فلما خلا المجلس وقّع المُغني في سِحاءَةٍ[1] ودفعها إليها :

إني رأيتُكِ في المَنام ، كأنَّني
مُترشّفٌ مِن ريق فيكِ الباردِ

وكأنَّ كفَّكِ في يدي ، وكأنما
بِتْنا جميعاً في فِراشٍ واحدِ

ثم انتبهتُ ، ومَنْكِباكِ كلاهما
في راحتيّ ، وتحتَ خدّكِ ساعدي

فأجابته :

خيراً رأيتَ ، وكلّ ما أبصرتَه
ستناله مني برغم الحاسِـــدِ

وتَبيتُ بين خلاخلي ودمالجي ،
وتحلُّ بين مَراشفي ومَجاسدي

١ السحاءة : القشرة من القرطاس .

فنكونُ أنعمَ عاشقَين تَعاطَيا
مُلَحَ الحَديث ، بلا مَخافة راصد

فلما مدّت يدَها لترمي إليه بالسّحاءة، رفع الواثقُ رأسَه، فأخذ السّحاءة من يدها ، وقال لهما : ما هذه ؟

فحلَفا له أنه لم يَجْرِ بينهما قبلَ هذا كلامٌ ولا كتاب ولا رسول غير اللّحظ ، إلا أنّ العشق قد خامرهما .

فأعتقها وزوّجها منه

•

قال: ولمّا كَلِف يزيدُ[1] بحَبابةَ، واشتغل بها وأضاع الرعية، دخل عليه مَسلمة أخوه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، تركت الظهور للعامّة والشهودَ للجُمعة ، واضعت أمر المسلمين ، واحتجبت مع هذه الأمة. فارعوى قليلا وظهر للناس. فأوحت حَبابةُ إلى الأحوص أن يقول أبياتاً يُهوِّن فيها على يزيد ما قال مَسلمة . فقال ، وغنّت بها حَبابة :

ألا لا تَلُمْهُ اليومَ أن يتبلّدا ،
فقد مُنع المَحزون أن يتجلّدا

إذا أنتَ لم تَعشق ، ولم تَدْرِ ما الهوى ،
فكُن حجراً من يابس الصّخر جَلْمدا

---

١ يزيد بن عبد الملك .

هـل العيشُ إلاّ مـا تلَذّ وتَشتهي ،
وإنْ لام فيه ذو الشّنـان ، وفنّدا؟

فلما سمعها ضَرب بخيزرانته الأرضَ وقـال : صدقت ! صدقت ! على مَسلمة لعنةُ الله . ثم عاد إلى سيرته الأولى .

●

كان[1] يزيد بن عبد الملك كَلِفاً بحَبابة كلفاً شديداً . فلما تُوفيت أكبَّ عليها أياماً يترشّفها ويتشمّمُها حتى أنتنت ، فقام عنها وأمر بجهازهـا ، ثم خَرج بين يدي نَعشها ، حتى إذا بلغ القبرَ نزل فيه ، حتى إذا فرغ من دَفنها وانصرف ، لَصِق إليه مَسلمةُ أخوه يعزيه ويُؤنسه . فلما أكثر عليه قال له : قاتل الله ابنَ أبي جُمعة[2] حيث يقول :

فإن تَسْلُ عنكِ النفسُ ، أو تَدع الهوى ،
فباليأس تَسلو عنك ، لا بالتجلّدِ

وكلُّ خليلٍ زارني ، فهو قائلٌ :
من اجلِكِ هذا هامةُ اليوم ، أو غد

قال : وطُعن في جنازتها ، فدفنّاه إلى سَبعة عشرَ يوماً .

●

---

١ الحديث للهيثم بن أبي بكر .
٢ كثير عزة .

وذكر المعتصم جاريةً كانت غلبت عليه وهو بمصر ، ولم يكن خرج بها معه ، فدعا مغنّياً له فقال له : ويحك ! إني ذكرت جارية ، فأقلقني الشوق إليها ، فهات صوتاً يُشبه ما ذكرتُ لك .

فأطرق مليّاً ثم غنّى :

ودِدْتُ ، من الشوق المُبرّحِ ، أنني
أُعار جناحَيْ طائر ، فأطير

فما لنَعيم ، لستِ فيه ، بشاشةٌ ،
وما لسُرور ، لستِ فيه ، سُرور

وإنّ امرأً ، في بلدة نِصْفُ قلبه ،
ونِصْفٌ بأخرى غيرها ، لَصَبور

فقال: والله ما عدوتَ ما في نفسي، وأمر له بجائزة، ورحل من ساعته . فلما بلغ الفَرَما قال :

غريبٌ في قُرى مِصْر ، يُقاسي الهمّ والسَّدَما[1]
لِلَيلُكَ كان بالمَيْدا ن أقصر منه بالفَرَما

•

وقال المأمون في قَينة له :

---

[1] السدم : الهمّ مع الندم ، الغيظ مع الحزن .

لها في لحظها لحظاتُ حتفٍ
تُميت بها وتُحيي من تُريدُ

فإنْ غضبتْ رأيتَ الناس قتلى ؛
وإن ضحكت ، فأرواحٌ تعودُ

وتَسبي العالَمين بمُقلتيها ،
كأنَّ العالَمين لها عبيد

•

وأنشد البُحتري في قَينة له :

أمازحُها فتغضَبُ ، ثم ترضى ،
وجُلُّ فعالِها حَسَنٌ جميل

فان تَغضب ، فأحسنُ ذاتِ دلٍّ ؛
وإن رضيت ، فليس لها عَديل

•

وقال ابن المعتز في قَينة له :

سقتْنيَ ، في ليل شبيه بشَعرها ،
شبيهةَ خدَّيها بغير رقيب

فأمسيتُ في ليلين للشَّعر والدُّجى ،
وشمسين من كأس ووجه حبيب

•

وقال هارون الرشيد في قينة له :

تُبدي صدوداً ، وتُخفي تحته مِقَةً ،
فالنفسُ راضيةٌ والطرْفُ غضبانُ[1]

يا مَن وضعتُ له خدّي فذلّله ،
وليس فوقي ، سوى الرّحمن ، سُلطان

•

وقال إبراهيم الشّيباني : القَينة لا تُخاص محبةً لأحد ، ولا تؤتي إلا من باب الطمع .

وقال عليّ بن الجَهم : قلتُ لقَينة :

هل تَعلمين ، وراء الحب ، منزلةً
تُدني اليك ، فانّ الحُبّ أقصاني؟

فقالت : تأتي من باب الذّهب ، وأنشدتْ :

اجعل شفيعَك مَنقوشاً تُقدّمهُ ،
فلم يزل مُدنياً مَن ليس بالدّاني

•

وكان اشعب يختلف الى قَينة بالمدينة ، فجلس عندها يوماً

---

١ المقة : الحب .

يطارحها الغناء ، فلما أراد الخروج قال لها : ناوليني خاتمك أذكرك به .

قالت : إنه ذهب ، وأخاف أن تذهب ، ولكن خذ هذا العود فلعلّك تعود . وناولته عوداً من الارض .

•

وكان أشعب يختلف الى قَينة بالمدينة يَكلَف بها وينقطع اليها إذا نظر اليها . فطلبت منه أن يُسلفها دراهم . فانقطع عنها وتجنّب دارها ، فعملت له دواء ولقيتْه به . فقال لها : ما هذا ؟

قالت : دواء عملتُه لك تَشربه لهذا الفزع الذي بك .

قال: اشربيه أنت للطّمع ، فان انقطع طمعك انقطع فزعي، وأنشأ يقول :

أنا والله أهــــواكِ ، ولكن ليس لي نَفقَه
فإمّا كنتِ تَهْوَيني ، فقد حلّت لي الصدقه

•

وقعد أبو الحارث جُمّيز إلى قينة بالمدينة صدْرَ نهاره ، فجعلت تُحدّثه ولا تذكر الطعام . فلما طال ذلك به ، قال : ما لي لا أسمع للطعام ذكراً ؟

قالت : سبحان الله ، أما تستحي ، أما في وجهي ما يشغلك عن هذا ؟

فقال لها : جُعلت فداك ، لو أن جميلاً وبُثينة قعدا ساعة واحدة لا يأكلان لبَصق كل واحد منهما في وجه صاحبه وافترقا .

•

وقال الشيباني : كانت بالعراق قَينة ، وكان أبو نواس يختلف اليها ، فتُظهر له أنها لا تُحب غيره ، وكان كلما جاءها وَجد عندها فتىً يجلس عندها ويتحدّث اليها ، فقال فيها :

ومُظهِرةٍ ، لخَلقِ الله ، وُدّاً ، وتَلقى بالتحيّة والسلام

أتيت فؤادَها أشكو اليه ، فلم أخلُص اليه من الزّحام

فيا مَن ليس يَكفيها صديق ، ولا خمسون ألفاً كلَّ عام

أراكِ بقيّةً من قوم موسى ، فهم لا يَصبرون على طعام

•

وقال العُتبي : حضرتُ قَينةً مجلساً فغنّت فأجادتْ ، فقام اليها شيخ من القوم فجلس بين يديها وقال : كل مملوك لي حُر ، وكل امرأة لي طالق ، لو كانت الدنيا كلُّها صُرراً في كُمي لقطعتُها لك ، فأمّا إذ لم يكن ، فجعل الله كلَّ حسنة لي لك ، وكلَّ سيئة عليك عليّ .

قالت : جزاك الله خيراً ، فوالله ما يقوم الوالد لولده بما قُمتَ به لنا .

فقام شيخ آخر وقعد بين يديها وقال لها: كل مملوك لي حرّ، وكل امرأة لي طالق، إن كان وهب لك شيئاً ولا حمل عنك ثقلاً، لأنه ما له حسنةٌ يهبها لك، ولا عليك سيئة يحملها عنك، فلأيّ شيء تحمدينه ؟

•

كان[1] بالمدينة رجل جعفري من ولد جعفر بن أبي طالب، وكان يحب الغناء، وكان بالمدينة قينة يقال لها بَصبَص، وكان الجعفري يتعشقها، فقال يوماً لإخوانه: قوموا معي إلى هذه الجارية حتى نكاشفها فقد والله أيتمت ولدي وأرملت نسائي وأخربت ضيعتي.

فقاموا معه حتى إذا جاءوا إلى بابها دقه، فخرجت إليه، فإذا هي أملح الناس دلاً وشكلاً، فقال لها: يا جارية، أتغنين:

وكنت أحبكم، فسلوت عنكم،
عليكم، في دياركم، السلام

فاستحيَت وخجلت وبكت وقالت: يا جارية، هاتي عودي. والله ما أحسَن هذا ولكن أحسن غيره، فغنت:

تحمّلَ أهلُها منها، فبانوا، على آثار مَن ذهب العفاءُ

---

[1] الحديث لاسحق الموصلي.

قال : فاستحيا والله صاحبنا حتى تصبّب عرقاً ثم قال لها : يا سيدتي أفتُحسنين أن تغني :

وأخضع للعُتبى ، إذا كنتُ ظالماً ،
وإن ظلموا كنتُ الذي أتفضل

قالت : والله ما أعرف هذا ولكن غيره ، فغنّت :

فإن تُقبلوا بالودّ أُقبِل بمثله ،
وأُنزِلْكمُ منّا بأكرمِ منزل

قال : فدفع الباب ودخل وأرسل غلامه يحمل إليه حوائجه . وقال : لعن الله الأهل والولد والضيعة .

●

خبر الدلفاء

دخلت[1] على سليمان بن عبد الملك بن مَروان ، وهو جالس على دكّان مبلّط بالرخام الأحمر ، مفروش بالدّيباج الأخضر ، في وسط بستان ملتف قد أثمر وأينع ، وإذا بإزاء كل شق من البُستان مَيدان بنبتِ الربيع قد أزهر . وعلى رأسه وصائف ، كُلُّ واحدة منهن أحسنُ من صاحبتها . وقد غابت الشمسُ فنضّرت الخضرة ، وأضعفت[2] في حُسنها الزُّهَرَة[3] ، وغنّت الأطيار فتجاوبت ، وسَفت[4] الرياح على الأشجار فتمايلت ، بأنهار فيه قد شُققت ، ومياه قد تدفّقت . فقلت : السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته .

وكان مُطرقاً ، فرفع رأسه وقال : أبا زيد ، في مثل هذا الحين يُصاب أحد حيّاً ؟

قلت : أصلح الله الأمير ، أوَقد قامت القيامة بعد ؟

---

١ الحديث لابي زيد الاسدي .
٢ اضعفت : جعلت ضعفين .
٣ الزهرة : كوكب من السيارات ، وهي إلهة الجمال عند الاقدمين .
٤ سفت : اسرعت ، من سفا يسفو .

قال : نعم ، على أهل المحبة سراً والمراسلة بينهم خفية .

ثم أطرق ملياً ، ثم رفع رأسه فقال : أبا زيد ، ما يَطيب في يومنا هذا ؟

قلت : أعز الله الأمير ، قهوة صَفراء في زجاجة بيضاء ، تُناولها مقدودة هيفاء ، مضمومة لفّاء دَعْجاء[1] ، أشربها من كفها ، وأمسح فمي بفمها .

فأطرق سُليمان ملياً لا يُحير جواباً ، تنحدر من عينه عبرات بلا شَهيق . فلما رأى الوصائف ذلك تنحّين عنه . ثم رفع رأسه فقال : أبا زيد ، حللتَ في يوم فيه انقضاءُ أجلك ، ومُنتهى مدتك ، وتَصرُّم عمرك ، والله لأضربن عُنقك أو لتُخبرني ما أثار هذه الصِّفة من قلبك .

قلت : نعم أصلح الله الأمير ، كنت جالساً عند باب أخيك سعيد بن عبد الملك ، فإذا أنا بجارية قد خرجت إلى باب القصر كالغَزال انفلت من شَبكة الصيّاد ، عليها قميصٌ سَكْبٌ[2] يتبيّن منه بياضُ بَدنها ، وتَدويرُ سُرّتها ، ونَقْش تِكّتها ،

---

١ الهيفاء : الضامرة البطن الرقيقة الخصر . اللفاء : الضخمة . الدعجاء : السوداء العين مع سعتها .

٢ السكب : ضرب من الثياب رقيق كأنه سكب ماء من الرقة .

وفي رجليها نعلان صَرّاران[١]، قد أشرق بياض قدميها على حُمرة نعليها، مضمومة بفرد ذؤابة تضرب إلى حِقويها[٢]، وتسيل كالعثاكيل[٣] على منكبيها، وطُرّة[٤] قد أسبلت على متني جبينها، وصُدغان قد زُيّنا كأنهما نُونان على وجنتيها، وحاجبان قد قُوّسا على محجريّ عينيها، وعينان مملوءتان سِحراً، وأنف كأنه قصبة دُرّ، وفم كأنه جُرح يقطر دماً.

وهي تقول: عبادَ الله، مَن لي بدواء ما لا يُشتكى، وعلاج ما لا يُسمّى؟ طال الحجاب، وابطأ الجواب، فالفؤاد طائر، والقلب عازب، والنفس والهة، والفؤاد مُختلَس، والنوم مُحتبَس، رحمة الله على قوم عاشوا تجلّداً، وماتوا تبلّداً. ولو كان إلى الصبر حيلة، وإلى العزاء سبيل، لكان أمراً جميلاً.

ثم أطرقَتْ طويلاً، ثم رفعَت رأسها. فقلت: أيتها الجارية، إنسيّة أنت أم جنّيّة؟ سمائية أم أرضية؟ فقد أعجبني ذكاء عقلك، وأذهلني حُسن منطقِك.

فستَرت وجهها بكُمها كأنها لم تَرَني، ثم قالت: اعذر

---

١ صراران: مصوتان.
٢ حقويها: خصريها.
٣ العثاكيل، الواحد عثكول: هو من النخل بمنزلة العنقود من العنب.
٤ الطرة: الناصية.

أيها المتكلم الأريب ، فما أوحشَ الساعةَ بلا مُساعد ، والمُقاساةَ لصبٍّ مُعاند .

ثم انصرفت . فوالله ، أصلح اللهُ الأمير ، ما أكلتُ طيّباً إلا غُصصت به لذكراها ، ولا رأيتُ حسناً إلا سَمج في عيني لحُسنها .

قال سُليمان : أبا زيد ، كاد الجَهل أن يستفزّني ، والصِّبا أن يُعاودني ، والحِلم أن يعزب عني ؛ لحُسن ما رأيت وشجو ما سَمِعت ، تلك هي الذّلفاء التي يقول فيها الشاعر :

إنما الذّلفاء ياقوتةٌ ، أُخرجت من كِيس دهقان[1]

شراؤها على أخي ألفُ ألف درهم . وهي عاشقة لمن باعها ، والله إني من لا يموت إلا بحزنها ، ولا يدخل القبر إلا بغُصتها ، وفي الصبر سَلوة ، وفي توقّع الموت نُهية ، قُم أبا زيد فاكتُم المفاوضة . يا غلام ثقّله ببدرة .

فأخذتُها وانصرفت .

قال أبو زيد : فلما أفضت الخلافةُ إلى سُليمان صارت الذّلفاء إليه ، فأمر بفُسطاط[2] ، فأخرج على دَهناء الغوطةِ وضُرب في

---

١ الدهقان : التاجر .
٢ الفسطاط : بيت من شعر .

روضة خضراء ، مونقة زهراء ، ذات حدائق بهجة ، تحتها أنواع الزّهر الغضّ ، من بين أصفر فاقع ، وأحمر ساطع ، وأبيض ناصع ، فهي كالثوب الحرَميّ[1] ، وحواشي البُرد الأتحميّ[2] ، يثير منها مرّ الرياح نسيماً يربي على رائحة العنبر ، وفتيت المسك الأذفر . وكان له مُغنٍّ ونديم وسمير يقال له سِنان ، به يأنس وإليه يسكن . فأمر أن يُضرَب فسطاطه بالقُرب منه . وقد كانت الذّلفاء خرجت مع سليمان إلى ذلك المُتنزّه ، فلم يزل سِنان يومه ذلك عند سليمان في أكمل سرور ، وأتم حُبور ، إلى أن انصرف مع الليل إلى فسطاطه . فنزل به جماعةٌ من إخوانه فقالوا له : قِرانا ، أصلحك الله .

قال : وما قِراكم ؟

قالوا : أكل وشرب وسماع .

قال : أمّا الأكل والشّرب فمُباحان لكم ، وأمّا السّماع فقد عرفتم شدة غيرة أمير المؤمنين ونهيه إياي عنه ، إلا ما كان في مجلسه .

قالوا : لا حاجة لنا بطعامك وشرابك إن لم تُسمعنا .

---

١ نسبة إلى الحرم .
٢ الأتحمي : ضرب من البرود .

قال : فاختاروا صوتاً واحداً أغنّيكموه .

قالوا : غنّنا صوتَ كذا .

قال : فرفع عقيرتَه يتغنّى بهذه الأبيات :

مَحجوبةٌ سمِعتْ صَوتي ، فأرّقها
من آخر اللّيل لمّا طَلّها السّحرُ[1]

تَثني على الخدّ منها من مُعَصفرةٍ ،
والحَلْيُ بادٍ على لبّاتها ، خَصِرُ[2]

في ليلةِ النّمّ لا يَدري مُضاجِعُها ،
أوجْهُها عنده أبهى أم القمـــر

لم يَحجبِ الصوتَ أحراسٌ ولا غَلَق ،
فدمعهـــا لطُروق الصوت مُنحدر

لو خُلّيتْ لمَشتْ نحوي عـلى قَدم ،
تَكاد من لِينهـــا للمَشْي تَنفطر

فسمعت الذّلفاء صوتَ سِنان فخرجت إلى وسط الفُسطاط

---

١ طلّها : قطر عليها الطل ، المطر الضعيف .

٢ المعصفرة : ثوب مصبوغ بالعصفر ، وهو صبــغ اصفر اللون . الخصر : البارد .

تَستمع ، فجعلت لا تسمع شيئاً من حسن خَلق ولطافة قد إلى الذي وافق المَعنى ، من وقت الليل واستماعها الصوت ، إلا رأت ذلك كُله في نَفسها وهيئتها . فحرّك ذلك ساكناً في قلبها ، فهمَلت عيناها وعلا نَشيجها . فانتبه سُليمان فلم يجدها معه ، فخرج إلى صَحن الفُسطاط فرآها على تلك الحال ، فقال لها : ما هذا يا ذلفاء ؟ فقالت :

ألا رُبَّ صَوتٍ رائعٍ من مُشوَّه ،
قبيحِ المُحيَا ، واضع الأب والجَدِّ

يروعُكَ منه صوتُه ، ولعلّه
إلى أمَةٍ يُعزى معاً ، وإلى عَبدِ

فقال سليمان : دعيني من هذا ، فوالله لقد خامر قلبك منه ما خامر . يا غلام ، عليّ بسنان .

فدعت الذّلفاء خادماً لها فقالت : إن سبقت رسول أمير المؤمنين إلى سنان فحذّره ولك عشرة آلاف درهم ، وأنت حرّ لوجه الله .

فخرج الرسول فسبق رسول سليمان . فلمّا أُتي به قال : يا سنان ، ألم أنهك عن مثل هذا ؟

قال: يا أمير المؤمنين ، حملني الثمل وأنا عبدُ أمير المؤمنين

وغذيُّ نعمته ، فإن رأى أمير المؤمنين أن لا يُضيع حظّه من عبده فليفعل .

قال : أمّا حظّي منك فلن أضيعه ، ولكن ويلك ! أما علمت أن الرجل إذا تغنى أصغت المرأة إليه ، وأنّ الفرس إذا صهل استودقت له الحصان ، وأن الفحل إذا هدر ضبعت له الناقة ، وأنّ التيس إذا نبّ استحرمت له الشاة[1] ؟ إياك والعَود إلى ما كان منك فيطول غمّك .

•

كتب عليّ بن الجهم إلى قينة كان يتعشقها :

خفي الله فيمن قد تبلّتِ فؤاده ،
وتيّمته دهراً ، كأنّ به سِحرا

دعي الهجرَ لا أسمع به منك ، إنما
سألتُك أمراً ليس يُعري لكم ظَهرا

فكتبت إليه : صدقت ، جُعلت فداك . ليس يُعري لنا ظهراً ، ولكنه يملأ لنا بطناً .

•

---

١ استودقت ، وضبعت ، واستحرمت : اشتهت . نبّ : صاح .

كان[1] بالمدينة رجل من بني هاشم وكان له قَينتان يقال لإحداهما رشأ وللأخرى جؤذر ، وكان يحبُّ الغناء . وكان بالمدينة مُضحك لا يكاد يغيب عن مجالس المتظرفين . فأرسل الهاشميّ إليه ذات يوم ليَضحك به . فلمّا أتاه قال : ما الفائدة فيك وفي لذتك ولا لذة لي ؟

قال له : وما لذتك ؟

قال : تُحضر لي نبيذاً ، فإنه لا يطيب لي عيش إلاّ به .

فأمر الهاشميّ بإحضار نبيذ وأمر أن يُطرح فيه سكّر العُشَر . فلمّا شربه المضحك تحرّكت عليه بَطنه ، وتناوم الهاشميّ وغمز جواريه عليه . فلمّا ضاق عليه الأمرُ واضطرّ الى التبرّز قال في نفسه : ما أظن هاتين المغنّيتين إلاّ يمانيتين، وأهل اليمن يُسمون الكُنف المراحيض . فقال لهما : ياحبيبتيّ ، أين المرحاض ؟

قالت إحداهما لصاحبتها : ما يقول ؟

قالت : يقول غنّياني :

رَحضتِ فؤادي ، فخلّيتني   أهيم من الحبّ في كلّ وادِ

فاندفعتا تغنّيانه . فقال في نفسه : ما أراهما فهمتا عنّي ،

---

١ الحديث للهيثم بن عديّ .

أظنّهما مكيّتين وأهل مكة يسمونها المَخارج. قال: ياحبيبتيّ، أين المخرج ؟

قالت احداهما لصاحبتها : ما يقول ؟

قالت : يقول غنّياني :

خرجتُ بها من بطن مكة بعدما
أصاتَ المنادي للصلاة فأعلما

فاندفعتا تغنّيانه . فقال في نفسه : لم تفهما والله عني ، أظنّهما شاميتين وأهل الشام يسمونها المذاهب . فقال لهما : يا حبيبتيّ ، أين المذهب ؟

قالت إحداهما لصاحبتها : ما يقول ؟

قالت : يقول غنّياني :

ذهبتَ من الهجرانِ في غير مذهبٍ ،
ولم يكُ حقاً كلُّ هــذا التجنُّبِ

فغنّتاه الصوت . فقال في نفسه: لم تفهما عني ، وما أظنّهما إلاّ مدنيتين ، وأهل المدينة يسمونها بيوت الخلاء ، فقال لهما : يا حبيبتيّ ، أين بيت الخلاء ؟

قالت إحداهما لصاحبتها : ما يقول ؟

قالت : يسأل أن نغني :

خلّي عليَّ جوى الأشواق ، إذ ظعنَا ،
من بطنِ مكة ، والتسهيدَ ، والحزَنا

قال : فغنتاه . فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون ، ما أحسب الفاسقتين إلاّ بصريتين ، وأهل البصرة يسمونها الحشوش ، فقال لهما : أين الحش ؟

فقالت إحداهما لصاحبتها : ما يقول ؟

قالت : يسأل ان نغنّيه :

أوحشَ الحِشّانُ ، فالرّبعُ منها ،
فمُناهـــا فالمنزلُ المعمور[1]

فاندفعتا تُغنيانه . فقال : ما أراهما إلاّ كوفيتين ، وأهل الكوفة يسمونها الكُنف . قال : يا حبيبتيَّ ، أين الكنيف ؟

قالت إحداهما لصاحبتها : بعيش سيدنا هل رأيت أكثر اقتراحاً من هذا الرجل ! ما يقول ؟

قالت : يسأل أن نغني :

تكنّفني الهوى طِفْلا ، فشيّبني وما اكتهلا

---

١ الحشان ، الواحد حش : اطام اليهود بالمدينة .

قال : فغلبه بطنُه وعلم أنهما تُولعان به ، والهاشمي يتقطّع ضحكاً . فقال لهما : كذبتما يا زانيتان ، ولكني أعلمكما ما هو ، فرفع ثيابه فسلح عليهما ، وانتبه الهاشمي ، فقال له : سبحان الله ! أتسلح على وطائي !

قال : والذي خرج من بطني أعزّ عليّ من وطائك ، إن هاتين الزّانيتين إنما حَسِبتا أني أسأل عن الخُش للضّراط ، فأعلمتهما ما هو .

•

قولهم في العود

قال يزيد بن عبد الملك يوماً ، وذُكر عنده البَربط فقال : ليت شعري ما هو ؟ فقال له عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة ابن مَسعود : أنا أخبرك ما هو ، محدودب الظهر ، أرسح البَطن ، له أربعة أوتار ، إذا حُركت لم يسمعها أحد إلا حَرَّك أعطافه وهزَّ رأسه .

•

مَرَّ إسحاق بن إبراهيم الموصلي برجل يَنْحت عوداً فقال له : لمن تُرهف هذا السيف ؟

•

ومن قولنا في هذا المعنى :

يا مجلساً أينعتْ منه أزاهرُه ،
يُنسيك أوّلَه ، في الحُسن ، آخرُه

لم يَدرِ هل بات فيه ناعماً جَذِلاً ،
أو بات ، في جَنّة الفِردوس ، سامرُه

والعُود يَخْفِق مَثْناه ومَثْلثُه ؛
والصُّبح قد غَرّدت فيه عَصافرُه

والحِجـــارة أهزاج ، إذا نَطقت
أجابها مـن طيور البَرّ ناقــره

وحَنّ ، من بينها ، الكُثبانُ عن نغمٍ ،
تُبدي عن الصَّبّ ما تُخفي ضمائرُه

كأنمـــا العودُ ، فيما بيننا ، مَلِكٌ ،
يَمشي الهُوينى ، وتتلوه عَساكرُه

كأنه ، إذ تَمطّى ، وهي تَتبعُـه ،
كِسرى بن هُرمزَ تَقفوه أساورُه

ذاك المَصونُ ، الذي لو كان مُبتذلاً ،
ما كان يَكسِر بيتَ الشِّعر كاسرُه

صوتٌ رَشيق ، وضَربٌ لو يُواجعُه ،
سَجْعُ القَريض ، إذا ضلّت أساطرُه

لو كان زريابُ حيّاً ثم أسمَعـه ،
لمات مـــن حَسد ، إذ لا يُناظرُه

•

وقال بعضُ الكتّاب في العود :

وناطِق بلسان لا ضَميرَ له ،
كأنه فخِذٌ نِيطت إلى قدم

١٠

يُبدي ضميرَ سواه في الكلام ، كما
يُبدي ، ضميرَ سِواه ، مَنْطِقُ القلم

•

وقال الحَمدوني فيه :

وسَجَعت ، رَجْعَ عُودٍ بين أربعة ،
سِرُّ الضمائر ، فيما بَينها ، عَلَنُ

فوالَدتَ للنّدامى ، بينَ نَغمتها
وكفّها ، فَرَحاً تَفْصيلُه حَزَنُ

فما تلعثَم عنها لفظُ مِزْهرِها ؛
ولا تَحيَّر ، في ألحانها ، لَحن

تُهدي إلى كلِّ جزء، من طَبائعها ،
بنانُها نغماً أثمارُها فِتَن

وترتعي العينُ منها روضَ وَجنتها ،
طوراً ، وتَسرحُ ، في ألفاظها ، الأذُن

•

وقال عكاشة بن الحصين :

من كفِّ جاريةٍ كأنَّ بنانَها
مِن فِضّة ، قد طُرِّفت عُنّابا

وكأنّ يُمناها ، إذا ضربت بها ،
تُلقي ، على يدِها الشّمالِ ، حِسابا

•

ومن قولنا في العود :

يا رُبّ صوتٍ يصوغُه عَصبٌ ،
نيطت بساق ، من فوقها قَدَمُ

جَوفاء ، مَضمومةٌ أصابعُها ،
في ساكنات ، تحريكُها نغَمِ

أربعةٌ جُزّئت لأربعةٍ ،
أجزاؤها ، بالنّفوس ، تلتحم

أصغرها ، في القُلوب ، أكبرُها ،
يُبعثُ منه الشّفاءُ والسّقمُ

إذا أرنّت بغَمز لافِظها ،
قلتَ حَمام يجيبهنّ حَمُ[1]

لها لسان بكفّ ضاربِها ،
يُعرب عنها ، وما لهنّ فم

•

[1] حم : اراد حمام ، حذف الالف والميم على سبيل الاكتفاء البديعي .

قولهم في المبردين في الغناء

قال أبو نواس :

قُلْ لزُهير ، إذا تَشدا وحدا :
أَقْلِلِ ، أو اكثر ، فأنت مِهذار

سَخُنْتَ من شدة البُرودة ، حتى
صرتَ عندي ، كأنك النار

لا يَعجب السامعون من صِفَتِي ،
كذلك الثلج باردٌ حار

وقال أيضاً :

قد نَضَجنا ، ونحن في الجَيش طُرّاً ،
انضجتْنا كواكبُ الجَوزاء

فأصيبوا لنا حُسيناً ، ففيه
عِوَضٌ من جَليد بردِ الشتاء

لو يغني ، وفوه ملآنُ خمراً ،
لم يَضِرْهُ من برد ذاك الغناء

•

وقال دِعبل :

ومُغنٍّ ، إنْ تغنّى ، أورث النّدمان همّا
أحسنُ الأفوام ، حالاً فيه ، من كان أصمّا

•

وقال الحمدوني :

بينما نحن سالمون ، جميعاً ،
إذ أتانا ابنُ سالم مُختالا

فتغنّى صوتاً ، فكان خطاءً ،
ثم ثنّى أيضاً ، فكان مُحالا

سالنا خِلعةً على ما تغنّى ،
فخلعنا على قفاه النّعالا[1]

•

ولعبّاس الخياط :

رأيت يوماً سائباً يضرِبُ ، فقمت ، من مجلِسنا ، أهربُ
لأنّه ينبحُ ، من عُوده ، عليك ، من أوتاره ، أكلُبُ

---

[1] سالنا : مسهل سألنا .

كأنما تَسمع ، في حَلْقه ، دَجاجةً يخنُقها ثعلب
ما عَجبي منه ، ولكنّني مِن الذي يَسمعُه أعجب

•

وقال مؤمن في ربيع المغني ، وكان يتغنى وينقُر في الدواة :

غناؤك يا رَبيعُ أشـدّ بردًا ،
إذا حَمِي الهجيرُ ، من الصّقيعِ

ونَقْرك في الدّواة أشدُّ منه ،
فما يَصْبو إليك سوى رقيعِ[1]

أغِثْنا في المَصيف ، إذا تلظّى ،
ودَعْنا في الشّتاء وفي الرّبيع

•

---

١ الرقيع : الاحمق .

باب من الرقائق

قد جُبِل أكثرُ الناس على سوء الاختيار وقِلّة التحصيل والنّظر ، مع لؤم الغرائز ، وضعف الهمم ، فقَلّ مَن يختار من الصنائع أرفعَها ، ويطلب من العلوم أنفعَها ، ولذلك كان أثقلَ الأشياء عليهم ، وأبغضَها إليهم ، مؤنة التحفظ ، وأخفّها عندهم ، وأسهلَها عليهم ، إسقاطُ المروءة .

•

وقيل لبعضهم : ما أحلى الأشياء كلها ؟ قال : الارتكاس [1] .

وقيل لعبد الله بن جعفر : ما أطيبُ العيش ؟ قال : هتك الحياة واتّباع الهوى .

•

وقيل لعمرو بن العاص : ما أطيبُ العيشِ ؟ قال : ليقم مَن هنا مِن الأحداث . قال : فلما قاموا ، قال : العيش كله إسقاط المروءة ، وأي شيء أثقل على النفس من مجاهدة الهوى ومكابدة الشهوة ؟ ومن ذلك كان سوء الاختيار أغلبَ على

---

١ الارتكاس : الازدحام والاقامة والثبات .

طبائع الناس من حسن الاختيار .

ألا ترى أن محمد بن يزيد النحوي ، على علمه باللغة ومعرفته باللسان ، وضع كتاباً سمّاه بالروضة وقصد فيه إلى أخبار الشعراء المحدثين ، فلم يختر لكل شاعر إلاّ أبردَ ما وجدَ له ، حتى انتهى إلى الحسن بن هانىء ، وقلّما يأتي له بيت ضَعيفٌ لرقّة فِطنته وسُبوطة[1] بنيته وعُذوبة ألفاظه ، فاستخرج له من البُرد[2] أبياتاً ما سمعناها ولا رويناها ، ولا ندري من أين وقع عليها ، وهي :

ألا لا تَلُمني في العُقار ، جَليسي ،
ولا تَلْحَني في شربها بعُبوسِ

تعشّقها قلبي ، فبَعْضَ عشقُهـا
إليّ ، من الأشياء ، كُلُّ نفيس

وأين هذا الاختيـار من اختيار عمرو بن بحر الجاحظ حين اجتلب ذكره في كتاب الموالي ، فقال : ومن الموالي الحسنُ ابن هانىء ، وهو من أقدر الناس على الشعر ، وأطبعهم فيه .

---

١ سبوطة : سهولة .
٢ البرد : اي الابيات الباردة .

ومن قوله :

فجاء بها صفراء بكراً ، يزفّها
إليّ عروساً ذاتَ دَلٍّ معشّقِ

فلمّا جلَتْها الكأسُ أبدت لناظري
محاسنَ ليتٍ ، بالجُمانِ ، مُطَوّقِ [1]

ومن قوله :

ساعٍ بكأسٍ ، إلى ناسٍ ، على طَرَبٍ ،
كلاهما عَجَبٌ في مَنظرٍ عَجَبِ

قامت تُريك ، وشَمْلُ الليل مجتمع ،
صُبحاً تولّد بين الماء والعِنَبِ

كأنّ صُغرى وكُبرى ، من فقاقِعها ،
حَصْباءُ دُرٍّ على أرض من الذهبِ

وجُلُ أشعاره الخمريات بديعة لا نظير لها ، فخطر بها كلها وتخطاها إلى التي جانسته في بَرده ، فما أحسبه لحقه هذا الاسم ، أعني المُبرد ، إلا لبرده . وقد تخيّر لأبي العتاهية أشعاراً تقتل من بردها ، وشنّفها وقرّطها بكلامه ، فقال : ومن شعر أبي

---

١ الليت : صفحة العنق . الجمان : اللؤلؤ .

العتاهية المُستظرف عند الظرفاء المُتخيَّر عند الخلفاء قوله :

يا قُرةَ العين ! كيف أمسيتِ ؟ أعزز علينا بما تَشكيتِ !

وقوله :

آه من وجدي و كَربي ؛ آه من لوعة حبّي
ما أشدَّ الحُبَّ ، يا سبحا نَك اللهمَّ ربّي

•

ونظير هذا من سوء الاختيار ما تَخيَّره أهل الحِذق بالغناء والصانعون للألحان من الشعر القديم والحديث ، فإنهم تركوا منه الذي هو أرقُّ من الماء ، وأصفى من رقة الهواء ، وكُل مدنيّ رقيق ، قد غُذي بماء العقيق ، وغنّوا بقول الشاعر :

فلا أنسى ، حياتي ، ما عَبدت الله لي ربّا
وقلتُ لها : أنيليني ! فقالت : أفرَقُ الدُّبّا[1]
ولو تَعلم ما بيَ لم تَهب دُبّاً ، ولا كَلبا

وأقلّ ما كان يَجب في هذا الشعر أن يُضرب قائله خمسمائة سوط ، وصانعه أربعمائة ، والمغني به ثلثمائة ، والمصغي إليه

---

١ افرق : اخاف .

مائتين . ومثله :

كأنما الشمسُ ، إذا ما بَدت ،
تلك التي قلبي لها يَضرِب

تلك سُلَيْمايَ إذا ما بدتْ ،
وما أنا في وُدّها أرغب

كأنّ ، في النفس ، لها ساحراً ،
ذاك الذي علّمه المُذهَبُ

يعني بالمذهب الجني .

ومثله :

يا خليليّ ! أنتما علّلاني ،
بين كَرمٍ ومِزهَرٍ وجِنانِ

خبّراني ! أين حلّت مناي َ ،
يا عباد الله لا تكتُماني

إنما حلّت بوادٍ خصيب ،
يُنبِتُ الوَرْس مع الزعفرانِ

أحلفُ بالله لو وجداني
غرِقاً في البحر ، ما أنقذاني

•

ومثله :

أبصرت سلمى من مِنى ، يوماً ، فراجعت الصّبا
يا دُرّةَ البَحر ! متَى تَشهد سوقاً نشترى

•

ومثله :

يا معشرَ الناس ! هذا أمرٌ وربّي شديد
لا تَعْنُفي يا فُلانه ، فإنني لا أريد

•

ومثله :

أرقت ، فأمسيتُ لا أرقدُ ،
وقد شفّني البيضُ والخُرَّدُ

فصرت لظبي بني هاشم ،
كأنّنيَ مكتحل أرمدُ

أقلّبُ أمري لدى فِكرتي ،
وأهبِط طوراً ، فما أصعد

وأصعد طوراً ، ولا علمَ لي ،
على أنني قبلكم أرشَد

•

ومثله :

ما أرجتي من حبيبٍ، ضَنّ عني بالمِـدادِ
لو بكفيـه سَحاب، ما ارتوت منـه بلادي
أنا في وادٍ، ويُمسي هو لي في غير واد
ليتَه ، اذ لم يَجُـد لي بالهَوى ، ردّ فؤادي

•

ومثله :

مـا لسَلمى تجنَّبت ؛ ما لها اليوم ، ما لها ؟
إن تكُن قد تغضَّبت ، أصلحَ اللهُ حالـَهـا

•

باب من رقائق الغناء

قال الزُّبير بن بكّار : سألت إسحاق : هل تُغنّي من شعر الرّاعي شيئاً ؟

قال : وأين أنت من قوله :

فلم أرَ مظلوماً ، على حال عِزّة ،
أقلّ انتصاراً باللّسان وباليَدِ

سوى ناظرٍ ساجٍ ، بعينٍ مَريضةٍ ،
جرتْ عبرةٌ منها ، ففاضت بإثمدِ[1]

•

ومن شعر ابن الدُّمينة وهو عُبيد الله بن عبد الله ، والدُّمينة أمّه ، وهو من أرق شعراء المدينة بعد كُثير عزّة ، وقيس ابن الخَطيم :

بنفسي وأهلي مَن ، إذا عرضوا له
ببعض الأذى ، لم يدرِ كيف يُجيبُ

---

١ الساجي : الساكن . الاثمد : نوع من الكحل .

ولم يَعتذر عُـذر البريء ، ولم تزل
له بَهتَـةٌ ، حتى يُقـال مُريب

جرى السيلُ ، فاستبكانيَ السيلُ إذ جرى ،
وفاضت له مـن مُقلتيّ غـروب

ومـا ذاك إلا أنْ تيقّنت أنـه
يَمرُّ بوادٍ ، أنت منـه قريب

يكون أجاجـاً قبلكم ، فإذا انتهى
إليكم تلقّـى طيبكم ، فيَطيبُ[1]

أيا ساكِني شرقيّ دجلةَ ! كلُّكم
الى القلب ، من أجل الحَبيبِ ، حبيبُ

•

ومن قول يزيد بن الطّثرية ، وغنّى به ابنُ صيّـاد المُغني وغيره :

بنفسيَ مَن لو مرّ بَردُ بنانه
على كَبدي ، كانت شِفاءً أنامله

ومَن هابني في كلّ شيء ، وهِبتُه ،
فلا هو يُعطيني ، ولا أنا سائلـه

•

---

١ الاجاج : الماء الملح .

وبما يغنى به من قول جرير :

أتذكُرُ ، إذ تُوَدِّعُنا سُليمى ،
بعود بَشامة ، سُقِيَ البَشام[1]

بنفسي مَنْ تَجنُّبه عزيزٌ
عليَّ ، ومَن زِيارتُه لِمام[2]

ومَن أُمسي وأُصبح لا أراه ،
ويَطرُقني ، إذا هَجَعَ النيام

متى كان الخيامُ بذي طُلوح ؛
سُقيتِ الغيثَ أيتها الخِيام[3]

•

وبما غنّتني به نُوّمة الضحى :

يا مُوقد النارِ ، قد أعيت قَوادحُه ،
اقتَبس ، إذا شئتَ ، من قلبي بمقباسِ

---

١ البشام : شجر طيب الرائحة تتخذ عيدانه لاخراج ما دخل بين الاسنان من الطعام .
٢ لمام : غير طويلة .
٣ ذو طلوح : موضع .

ما أوحشَ الناسَ في عَيني وأقبحَهم ،
إذا نظرتُ ، فلم أبصرْكَ في النـاسِ

•

ومما يغنى به من شعر ذي الرمّة ، وهو من أرقّ شعر يغنى به ، قوله :

لئن كانت الدُّنيا عليّ ، كما أرى ،
تَباريحَ مِن ذكراكِ ، فالموتُ أرْوحُ

•

وأكثرُ ما كان يُغني معبد بشعر الأحوص ، ومن جيّد ما غنى به له قولُه :

كـأني من تذكـّر أمّ حَفصٍ ،
وحَبلُ وِصالهـا خَلَقٌ رِمَـام[1]

صريعُ مُدامة غَلبتْ عليه ،
تموتُ لها المَفاصلُ والعِظام

سلامُ الله ، يا مَطرٌ ، عليها ،
وليس عليـك ، يا مطرُ ، السلام

فإن يكن النّكاحُ أحـلّ شيئاً ،
فإنّ نِكاحَـهـا ، مطراً ، حرام[2]

•

١ الخلق والرمام : البالي .
٢ النكاح : الزواج .

ومن شعر المتوكل بن عبد الله بن نهشل وكان كوفياً في عصر معاوية ، وهو القائل :

لا تنهَ عن خُلق وتأتيَ مثله[1]

قِفي ، قبل التفرّق ، يا أماما ،
ورُدّي ، قبل بَيْنكم ، السّلاما

تُرجّيها ، وقد شطّت نَواها ،
ومنّتك المُنى عاماً ، فعاما

فلا وأبيكِ لا أنساكِ ، حتى
تُجاوب هامتي ، في القبر ، هاما

ومما يُغنى به من شعر عديّ بن الرقاع :

تُزجي أغنُّ ، كأنّ إبرةَ رَوْقه ،
قلمٌ أصابَ ، مِن الدواة ، مِدادَها[2]

ولقد أصبتُ ، من المَعيشة ، لذةً ،
ولَقيت ،مِن شَظف الخُطوب ،شِدادها

وعلمتُ ، حتى ما أسائل عالماً
عن حرف واحدةٍ ، لكي أزدادها

١ وعجز البيت : عارٌ عليك اذا فعلت ، عظيم .
٢ الاغن : الظبي . ابرة روقه : رأس قرنه .

الغناء والمغنون

كتاب الياقوتة الثانية	٥
فضل الصوت الحسن	٧
اختلاف الناس في الغناء	١٢
اخبار عبد الله بن جعفر	٣٤
اخبار ابن أبي عتيق	٤٠
اصل الغناء ومعدنه	٥٣
اخبار المغنين	٥٥
من سمع صوتاً فوافقه معناه	٩٣
من قرع قلبه صوت	١٠٩
اخبار عنان وغيرها من القيان	١١٦
خبر الدلفاء	١٣٢
قولهم في العود	١٤٤
قولهم في المبردين في الغناء	١٤٨
باب من الرقائق	١٥١
باب من رقائق الغناء	١٥٨

العقد الفريد

١ السلطان وعدل ساعة
٢ تحت ظلال القنا
٣ الأيدي السخيّة
٤ وفود العرب
٥ مخاطبة الملوك
٦ أبناء النور ١
٧ أبناء النور ٢
٨ ابناء النور ٣
٩ أمثال العرب
١٠ سحر البيان
١١ دموع الأحزان
١٢ أنساب العرب
١٣ من خيام الاعراب
١٤ فيض الخواطر
١٥ أدب المنابر
١٦ الكتابة والكتّاب

١٧ أخبار الخلفاء ١
١٨ أخبار الخلفاء ٢
١٩ اخبار الخلفاء ٣
٢٠ أمراء المسلمين
٢١ أيام العرب ١
٢٢ أيام العرب ٢
٢٣ طرائف الشعراء ١
٢٤ طرائف الشعراء ٢
٢٥ الأعاريض والقوافي
٢٦ الغناء والمغنون
٢٧ أخبار النساء
٢٨ المجانين والبخلاء والطفيليون
٢٩ طبائع الانسان والحيوان
٣٠ الطعام والشراب
٣١ فكاهات وملح

« تم »

العقد الفريد

٢٧

اخبار النساء

مكتبة صادر
بيروت

٢٧

أخبار النساء

العقد الفريد

من اشهر المجموعات الأدبية عند العرب.
فيه ادب – وأقوال – ونوادر – وملح–
وتاريخ – واخبار الخ . الخ . . . .

•

أخبار النساء

هو كتاب المرجانة الثانية من العقد ،
مضبوط ومشروح بقلم
كرم البستاني

العقد الفريد

لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي

٢٧

أخبار النساء

مكتبة صادر
بيروت

١٩٥٣/١٥٠

كتاب المرجانة الثانية

في النساء وصفاتهن

قال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربّه رحمه الله : قد مضى قولنا في الغناء واختلاف الناس فيه ، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في النساء وصفاتهن وما يُحمد ويُذمّ من عشرتهنّ ، إذْ كان العيشُ كلّه مقصوراً على الحليلة الصالحة والزوجة الموافقة، والبلاءُ كلّه موكَّلاً بالقرينة السّوء، التي لا تسكنُ النفسُ الى كريم عِشرتها ، ولا تقرّ العينُ برؤيتها .

•

قال الاصمعيّ[1] : ما رفع أحد نفسه بعد الايمان بالله ، بمثلِ مَنكَحِ صدق، ولا وضع أحدٌ نفسه بعد الكفر بالله ، بمثل منكح سوء . ثم قال : لعن الله فلانة ، ألِفتْ بني فلان بِيضاً طوالاً ، فقلبتهم سوداً قصاراً .

•

---

١ الحديث عن عروة بن الزبير .

وفي حكمة سليمان بن داود عليهما السلام : المرأة العاقلة تبني بيتها والسفيهةُ تهدمه .

•

وقال: الجمال كاذب والحُسنُ مخلِف ، وإنما تستحق المدح المرأة الموافقة .

•

عن عَكّاف بن وَداعة الهلالي ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : يا عَكاف ، ألك امرأة ؟ قال : لا . قال : فأنت إذاً من إخوان الشياطين، إن كنت من رُهبان النصارى فالحق بهم ، وإن كنت منّا فانكح ، فان من سُنتنا النكاح .

•

وقالت عائشة : النّكاح رقّ ، فلينظر أحدكم عند من يُرِقُّ كريمته .

•

وقال صلى الله عليه وسلم : « أوصيكم بالنساء فإنهن عندكم عَوانٍ » ، يعني أسيرات .

•

قولهم في المناكح

خطب صعصعةُ بنُ معاوية إلى عامر بن الظَّرب حكيم العرب ابنَتَه عمرة، وهي أم عامر بن صعصعة، فقال : يا صعصعة، انك أتيتني تشتري مني كبدي ، فارحم ولدي قبلتُك أو رددتك . والحسيب كُفء الحسيب ، والزوج الصالح أب بعد أب . وقد أنكحتك خشية أن لا أجد مثلك أفرّ من السرّ الى العلانية . يا معشر عَدوان ، خرجتْ من بين أظهركم كريمتكم من غير رغبةٍ ولا رهبة ، أقسمُ لولا قسمُ الحظوظ على الجدود ما ترك الأول للآخر ما يعيش به .

•

العباس بن خالد السهمي قال : خطب عمرو بن حجر إلى عوف بن محلّم الشّيباني ابنته أم إياس ، فقال : نعم ، أزوّجها على أن أسميَ بنيها وأزوّجَ بناتِها .

فقال عمرو بن حجر : أما بنونا فنسميهم بأسمائنا وأسماء آبائنا وعمومتنا ، وأمّا بناتُنا فينكحهنّ أكفاؤهن من الملوك ، ولكني أصدقُها عقاراً في كِندة ، وأمنحها حاجات قومها ، لا تُردُّ لأحد منهم حاجة .

فقبل ذلك منه أبوها ، وأنكحه إياها . فلمّا كان بناؤه بها خلت بها أمها فقالت : « أي بنيّـة ، إنك فارقت بيتك الذي منه خرجت ، وعشك الذي فيه درجت ، إلى رجل لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه . فكوني له أمَة يكن لك عبداً ، واحفظي له خصالاً عشراً يكن لك ذخراً . اما الأولى والثانية : فالخشوع له بالقناعة ، وحسن السمع له والطاعة . وأمّا الثالثة والرابعة : فالتفقّد لموضع عينه وأنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشمّ منك إلاّ أطيب ريح . وأمّا الخامسة والسادسة : فالتفقد لوقت منامه وطعامه ، فإنّ تواتر الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مغضبة . وأمّا السابعة والثامنة : فالاحتراس[1] بماله والإرعاء على حشمه وعياله ، ومِلاك الأمر في المال حسنُ التقدير ، وفي العيال حسن التدبير . وأما التاسعة والعاشرة : فلا تَعصين له أمراً ولا تُفشين له سرّاً ، فإنـكِ إن خالفتِ أمره أوغرت صدره ، وإن أفشيتِ سره لم تأمني غـدره . ثم إياكِ والفرحَ بين يديه إذا كان مُهتماً ، والكآبة بين يديه إذا كان فرحاً . » فولدت له الحارث بن عمرو ، جد امرىء القيس الشاعر .

●

الشيباني قال : حدثنا بعض أصحابنا أن زرارة بنَ عـدس

---

١ الاحتراس : التحفظ .

نظر الى ابنه لقيط فقال : ما لي أراك مختالاً كأنك جئتني بابنة ذي الجدّين ، أو مائة من هجائن النعمان ؟

فقال : والله لا يمسّ رأسي دُهنٌ حتى آتيك بهما ، أو ابلي عذراً[1] .

فانطلق حتى اتى ذا الجدّين ، وهو قيس بن مسعود الشيباني ، فوجده جالساً في نادي قومه من شيبان ، فخطب إليه بنته علانية ، فقال له : هلاّ ناجيتَني ؟

قال : علمتُ أني إن ناجيتُك لم أخدعك ، وإن عالنتك لم أفضحك .

قال : ومن أنت ؟

قال : لقيط بن زرارة .

قال : لا جرم ، لا تبيتنّ فينا عَزَباً ولا مَحروماً .

فزوّجه وساق عنه المهر ، وبنى بها من ليلته تلك . ثم خرج إلى النعمان فجاء بمائتين من هجائنه ، وأقبل إلى أبيه ، وقد وَفّى نذره . فبعث إليه قيس بن مسعود بابنته مع ولده بسطام بن قيس ، فخرج لَقيط يتلقّاها في الطريق ومعه ابنُ عم له ، يقال له قُراد ، فقال لقيط :

---

١ أبلي عذراً : اقدّم عذراً .

هاجت عليك ديارُ الحيّ أشجانا،
واستقبلوا من نوى الجيران قُربانا

نامتْ فؤادك، لم تقضِ التي وعدت،
إحدى نساء بني ذُهل بن شيبانا[1]

فانظر، فُراد، وهل في نظرة جزع،
عُرضَ الشقائق هل بيّنتَ أظعانا[2]

فيهنّ جارية تنضحُ العبير بها،
تكسى ترائبُها دُرّاً ومرجانا

كيف اهتديت، ولا نجمٌ ولا علمٌ،
وكنتَ عندي نؤومَ الليل، وسنانا؟

ولما رحل بها بسطام بن قيس قالت: مرّوا بي على أبي أودّعه، فلما ودّعته قال لها: يا بُنيّة، كوني له أمةً يكن لك عبداً، وليكن أطيبَ طيبك الماء، ثم لا أذكرتِ ولا أيسرتِ[3]، فإنك تلدين الأعداء وتقرّبين البعداء.

إنّ زوجك فارس من فرسان مُضر، فإذا كان ذلك فلا تخمشي وجهاً ولا تحلقي شعراً.

---

١ نامت: عبّدت وذلّلت.

٢ بيّنت: تبيّنت.

٣ الإذكار: أن تلد الذكور. أيسرت: ولدت في سهولة.

فلما قُتِلَ لَقيط تحمَّلت إلى أهلها ثم مالت إلى مجلس عبد الله بن دارم ، فقالت : نعمَ الأحياء كنتم يا بني دارم ، وأنا أوصيكم بالغرائب خيراً ، فلم أرَ مثل لَقيط .

ثم لحقت بقومها . فتزوّجها ابنُ عم لها ، فكانت لا تسلو عن ذكر لقيط . فقال لها زوجُها : أيُّ يوم رأيت فيه لقيطاً أحسنَ في عينك ؟

قالت : خَرج يوماً يصطاد ، فطرد البقر فصَرع منها ، ثم أتاني مختضباً بالدماء ، فضمّني ضَمة ، ولثمني لثمة ، فليتني مِتُّ ثمة .

فخرج زوجها ففعل مثل ذلك ، ثم أتاها ، فضمّها ولثمها ، ثم قال لها : مَنْ أحسن أنا أم لَقيط عندك ؟

قالت : « مَرعًى ولا كالسَّعدان[1] . »

•

أبو الفضلِ عن بعض رجاله قال : قدم قيسُ بن زهير بعدما قَتل أهلَ الهَباءة على النَّمِر بن قاسط فقال : يا معشر النَّمِر ، نزعت[2] إليكم غريباً حزيناً فانظروا لي امرأة أتزوّجها ، قد أذلّها الفقر ، وأدّبها الغنى ، لها حسب وجمال .

---

١ السعدان : نبت تأكله الابل فتسمن .
٢ نزع اليه : ذهب اليه . والى اهله : اشتاق .

فزوّجوه على هيئة ما طلب . فقال : إني لا أقيم فيكم حتى أعلمكم أخلاقي : إني غيور فخور ضجور ، ولكني لا أغار حتى أرى ، ولا أفخر حتى أفعل ، ولا آنف حتى أظلَم .

فأقام فيهم حتى ولد له غلام سمّاه خَليفة ، ثم بدا له أن يرحل عنهم ، فجمعهم ثم قال : يا معشر النمر ، إنّ لكم عليّ حقاً ، وأنا أريد أن أوصيكم . فآمركم بخصال ، وأنهاكم عن خصال : عليكم بالإبل ، فإن بها تُنال الفُرصة ، وسوّدوا من لا تُعابون بسُؤدده ، وعليكم بالوفاء فإن به عيشَ الناس ، وإعطاءِ ما تُريدون إعطاءه قبل المَسألة ، ومَنْعِ ما تريدون مَنعه قبل القسم ، وإجارةِ الجار على الدهر ، وتَنفيسِ المنازل . وأنهاكم عن الرّهان ، فإنّ بها ثكلتُ مالكاً ، وأنهاكم عن البَغي ، فإنه صَرع زهيراً ، وعن السَّرف في الدماء ، فإن يوم الهَباءة أورثني الذّل ، ولا تُعطوا في الفُضول فتَعجِزوا عن الحُقوق ، ولا تردّوا الأكفاء عن النساء فتُحوجوهن إلى البلاء ، فإنْ لم تجدوا الأكفاء فخيرُ أزواجهنّ القُبور . واعلموا أني أصبحتُ ظالماً مَظلوماً ، ظلمني بنو بدر بقتلهم مالكاً ، وظَلمتُ بقتلي من لا ذنب له .

•

كان الفاكه بن المُغيرة المَخزوميّ أحدَ فتيانِ قُريش ، وكان قد تزوّج هند بنتَ عُتبة ، وكان له بيت للضّيافة يَغشاه

الناس فيه بلا إذن ، فقال[1] يوماً في ذلك البيت ، وهند معه ، ثم خرج عنها وتركها نائمة ، فجاء بعضُ مَن كان يَغشى البيت ، فلما وجد المرأة نائمةً ولى عنها. فاستقبله الفاكه بن المُغيرة ، فدخل على هند وأنبهها ، وقال : مَن هذا الخارج من عندك ؟

قالت: والله ما انتبهتُ حتى أنبهتني، وما رأيتُ أحداً قط.

قال : الحقِي بأبيك .

وخاض الناسُ في أمرهم . فقال لها أبوها : يا بُنية ، أنبئيني شأنك ، فإن كان الرجل صادقاً دسستُ عليه من يقتله فينقطع عنك العار ، وإن كان كاذباً حاكمتُه إلى بعض كُهّان اليمن.

قالت : والله يا أبت إنه لكاذب .

فخرج عُتبة ، فقال : إنك رميتَ ابنتي بشيء عظيم ، فإمّا أن تُبيّن ما قلت ، وإلاّ فحاكِمْني إلى بعض كُهّان اليمن .

قال : ذلك لك .

فخرج الفاكه في جماعة من رجال قريش، ونِسوة من بني مَخزوم ، وخرج عُتبة في رِجال ونِسوة من بني عبد مناف ، فلما شارفوا بلادَ الكاهن تغيّر وجهُ هِند ، وكَسَف بالُها . فقال لها أبوها : أي بُنية ، ألاّ كان هذا قبل أن يَشتهر في الناس خروجُنا ؟

---

١ قال : نام القيلولة ، نومة نصف النهار .

قالت : يا أبتِ ، والله ما ذلك لمكروه قِبَلي ، ولكنكم تأتون بَشراً يخطىء ويُصيب، ولعله أن يَسِمَني بسِمة تَبقى على ألسنة العرب .

فقال لها أبوها : صدقتِ ، ولكني سأخْبُره لك .

فصفَر بفرسه ، فلما أدْلي[1] ، عَمد إلى حبة بُر فأدخلها في إحليله ، ثم أوكى عليها وسار . فلما نزلوا على الكاهن أكرمهم ونحر لهم . فقال له عُتبة : إنا أتيناك في أمر وقد خبأنا لك خَبيئة ، فما هي ؟

قال : ثمرة في كَمَرة .

قال : أريد أبيَن من هذا. قال: حَبة بُرّ في إحليل مُهر.

قال : صدقت . فانظر في أمر هؤلاء النّسوة، فجعل يَمسح رأس كلّ واحدة منهنّ ، ويقول : قُومي لشأنك ، حتى إذا بلغ إلى هند مَسح يده على رأسها ، وقال: قُومي غيرَ رَسحاء[2] ولا زانية ، ولتلدين ملكاً يسمى مُعاوية .

فلما خرجت أخذ الفاكه بيدها فنترت[3] يدَه من يدها ، وقالت : والله لأحرصنّ أن يكون ذلك الولدُ من غيرك .

---

١ أدلى : أخرج جردانه ليبول .

٢ الرسحاء : القبيحة .

٣ النتر : الجذب بشدة .

فتزوّجها أبو سفيان فولدت له معاوية .

•

وذكروا أن هند بنت عتبة بن ربيعة قالت لأبيها : يا أبت ، إنك زوّجتني من هذا الرجل ولم تؤامرني في نفسي ، فعرض لي معه ما عرض ، فلا تزوجني من أحد حتى تعرضَ عليّ أمره ، وتبين لي خصاله .

فخطبها سهيل بن عمرو وأبو سفيان بن حرب ، فدخل عليها أبوها وهو يقول :

أتاكِ سُهيل وابنُ حرب ، وفيهما
رِضاً لكِ ، يا هندَ الهنود ، وَمقنَعُ

وما منهما إلا يُعاش بفضْله ،
وما منهما إلا يَضُرُّ وينفع

وما منهما إلا كريم مُرَزّأ ؛
وما منهما إلا أغرّ سَمَيْدع[1]

فدونكِ ، فاختاري ، فأنت بصيرةٌ ،
ولا تُخدعي ، إنّ المُخادِعَ يُخدَع[2]

قالت : يا أبت ، والله ما أصنع بهذا شيئاً ، ولكن فسّر

---

١ المرزّأ : الكريم السخي . السميدع : السيد الكريم . الشريف . الشجاع .
٢ تخدعي ، من اخدعه : حمله على المخادعة . واخدع الشيء : كتمه وأخفاه .

لي أمرَهما وبيِّن لي خصالهما ، حتى أختار لنفسي أشدَّهما مُوافقة لي .

فبدأ بذكر سُهيل بن عمرو ، فقال : أما أحدهما ففي سِطَةٍ[1] من العشيرة ، وثروة من العيش ، إن تابعتِه تابعك ، وإن مِلْتِ عنه حطَّ إليك ، تحكمين عليه في أهله وماله . وأما الآخر فمُوسَّع عليه منظورٌ إليه ، في الحَسَب الحسيب ، والرأي الأريب ، مِدْره أرُومته[2] ، وعِزّ عشيرته ، شديد الغَيرة ، كثير الطِّيَرة[3] ، لا ينام على ضَعة ، ولا يرفع عصاه عن أهله .

فقالت : يا أبت ، الأول سيّد مِضْيَاع للحُرة ، فما عَسَت أن تَلين بعد إبائها ، وتصنع تحت جَناحه ، إذا تابعها بعلُها فأشرت[4] ، وخافها أهلها فأمنت ، فساءت عند ذلك حالها ، وقَبُح عند ذلك دلالها ، فإن جاءت بولد أحمقت ، وإن أنجبت فعن خطإٍ ما أنجبت ، فاطو ذكر هذا عنّي ولا تُسمّه لي . وأما الآخر فبعل الفتاة الخَريدة ، الحُرة العَفيفة ، وإني للتي

١ السطة : التوسط ، أي هو من أوساطهم وخيارهم .
٢ المدره : السيد . زعيم القوم . أرومته : أصله .
٣ الطيرة : ما يتشاءم به .
٤ اشرت : بطرت .

لا أُريب له عشيرة فتُغيره ، ولا تُصيبه بذُعر فتضيره ، وإني لأخلاقِ مثل هذا لمُوافقة ، فزوّجنيه .

فزوّجها من ابي سُفيان . فولدت له مُعاوية ، وقبله يَزيد ، فقال في ذلك سُهيل بن عمرو :

نُبِّئتُ هنداً ، تَبَّر الله سَعْيَها ،
تأبَّت ، وقالت : وَصْفُ أهوجَ مائقِ [1]

وما هَوَجي ، يا هندُ ، إلا سَجِيَّةٌ ،
أجُرُّ لها ذيلي بحُسنِ الخلائق

ولو شئتُ خادعتُ الفتى عن قَلُوصه ،
ولاطَمْتُ ، بالبَطحاء ، في كلّ شارق [2]

ولكنني أكرمتُ نفسي تكرُّماً ،
ورافعتُ عنها الذّمّ عند الخلائق

وإني ، إذا ما حُرّةٌ ساء خُلقها ،
صَبرتُ عليها صَبرَ آخرَ عاشق

فإن هي قالت : خلّ عنها ، تركتُها ،
وأقلِل بتركِ من حَبيبٍ مُفارق

---

١ تبّر : أهلك ودمر . المائق : الأحمق .
٢ القلوص : الناقة .

فإن سامَحوني قلتُ : أمري إليكمُ ؛
وإن أبعدوني ، كنتُ في رأس حالقٍ[1]

فلم تَنكحي ، يا هندُ ، مثلي ، وإنني
لِمَن لم تَمِقْني ، فاعلمي ، غيرُ وامق

فبلغ أبا سفيان ، فقال : والله لو أعلم شيئاً يُرضي أبا زيد سوى طلاق هند لفعلتُه .

وألح سُهيل في تنقّص أبي سفيان . فقال أبو سفيان :

رأيت سُهيلاً قد تفاوتَ شأوُه ،
وفَرّط ، في العَلياء ، كلَّ عِنانِ[2]

وأصبحَ يَسمو للمَعالي ، وإنه
لذُو جَفْنةٍ مَغْشيّة وقِيان

وشَربٍ كرامٍ مِن لُؤيّ بن غالب ،
عِراضِ المَساعي عُرضةِ الحدثان

ولكنه يوماً ، إذا الحربُ شمّرت ،
وأبرزَ فيها وجهُ كلّ حَصان

---

١ الحالق من الجبال : المنيف المرتفع لا نبات فيه كأنه حُلق .
٢ الشأو : الأمد ، الغاية .

تطأطأ فيها ما استطـاع بنفسه ،
وقنّع فيها رأسَه ، ودَعاني[1]

فأكفيه ما لا يُستطاعُ دِفاعُه ،
وألقيتُ فيها كَلْكلي وجِراني[2]

قال: وتزوّج سُهيل بن عمرو امرأةً فولدت له ولداً ، فبينا هو سائر معه إذ نظر إلى رجل يركب ناقةً ويقود شاة ، فقال لأبيه : يا أبت ، هذه ابنةُ هذه ؟

يريد الشاة ابنة الناقة ، فقال أبوه : يَرحم الله هنداً .

يعني ما كان من فِراستها[3] فيه .

•

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنـه أنه قال : يا رسولَ الله ، لو تزوجتَ أم هانىء بنتَ أبي طالب ؟ فقد جعل الله لها قرابةً فتكون صهراً أيضاً .

فخطبها رسولُ الله صلى الله عليـه وسلم فقالت : والله لهو

---

١ تطأطأ : انخفض .

٢ الكلكل : الصدر . الجران ، من البعير : مقدّم عنقه . والقى فلان على هذا الامر جرانه : وطّن نفسه عليه.

٣ الفراسة : ادراك باطن الانسان من النظر الى ظاهره .

أحبُّ إليّ من سمعي وبصري ، ولكنّ حقّه عظيمٌ وأنا موتِمةٌ[١] ، فإن قمتُ بحقّـــه خِفت أن أضيع أيتامي ، وإن قمت بأمرهم قصّرت عن حقه .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : خيرُ نساءٍ رَكِبْنَ الإبلَ نساءُ قريش ، أحناها على ولد في صِغَره ، وأرعاها على بَعلٍ في ذاتِ يده . ولو علمتُ أن مريمَ بنتَ عِمرانَ ركِبت جملاً لاستثنيتُها .

•

ولما توفّيت زينبُ بنتُ رسول الله صلّى الله عليـه وسلّم عن عثمانَ بنِ عفّانَ عَرَض عليه عمرُ ابنته حفصة ، فسكت عنه عثمان . وقد كان بلغه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يُريد أن يزوّجه ابنته الأخرى . فشكا عمرُ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سكوت عثمان عنه ، فقال له : سيزوّج الله ابنتَك خيراً من عثمانَ ويزوّج عثمانَ خيراً من ابنتك . فتزوّج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم حفصةَ وتزوّج عثمانُ ابنتَه .

•

ولما خطب رسولُ الله صلّى الله عليـــه وسلم خديجةَ بنت

---

١ أيتمت : صار أولادها يتامى .

خويلد بن عبد العزّى ذكرت ذلك لورقة بن نوفل ، وهو ابنُ عمها ، فقال : هو الفَحل لا يُقدع[1] أنفه ، تزوجيه .

•

وخطب عمرُ بن الخطّاب أمّ كُلثوم بنت أبي بكر ، وهي صَغيرة ، فأرسل إلى عائشة ، فقالت له : الأمر إليك . فلما ذكرت ذلك عائشةُ لأم كلثوم قالت : لا حاجةَ لي فيه .

فقالت عائشة : أترغبين عن أمير المؤمنين ؟

قالت : نعم . إنه خَشِن العيش شديدٌ على النساء .

فأرسلت عائشة الى المُغيرة بنِ شُعبة ، فأخبرته . فقال لها : أنا أكفيك . فأتى عمر ، فقال : يا أمير المؤمنين ، بلغني عنك أمرٌ أعيذك بالله منه .

قال : ما هو ؟

قال : بَلغني أنك خَطبت أم كلثوم بنتَ أبي بكر .

قال : نعم . أفرغبتَ بها عنّي ، أم رغبتَ بي عنها ؟

قال : لا واحدة منهما ، ولكنها حَدَثة نشأت تحت كنفِ خليفة رسول الله في لين ورِفق ، وفيك غِلظة ، ونحن نَهابك وما نقدر أن نَردُك عن خُلق من أخلاقك فكيف بها إن

---

١ يقدع : يكبح ، يذل .

خالفتك في شيء فسطوتَ بها ، كنتَ قد خلفتَ أبا بكر في ولده بغير ما يحق عليك ؟

فقال : كيف لي بعائشة وقد كلّمتُها ؟

قال : أنا لك بها ، وأدلّك على خيرٍ لك منها ، ام كلثوم بنت عليّ ، من فاطمة بنت رسول الله ، تتعلّق منها بسبب من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان عليّ قد عزل بناتِه لولد جعفر بن أبي طالب . فلقيه عمر فقال : يا أبا الحسن ، أنكحني ابنتك أم كلثوم بنتَ فاطمة بنتِ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : قد حبستُها لابن جعفر .

قال : إنه والله ما على الأرض أحدٌ يُرضيك من حُسن صحبتها بما أرضيك به ، فأنكحني يا أبا الحسن .

قال : قد أنكحتكها يا أمير المؤمنين .

فأقبل عمر ، فجلس في الرّوضة بين القبر والمنبر واجتمع إليه المُهاجرون والأنصار . فقال : زفّوني .

قالوا : بمن يا أمير المؤمنين ؟

قال : بأم كلثوم ، فإني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كل سَبَب ونَسب ينقطع يومَ القيامةِ إلاّ سببي

ونَسبي » وقد تقدَّمتْ لي صُحبة فأحببتُ أن يكون لي معها سَبب .

فولدت له أم كلثوم زيدَ بن عمر ، ورُقيّة بنت عمر .

وزَيد بن عمر هو الذي لَطم سَمُرة بن جُندب عند معاوية إذ تنقّص علياً فيما يقال .

•

وخطب سلمان الفارسي إلى عُمر ابنته ، فوعده بها فشقّ ذلك على عبد الله بن عمر ، فلقي عمرو بن العاص فشكا ذلك إليه . فقال له : سأكفيكه . فلقي سلمانَ ، فقال له : هنيئاً لك يا أبا عبد الله ، هذا أمير المؤمنين يتواضع لله عزّ وجل في تزويجك ابنته .

فغضب سلمان ، وقال : لا والله لا تزوّجت إليه أبداً .

•

وخرج بلالُ بن رباح ، مؤذّنُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع أخيه إلى قوم من بني ليث ، يخطب إليهم لنفسه ولأخيه ، فقال : أنا بلال وهذا أخي ، كنّا ضالّين فهدانا الله ، وكنّا عبدين فأعتقنا الله ، وكنا فقيرين فأغنانا الله ، فإن تزوجونا فالحمد لله ، وإن تَردُّونا فالمستعان الله .

قالوا : نعم وكرامة . فزوّجوهما .

•

قالت تُماضرُ امرأةُ عبد الرحمن بن عوف لعثمان بن عفّان : هل لك في ابنة عمّ لي بكر جميلة ممتلئة الخَلق ، أسيلة الخدّ ، أصيلة الرأي ، تتزوجها ؟

قال : نعم .

فذكرت له نائلة بنتَ الفرافصة الكلبية ، فتزوجها وهي نصرانية ، فتحنّفت وحُمِلت إليه من بلاد كلب ، فلمّا دخلت عليه قال لها : لعلك تكرهين ما ترين من شيبي ؟

قالت : والله يا أمير المؤمنين إني من نسوة أحبُّ أزواجهنّ إليهنّ الكَهل .

قال : إني قد جُزت الكهولَ ، وأنا شيخ .

قالت : أذهبتَ شبابك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيرِ ما ذهبت فيه الأعمار .

قال : أتقومين إلينا أم نقوم إليك ؟

قالت : ما قطعتُ إليك أرضَ السّماوة وأريد ان انثني الى عُرض البيت .

وقامت إليه .

قال أبو الحسن : فلم تزل نائلة عند عثمان حتى قُتل ، فلمّا دُخل اليه وَقَتْه بيدها ، فجُذمت[1] أناملها ، فأرسل اليها

---

١ جذمت : قطعت .

معاوية بعد ذلك يخطبها ، فأرسلت إليه : ما تَرجو من امرأة جذماء ؟ وقيل : إنها قالت لمّا قُتل عثمان : إني رأيتُ الحزن يبلى كما يَبْلى الثوب ، وقد خشيتُ أن يَبلى حزنُ عثمان من قلبي .

فدعت بفهر فهتمت[1] فاها ، وقالت : والله لا قَعدَ أحدٌ مني مقعد عثمان أبداً .

•

وكانت فاطمةُ بنت الحسين بن عليّ عند حسن بن حسن ابن عليّ ، فلمّا احتُضِر قال لبعض أهله : كأنّي بعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان إذا سمع بموتي قد جاء يتهادى في إزار له مورّد قد أسبله ، فيقول : جئت أشهدُ ابنَ عمي ، وليس يريد إلاّ النظر إلى فاطمة ، فإذا جاء فلا يدخلنّ .

قال : فوالله ما هو إلاّ أن غمّضوه ، فجاء عبد الله بن عمرو في تلك الصفة التي وَصفها ، فمُنع ساعة ، فقال بعضُ القوم : لا يدخل ، وقال بعضُهم : افتحوا له ، فإنّ مِثله لا يُرَدُّ . ففتحوا له ودخل . فلما صِرنا إلى القبر قامت عليه فاطمة تبكي ، ثم اطّلعت إلى القبر ، فجعلت تصكُّ وجهَها بيديها حاسرة .

---

[1] الفهر : الحجر . هتمت : كسرت .

قال : فدعا عبدُ الله بن عمرو وصيفاً له فقال : انطلق إلى هذه المرأة وقل لها : يُقرئك ابنُ عمك السلام ، ويقول لك : كُفّي عن وجهك ، فإن لنا به حاجة .

فلما بلّغها الرسالة أرسلت يديها ، فأدخلتهما في كُمّيها حتى انصرف الناس. فتزوّجها عبد الله بن عمرو بعد ذلك ، فولدت له محمدَ بن عبد الله ، وكان يُسمّى المذهّب لجماله . وكانت وَلدت من حَسن بن حسن عبدَ الله بن حسن الذي حارب أبو جعفر ولديه إبراهيم ومحمداً ، ابني عبد الله بن الحسن بن الحسن، حتى قتلهما .

•

وعن مَسلمة بن مُحارب قال : ما رأيتُ قرشياً قط كان أكمل ولا أجمل من محمد بن عبد الله بن عمرو الذي ولدته فاطمة بنتُ الحُسين، وكانت له ابنة، ولدُها محمد، وأبو بكر، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير[١] ، كانت أمها خديجة بنت عثمان بن عروة بن الزبير، وأم عروة أسماء بنت أبي بكر الصديق ، وأم محمد فاطمة بنت الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأم فاطمة بنت الحسين أم إسحاق

---

١ أي كانت هذه أسماء أولادها .

بنت طلحة بن عبد الله ، وأم عبد الله بن عمرو بن عثمان سودة بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب .

•

وعن الهيثم بن عديّ الطائي قال : حدثنا مُجالد عن الشّعبي قال : لقيني شُريح فقال : يا شعبي ، عليك بنساء بني تميم ، فإني رأيتُ لهن عقولاً .

قال : وما رأيتَ من عقولهن ؟

قال : أقبلتُ من جنازة ظُهراً ، فمررت بدورهم ، فإذا أنا بعَجوز على باب دار ، وإلى جَنبها جارية كأحسن ما رأيت من الجواري ، فعدلتُ فاستسقيتُ ، وما بي عَطش . فقالت : أيُّ الشراب أحب إليك ؟

فقلت : ما تيسّر .

قالت: ويحك! يا جارية، إيتيه بلبن، فإني اظن الرجل غريباً.

قلت : مَن هذه الجارية ؟

قالت : هذه زينب بنت جرير إحدى نساء بني حَنظلة .

قلت : فارغة هي أم مَشغولة ؟

قالت : بل فارغة .

قلت : زوّجينيها .

قالت : إن كنتَ لها كفواً .

وهي لغة تميم. فمضيت إلى المنزل، فذهبت لأقيل. فامتنعَتْ مني القائلة، فلما صلّيتُ الظهر أخذت بأيدي إخواني من القُراء الأشراف: عَلقمة، والأسود، والمُسيّب، وموسى بن عُرفُطة، ومضيت أريد عمّها. فاستقبل فقال: يا أبا أمية، حاجتك؟

قلت: زينبُ بنتُ أخيك.

قال: ما بها رَغبةٌ عنك.

فأنكحنيها. فلما صارت في حِبالي ندمتُ، وقلت: أي شيء صنعت بنساء بني تميم؟ وذكرت غلظ قُلوبهن، فقلت: أطلّقها، ثم قلت: لا، ولكن أضمّها إليّ، فإن رأيتُ ما أحب وإلا كان ذلك.

فلو رأيتني يا شَعبي وقد أقبل نساؤهم يَهدينها حتى أُدخلت عليّ، فقلت: إن من السُّنة إذا دخلت المرأة على زوجها، أن يقوم فيصلي ركعتين، فيسأل الله مِن خيرها ويعوذ به من شرها، فصلّيتُ وسلّمتُ، فإذا هي من خلفي تُصلي بصَلاتي، فلما قضيتُ صلاتي أتتني جواريها، فأخذن ثيابي وألبَسنني مِلحفة قد صُبغت في عَكَر العُصفر، فلما خلا البيت دنوتُ منها، فمددت يدي إلى ناصيتها فقالت: على رِسلك، أبا أمية، كما أنت، ثم قالت: الحمد لله، أحمده واستعينه، وأصلي على محمد وآله، إني امرأةٌ غريبة لا عِلم لي بأخلاقك، فبيّنْ لي ما تُحب

فآتيه ، وما تكره فأزدجر عنه .

وقالت : إنه قد كان لك في قومك منكح ، وفي قومي مثلُ ذلك ، ولكن إذا قضى الله أمراً كان ، وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله به: «إمساكٌ بمعروف أو تسريح بإحسان» أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولك .

قال : فأخرجتني والله يا شعبي إلى الخُطبة في ذلك الموضع ، فقلت : الحمد لله ، أحمده وأستعينه ، وأصلي على النبي وآله وأسلم. وبعد ، فإنكِ قد قلتِ كلاماً إن تثبتي عليه يكن ذلك حظك ، وإن تدعيه يكن حُجَّة عليك ، أحب كذا وأكره كذا ، ونحن جميع فلا تفرقي ، وما رأيتِ من حسنة فانشريها وما رأيت من سيئة فاستريها .

وقالت شيئاً لم أذكره : كيف محبّتُك لزيارة الأهل ؟

قلت : ما أحِب أن يملّني أصهاري .

قالت : فمن تُحب من جيرانِك أن يدخلَ دارك آذنُ له ، ومن تكرهه أمنعه ؟

قلت : بنو فلان قومٌ صالحون وبنو فلان قوم سوء .

قال : فبتُّ يا شعبيُّ بأنعم ليلة ، ومكثتْ معي حولاً لا أرى إلا ما أحب . فلما كان رأس الحَول جئتُ من مجلس القضاء ، فإذا بعَجوز تأمر وتَنهى في الدار . فقلت: مَن هذه؟

قالوا : فلانة خَتَنَتُكَ[1]، فسُرّي عني ما كنت أجد ، فلما جلستُ أقبلت العجوز ، فقالت : السلام عليك أبا أمية .

قلت : وعليكِ السلام ، من أنت ؟

قالت : أنا فلانة خَتَنَتُكَ .

قلت : قرّبكِ الله .

قالت : كيف رأيتَ زوجتك ؟

قلت : خير زوجة .

فقالت لي : أبا أمية ، إن المرأة لا تكون أسوأ حالاً منها في حالين، إذا ولدت غلاماً أو حَظيت عند زوجها ، فإن رابك ريبٌ فعليك بالسّوط ، فوالله ما حاز الرجال في بيوتهم شراً من المرأة المدلّلة .

قلت : أمَا والله لقد أدّبتِ فأحسنتِ الأدب ، ورُضْتِ فأحسنت الرياضة .

قالت : تُحب أن يزورَك أختانُك[2] ؟

قلت : متى شاءوا .

قال : فكانت تأتيني في رأس كل حَول تُوصيني تلك الوصية ، فمكثَت معي عشرين سنة لم أعتِب عليها في شيء إلا مرة

---

١ ختنتك : أم زوجتك .

٢ الاختان ، الواحد ختن : كل من كان من قبل المرأة كالاب والاخ .

واحدة ، وكنت لها ظالماً ، أخذ المؤذّن في الإقامة ، بعدما صلّيت ركعتَي الفجر ، وكنت إمامَ الحي ، فإذا بعقرب تدبّ ، فأخذتُ الإناء فأكفأته عليها ، ثم قلت : يا زينبُ ، لا تُحرّكي الإناء حتى آتي . فلو شهدتَني يا شَعبي ، وقد صلّيتُ ورجعت فإذا أنا بالعقرب قد ضربتها . فدعوتُ بالقُسْط[1] والمِلح ، فجعلت أمغَثُ[2] إصبعها وأقرأ عليها بالحمد والمعوّذتَين[3] .

وكان لي جار من كِندةَ يُقرّع امرأته ويضربها ، فقلت في ذلك :

رأيتُ رجالاً يضرِبون نساءهم ،
فشُلّت يميني حينَ أضرب زينبا

أأضربها في غير ذَنب أتتْ به ،
فما العدلُ منّي ضربُ من ليس مُذنبا

فزينبُ شمس ، والنّساء كواكب ،
إذا طلَعت لم تُبْدِ منهنّ كوكبا

---

١ القسط : عود هندي يتداوى به .
٢ المغث : المرث وهو أن تلوك الإصبع .
٣ المعوذتان : سورتان من القرآن وهما سورة الفلق وسورة الناس .

وقال أبو عبيدة : نكح الفرزدقُ أمَةً له زنجية ، فولدت له بنتاً فسمّاها مكيّة ، وكان يُكنى بها ، ويقول : أنا أبو مكية . فكتبت النّوار يوماً إلى الفرزدق تشكو مكيّة ، فكتب إليها :

كنتم زعمتم أنها ظلمتكُم ،
كذبتم ، وبيتِ الله ، بل تَظلمونها

فإن لا تعدّوا أمّها من نِسائكم ،
فإنّ أباها والدٌ لن يَشينها[1]

وإنّ لها أعمامَ صِدق وإخوةً
وشيخاً ، إذا شئتم ، تأيّم دونها[2]

قالت النوار : فإنا لا نَشاء .

•

وعن الهيثم بن عدي عن ابن عيّاش قال : حدّثنا سُلمى الهُذَلي قال : كنت بسِجِستان مع طَلحة الطلحاتِ ، فلم أر أحداً كان أسخَى منه ولا أشرفَ نفساً ، فكتب إليّ عمي من البصرة : إني قد كَبِرت ومالي كثير ، وأكره أن أوكله غيرك، فاقدم أزوجْك ابنتي ، وأصنع بك ما أنت أهله .

---

١ يشينها : يعيبها .
٢ تأيم : مكث زماناً لا يتزوج .

قال : فخرجت على بغلة لي تركية ، فأتيت البصرة في ثلاثين يوماً ، ووافيته في صلاة العصر ، فوجدته قاعداً على دكّانه ، فسلمت عليه ، فقال لي : من أنت ؟

قلت له : ابن أخيك سُلمى .

قال : وأين ثقلك ؟

قلت : تعجّلت إليك حين أتاني كتابُك وطرت نحوكم .

قال : يابن أخي ، أتدري ما قالت العرب ؟

قلت : لا .

قال : قالت العرب : شر الفتيان المُفلس الطروب .

قال : فقمتُ إلى بغلتي فأعدتُ سَرجي عليها ، فما قال لي شيئا . ثم قال لي : إلى أين ؟

قلت : إلى سجستان .

قال : في كنف الله .

قال : فخرجت فبتّ في الجسر ، ثم ذكرت أم طلحة ، فانصرفتُ أسأل عنها ، حتى أتيتُ منزلها ، وكان طلحةُ أبرَّ الناس بها . فقلت : رسولُ طلحة .

فقالت : ويحك ! كيف ابني ؟

قلتُ : على أحسن حال .

قالت : فلله الحمد .

وإذا بعجوز قد تحدّرت[١] ، قالت : فما جاء بك ؟

قلتُ : كيت وكيت .

قالت : يا جارية ، ايتيني بأربعة آلاف درهم . ثم قالت : إيت عمك فابنِ بابنته ، ولك عندنا ما تُحب .

قلت : لا أعود إليه أبداً .

قالت : يا جارية ، ايتيني ببغلة ورِحالة[٢] . ثم قالت : راوِح[٣] بين هذه وبغلتك حتى تأتي سجستان .

قلت : اكتبي بالوصاة بي والحالة التي استقبلتها .

فكتبت بوجعها الذي كانت فيه وبعافية الله إياها وبالوصاة بي ، فلم تدع شيئاً . ثم دَفعتُ[٤] حتى أتيت سجستان ، فأتيت باب طلحة ، وقلت للحاجبِ : رسول صفية بنت الحارث ، وأنا عابس باسر[٥] . فدخل . فخرج طلحة متوشحاً وخلفه وصيف يسعى بكُرسي ، فقمتُ بين يديه ، فقال : ويلك ! وكيف أمي ؟

قلت : بأحسن حال .

---

١ تحدّرت : نزلت .
٢ الرحالة : السرج من جلود لا خشب فيه .
٣ راوح بينها : اي اركب هذه مرة وتلك اخرى .
٤ دفعت : سرت .
٥ الباسر : المقطب الوجه .

قال : انظر كيف تقول ؟

قلت : هذا كتابها .

قال : فعرف الشواهد والعلامـات ، قلت : اقرأ كتاب وصيتها .

قال : ويحك ! ألم تأتني بسلامتها ؟ حسبك .

فأمر لي بخمسين ألفَ درهم ، وقـال لحاجبه : اكتبه في خاصّة أهلي .

قال : فوالله ما أتى عليّ الحول حتى أتمّ لي مائةَ ألف .

قال ابنُ عَياش : فقلت له : هـل لقيت عمّك بعد ذلك ؟

قال : لا والله ولا ألقاه أبداً .

●

أخبرني[1] موسى السّلاماني ، مولى الحضرميّ ، وكانَ أيسر تاجر بالبصرة ، قال : بينا أنا جالس إذ دخل عـليّ غلام لي ، فقال : هذا رجل من أهل أمك يستأذن عليك .

وكانت أمه مولاة لعبد الرحمن بن عوف . فقلت : إيذن له .

فدخل شاب حلو الوجه ، يُعرف في هيئته أنه قرشي ، في طِمرين ، فقلت : مَن أنت يرحمك الله ؟

---

١ الحديث لابن عياش .

قال : أنا عبد المجيد بن سهل بن عبد الرحمن بن عوف الزُّهري ، خال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قلت : في الرُّحب والقُرب . ثم قلت : يا غلام ، برّه وأكرمه وألطفه ، وأدخله الحمام ، واكسه قميصاً رقيقاً ، ومُبطّناً قُوهيّاً[1] ، ورداء عُمريّاً ، وحذونا له نعلين حضرميين .

فلمّا نظر الشاب في عطفيه وأعجبته نفسه ، قال : « يا هذا ، ابغني[2] أشرف أيّم[3] بالبصرة أو أشرف بكر بها .

قلت : يابن أخي ، معك مال ؟

قال : أنا مال كما أنا .

قلت : يابن أخي ، كفّ عن هذا .

قال : انظُر ما أقول لك .

قلت : فإن أشرف أيّم بالبصرة هندُ بنتُ أبي صفرة . وأشرف بكر بالبصرة الملاءة بنت زرارة بن أوفى الحَرَشيّ ، قاضي البصرة .

قال : اخطُبها عليّ .

---

١ المبطن : نوع من الثياب . القوهي : الابيض والمنسوب الى قوهستان ، بلد بكرمان .

٢ ابغني : اعنّي على طلب شيء .

٣ الايم : التي فقدت زوجها .

قلت : يا هذا ، إنَّ أباها قاضي البصرة .

قال : انطلق بنا إليه .

فانطلقنا إلى المسجد ، فتقدَّم فجلس الى القاضي ، فقال له : من أنت يابن أخي ؟

قال له : عبد المجيد بن سهل بن عبد الرحمن بن عوف ، خال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : مَرحباً ، ما حاجتُك ؟

قال : جئتُ خاطباً .

قال : ومن ذكرت ؟

قال : الملاءة ابنَتك .

قال : يابن أخي ، ما بنا عنك رَغبة ، ولكنها امرأة لا يُفتأت عليها أمرها ، فاخطُبها إلى نفسها .

فقام إليَّ . فقلت : ما صنعت ؟

قال : كذا وكذا .

قلت : ارجع بنا ولا تخطبها .

قال : اذهب بنا إليها .

فدخلنا دار زُرارة ، فإذا دار فيها مَقاصير . فاستأذنّا على أمها ، فلقيتنا بمثل كلام الشيخ ، ثم قالت : ها هي تلك في تلك الحُجرة .

قلت له : لا تأتها .

قال : أليست بكراً ؟

قلت : بلى .

قال : ادخُل بنا إليها .

فاستأذنّا، فأذنت لنا ، فوجدناها جالسة وعليها ثوبٌ قُوهيّ رقيق مُعصفر ، تحته سراويل يُرى منه بياض جسدها ، ومرط[1] قد جمعته على فَخذيها ، ومُصحف على كرسي بين يديها ، فأشرجت[2] المُصحف ثم نَحّته ، فسلّمنا ، فردت ، ثم رحّبت بنا ، ثم قالت : مَن أنت ؟

قال : أنا عبد المجيد بن سهل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، خال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومدّ بها صوته .

قالت : يا هذا ، إنما يُمد هذا الصوت للساسانيين .

قال موسى : فدخل بعضي في بعض . قالت : ما حاجتك؟

قال : جئتُ خاطباً .

قالت : ومَن ذكرت ؟

قال : ذكرتك .

قالت : مرحباً بك يا أخا أهل الحجاز ، ما الذي بيدك ؟

---

١ المرط : كل ثوب غير مخيط .
٢ اشرجت : أطبقت .

قال : لنا سَهمان بخَيبر أعطاناهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ومدّ بها صَوته ، وعيَن بمصر ، وعَين باليمامة ، ومال باليمن .

قالت : يا هذا، كل هذا عنّا غائب ، ولكن ما الذي يحصُل بأيدينا منك ، فإني أظنك تريد أن تجعلني كشاةِ عِكرمة ؟ أتدري مَن عِكرمة ؟

قال : لا .

قالت : عِكرمة بن رِبْعي ، فإنه كان نَشأ بالسواد ثم انتقل إلى البصرة ، وقد تغدّى باللبن ، فقال لزوجته : اشتري لنا شاةً نَحلبها وتصنعين لنا من لبنها شراباً وكامخاً[1] .

ففعلت . وكانت عندهم الشاة إلى أن استحرمت[2]. فقالت : يا جارية ، خُذي بأذن الشاة وانطلقي بها إلى التيّاس ، فانزي عليها .

ففعلت . فقال التيّاس : آخذ منك على النّزوة دِرهماً .

فانصرفت إلى سيدتها فأعلمتها ، فقالت : إنما رأينا مَن يرحم ويُعطي ، وأما مَن يرحم ويأخذ فلم نَره ، ولكن يا أخا أهل المدينة ، أردت أن تجعلني كشاة عِكرمة .

---

١ الكامخ : ادام يؤتدم به .

٢ استحرمت : أرادت الكبش .

فلما خرجنا قلت له : ما كان أغناك عن هذا !

قال : ما كنت أظن أن امرأة تجترىء على مثل هذا الكلام .

•

وعن الأصمعي قال : كان عُقيل بن عُلّفة المُرّي غيوراً فَخوراً ، وكان يُصهر إليه خُلفاء بني أمية ، فخطب إليه عبدُ الملك بن مروان ابنَته لبعض ولده ، فقال : جنّبني هُجناء[1] ولدك .

وكان إذا خرج يمتار[2] خرج بابنته الجَرباء معه ، فخرج مرّة فنزلوا ديراً من أديرة الشام يقال له دير سَعد ، فلما ارتحلوا قال عُقيل :

قَضَت وطراً من دير سَعد ؛ وربما
غلا عَرَضٌ ناطحْنَه بالجَماجم[3]

ثم قال لابنه : أجِز يا عُميس . فقال :

فأصبحنَ بالمَوماة ، يحملن فِتْيةً ،
نَشاوى من الادلاج ، ميلَ العَمائم[4]

---

١ الهجناء ، الواحد هجين : اللئيم . الذي ابوه عربي ، وأمه أمَة غير محصَنة .
٢ يمتار : يأتي بالميرة .
٣ غلا : ارتفع . العرض : الجبل .
٤ الموماة : المفازة ، او الفلاة التي لا ماء فيها . الادلاج : سير الليل كلّه .

ثم قال لابنته : يا جرباء ، أجيزي . فقالت :

كأنّ الكرى أسقاهمُ صرخديّة ،
عُقاراً ، تمشّت في المَطا والقوائمِ[1]

فقال لها: وما يُدريك أنت ما نَعتُ الخمر! ثم سلّ السيف ونهض إليها ، فاستغاثت بأخيها عملّس ، فانتزعه بسهم فأصاب فخذه فبرك ، ومَضوا وتركوه ، حتى إذا بلغوا أدنى المياه منهم قالوا لهم : إنا أسقطنا جَزوراً[2] لنا فأدركوه ، وخُذوا معكم الماء . ففعلوا ، وإذا عَقيل بارك وهو يقول :

إنّ بنيّ زمّلوني بالدّمِ ،
مَن يلقَ أبطال الرجالِ يُكلَمِ[3]

ومَن يكن دَرْءٌ به يُقوّمِ ؛
شِنْشِنة أعرفها من أخزمِ[4]

الشنشنة: الطبيعة، وأخزم: فحل كريم، وهذا مثل للعرب .

•

---

١ الصرخدية : نسبة الى الصرخد وهو من اسماء الخمرة . العقار : الخمرة . المطا : الظهر .
٢ الجزور : ما يُذبح من النوق والغنم .
٣ زملوني بالدم : البسوني ثوباً من الدم .
٤ الدرء : الميل والعوج .

الشيباني عن عوانة قال : خطب عبد الملك بن مروان بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام . فأبت أن تتزوّجه . وقالت: والله لا تزوجني أبا الذّبان . فتزوّجها يحيى بن الحكم . فقال عبد الملك : والله لقد تزوجتِ أفوه[1] أشوه . فقال يحيى : أما إنّها أحبت منّي ما كَرِهتْ منك . وكان عبد الملك رديء الفم يَدْمى ، فيقع عليه الذباب ، فسُمي أبا الذّبان .

•

وعن العتبي قال: خَطب قَريبةَ بنت حرب أخت أبي سفيان ابن حَرب ، أربعةَ عشر رجلًا من أهل بدر فأبتهم ، وتزوّجت عَقيل بن أبي طالب ، وقالت : إنّ عقيلًا كان مع الأحبة يوم قُتلوا ، وإن هؤلاء كانوا عليهم. ولاحتْه يوماً فقالت: يا عَقيل، أين أخوالي ؟ أين أعمامي ؟ كأنّ أعناقهم أباريقُ الفضة .

قال لها : إذا دخلتِ النار فَخُذي على يسارك .

•

وكتب زياد إلى سَعيد بن العاص يخطُب إليه ابنتَه ، وبعث إليه بمال كثير وهدايا ، فلما قرأ الكتابَ أمر حاجبه بقَبض المال والهدايا ، وأن يَقسمها بين جلسائه . فقال الحاجب : إنها

---

[1] الافوه : كبير الفم .

اكبر من ظنك . قال سعيد : أنا أكبر منها . ثم وقع إلى زياد في أسفل كتابه : « كلاّ إنّ الإنسانَ ليَطغى أن رآه استغنى . »

•

وقال رجل للحسن: إنّ لي بُنيّة، فمن ترى أن أزوّجها؟

قال : زوّجها ممن يتقي الله ، فإن أحبّها أكرمها ، وإن أبغضها لم يَظلمها .

•

وقال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز : قد زوّجك أميرُ المؤمنين ابنته فاطمة .

فقال عمر: وصلك الله يا أمير المؤمنين، فقد كفيت المسألة، وأجزلت في العطية .

•

قيل للحسن : فلان خطب إلينا فلانة . قال : أهو موسِر من عقل ودين ؟ قالوا : نعم . قال : فزوّجوه .

•

وقال رجل لحيوة بن شريح : إني أريد أن أتزوّج ، فماذا ترى ؟

قال : كم المهر ؟

قال : مائة .

قال : فلا تفعل. تزوّج بعشرة وأبقِ تسعين . فإن وافقتك ربحت التسعين ، وإن لم توافقك تزوّجت عشراً ، فلا بد في عشر نسوة من واحدة توافقك .

•

وقال رجل : أردت النكاح فقلت : لأستشيرنّ أول من يطلعُ عليّ ، ثم أعمل برأيه . فكان أولَ من طلع هَبَنَّقَة القَيْسي ، وتحته قَصَبة ، فقلت له : أريد النكاح فما تُشير عليّ؟ قال : البكر لك والثيّب عليك، وذات الولد لا تقربها، واحذر جوادي لا يَنفحك[1] .

•

وعن الأصمعي قال : أخبرني رجل من بني العَنبر عن رجل من أصحابه، وكان مُقلاً، فخطب إليه مُكثرٌ من مال، مُقِلّ من عقل ، فشاور فيه رجلاً يقال له أبو يَزيد . فقال : لا تَفعل ولا تزوّج إلا عاقلاً ديّناً ، فإنه إن لم يكرمها لم يظلمها . ثم شاور رجلاً آخر يقال له أبو العلاء ، فقال له : زوّجه

---

١ ينفحك : يضربك بحدّ حافره .

ذان مالَه لها وحُمقَه على نفسه .

فزوّجه فرأى منه ما يكره في نفسه وابنته ، فقال :

ألهفي ، إذ عصيتُ أبا يزيد ، ولهفي ، إذ أطعتُ أبا العلاء
وكانت هفوةً من غير ريح ، وكانت زلّةً من غير ماء

●

معبد بن خالد الجدلي قال : خَطبْتُ امرأة من بني أسد في زمن زياد ، وكان النساء يجلسن لخطّابهن ، قال : فجئتُ لأنظر إليها ، وكان بيني وبينها رُواق ، فدعت بجفنة عظيمة من الثريد مكللة باللحم ، فأتت على آخرها وألقت العظام نقية ، ثم دعت بشَنّ عظيم مملوء لبناً ، فشربتْه حتى أكفأته على وجهها ، وقالت : يا جارية ، ارفعي السّجْف ، فإذا هي جالسة على جلد أسد وإذا امرأة شابة جميلة ، فقالت : يا عبد الله ، أنا أسدة من بني أسد ، وعليّ جلدُ أسد ، وهذا طعامي وشرابي ، فعلامَ ترى ؟ فإن أحببتَ أن تتقدّم فتقدم ، وإن أحببت أن تتأخر فتأخر .

فقلتُ : أستخير الله في أمري وأنظُر .

قال : فخرجت ولم أعد .

●

قال : وحدّثنا بعض أصحابنا أنّ جارية لأمية بن عبد الله

ابن خالد بن أسيد ذات ظرف وجمال مرّت برجل من بني سعد، وكان شجاعاً فارساً ، فلما رآها قال: طوبى لمن كانت له امرأة مثلك ! ثم إنه أتبعها رسولٌ يسألها : ألها زوج ؟ ويذكره لها.

فقالت للرسول : ما حرفته ؟ فأبلغه الرسول قولها.

فقال : ارجع إليها فقل لها :

وسائلة ما حِرفتي قلت : حِرفتي
مقارعة الأبطال في كلّ شارقِ

إذا عرضت لي الخيلُ يوماً رأيتني ،
أمام رَعيل الخيل ، أحمي حقائقي

وأصبر نفسي ، حين لا حُرٌّ صابرٌ ،
على ألمِ البيض الرّقاقِ البوارق

فأنشدها الرسولُ ما قال . فقالت له : ارجع إليه وقل له : أنت أسد فاطلب لنفسكَ لبوّة ، فلستُ من نسائك. وأنشدت هذه الأبيات :

ألا إنما أبغي جواداً بماله ،
كريماً محيّاه ، قليل الصدائقِ[١]

---

١ الصدائق : لعلها جمع جمع لصديق ، او جمع صديقة .

فتىً همُّه ، مُذ كان ، خَودٌ كريمةٌ ،
يُعانقها بالليلِ فوق النّمارقِ[1]

ويشربها صِرفاً ، كُميتاً ، مُدامةً ،
نَداماه فيها كلُّ خِرقٍ موافقِ[2]

•

تزوج[3] رجل امرأة حديثة على امرأة له قديمة ، فكانت جارية الحديثة تمر على باب القديمة فتقول :

وما تستوي الرّجلان ، رجلٌ صحيحة ،
ورجلٌ رمى فيها الزمانُ ، فشَلّتِ

ثم تعود فتقول :

وما يستوي الثوبان ، ثوبٌ به البلى ،
وثوبٌ ، بأيدي البائعين ، جديدُ

فمرّت جارية القديمة على الحديثة فأنشدت :

نقّل فؤادك حيث شئتَ من الهوى ،
ما القلب إلاّ للحبيب الأوّلِ

---

١ النارق ، الواحدة نمرقة : الوسادة الصغيرة يتكأ عليها .
٢ الخرق : الفتى الكريم الخليقة .
٣ الحديث للشافعي .

كم منزلٍ في الأرض يألفه الفتى ،
وحنينه أبداً لأول منزلِ[1]

•

وعن الشعبي قال : سمعتُ المُغيرةَ بن شعبة يقول: ما غلبني أحدٌ قطُّ إلا غلام من بني الحارث بن كعب ، وذلك أني خطبتُ امرأة من بني الحارث ، وعندي شاب منهم، فأصغى إليّ فقال : أيها الأمير ، لا خير لك فيها .

قلت : يا ابن أخي ، وما لها ؟

قال : إنّي رأيت رجلا يُقبّلها .

قال : فبرئتُ منها . فبلغني أنّ الفتى تزوّجها فأرسلت إليه فقلت : ألم تُخبرني أنك رأيتَ رجلًا يقبلها ؟

قال : نعم . رأيتُ أباها يقبلها .

•

أبو سعيد الشحام قال : صحبتُ ابنَ سيرين عشرين سنة ، فقال لي يوماً: يا أبا سعيد، إن تزوّجت فلا تتزوج امرأة تنظر في يدها ولكن تزوّج امرأة تنظر في يدك .

•

---

١ البيتان لابي تمام .

صفات النساء وأخلاقهن

قال أبو عمرو بن العلاء : أعلم الناس بالنساء عَبدةُ بنُ الطبيب حيث يقول :

فإن تسألوني بالنساء ، فإنني
عليمٌ بأدواءِ النساءِ ، طبيبُ

إذا شاب رأسُ المرء، أو قلّ مالُه ،
فليس له ، في وُدّهنّ ، نصيب

يُرِدْنَ ثَراء المال ، حيثُ علِمْنَه ،
وشَرخُ الشباب عندهنّ عجيبُ

وهذه الأبيات لعَلقمة بن عَبَدة المعروف بالفحل ، وأول القصيدة :

طَحا بك قلبٌ في الحسان طَروب[1]

•

مُعاذ بن جبل قال : إنكم ابتُليتم بفِتنة الضّرّاء فصبرتم ، وإني أخاف عليكم فتنة السّرّاء ، وهي النساء إذا تحلين الذهب ،

---

[1] طحا بك : ذهب بك كل مذهب . طروب : كثير الطرب وهو استخفاف القلب في حزن او فرح . وتمام البيت : بُعيد الشباب ، عصرَ حانَ مشيبُ .

ولبسنَ رَيط الشام وعصب اليمن[1] ، فأتعبن الغنيّ ، وكلّفن الفقير ما لا يُطاق .

•

وقال عبدُ الملك بن مروان : من أراد أن يتّخذ جارية للمُتعة ، فليتخذها بَربرية ، ومن أرادها للوَلد ، فليتخذها فارسيّة ، ومن أرادها للخدمة ، فليتخذها رُومية .

•

قال يزيد بن عمر بن هُبيرة : اشتروا لي جارية شُقّاء مقّاء رَسْحاء ، بعيدةَ ما بين المَنكبين ، ممسوحة الفَخذين .

قوله شُقّاء : يريد كأنها شُقّة جبل . مَقّاء : طويلة . رَسحاء : صغيرة العجيزة ؛ وإنما أرادها للولد ، ويقال : إن الأرسح أفرس من العظيم العجيزة .

وقال عُمر بن هُبيرة لرجل : ما أنت بعظيم الرأس فتكون سيّداً ، ولا بأرسح فتكون فارساً .

•

وقال الأصمعي ، وذكر النساء : بنات العم أصبر ، والغرائب أنجب ، وما ضَرب رؤوس الأبطال كابن الأعجمية .

•

---

١ ربط ، الواحدة ربطة : الملاءة . العصب : نوع من الثياب .

أتاني[1] رجلٌ من قريش يستشيرني في امرأة يتزوّجها ، فقلت : يابن أخي ، أقصيرةُ النسب أم طويلته ؟ فلم يفهم عني . فقلت : يابن أخي ، إني أعرف في العين إذا عَرَفَتْ ، وأنكر فيها إذا أنكرت ، وأعرف فيها إذا لم تَعرف ولم تُنكر . أما إذا عرَفتْ فتتحاوص ، وأما إذا أنكرتْ فتَجحَظ[2] ، وأما إذا لم تعرف ولم تنكر فتَسْجو[3] ، وقد رأيت عينك ساجيةً ، فالقصيرة النسب التي إذا ذكرتْ أباها اكتفتْ به ، والطويلة النسب التي لا تُعرَف حتى تُطيل في نِسبتها ، فإياك أن تَقع في قوم قد أصابوا كثيراً من الدنيا مع دناءة فيهم فتضع نفسك بهم .

•

وعن العتبي قال : كان عند الوليد بن عبد الملك أربع عقائل : لُبابة بنت عبد الله بن عبّاس ، وفاطمة بنت يزيد بن معاوية ، وزينب بنت سعيد بن العاص ، وأم جَحش بنت عبد الرحمن بن الحارث ، فكُنّ يَجتمعن على مائدته ويَفترقن فيفخرن . فاجتمعن يوماً ، فقالت لُبابة : أما والله إنك لتسوّيني بهن ، وإنك تعرف فضلي عليهن .

---

١ الحديث لعثمان بن ابراهيم بن محمد .

٢ تتحاوص : تضيق عينيها لتنظر . تجحظ : تحدد نظرها .

٣ تسجو : تسكن نظرها ، تديمه .

وقالت بنتُ سعيد : ما كنت أرى أنّ للفخر عليّ مجازاً ، وأنا ابنةُ ذي العمامة إذ لا عمامة غيرها .

وقالت بنت عبد الرحمن بن الحارث : ما أحبُّ بأبي بدلاً ، ولو شئتُ لقلت فصدَقت وصُدّقت .

وكانت بنت يزيد بن معاوية جاريةً حديثة السن فلم تتكلم . فتكلم عنها الوليدُ ، فقال : نَطق من احتاج إلى نفسه وسكت من اكتفى بغيره . أما والله لو شاءت لقالت : أنا ابنةُ قادتكم في الجاهلية ، وخلفائكم في الإسلام .

فظهر الحديث حتى تُحدّث به في مجلس ابن عبّاس ، فقال : اللهُ أعلَم حيثُ يَجعلُ رِسالتَه .

•

الشَّيباني عن عَوانَة قال : ذكرتُ النّساء عند الحَجّاج فقال : عندي أربع نِسوة ، هند بنت المُهلّب ، وهِند بنت أسماء بن خارجة ، وأُم الجُلاس بنت عبد الرحمن بن أسيد ، وأمَـة الله بنت عبد الرحمن بن جَرير بن عبد الله البَجلي . فأما ليلتي عند هند بنت المهلب فليلة فتًى بين فتيان ، يلعب ويلعبون . وأما ليلتي عند هِند بنت أسماء ، فليلة ملك بين الملوك . وأما ليلتي عند أم الجُلاس فليلة أعرابيّ مع أعراب في حديثهم وأشعارهم .

وأما ليلتي عند أمة الله بنت عبد الرحمن بن جرير ، فليلةُ عالم بين العلماء والفقهاء .

•

وعن العتبي قال : حدثني رجل من أهل المدينة قال : كان بالمدينة مُخنّث يَدُلُّ على النساء يقال له أبو الحُر، وكان مُنقطعاً إليّ ، فدلّني على غير ما امرأة أتزوّجها ، فلم أرضَ عن واحدة منهن ، فاستقصرتُه[1] يوماً فقال : والله يا مولاي لأدلّنّك على امرأة لم ترَ مثلها قط ، فإن لم ترَها كما وصفتُ فاحلِق لحيتي .

فدلّني على امرأة ، فتزوجتها. فلما زُفّت إليّ وجدتها أكثر مما وصف. فلما كان في السَّحر إذا إنسان يدُقّ الباب، فقلت: مَن هذا ؟

قال : أبو الحُر ، وهذا الحجّام معه .

فقلت : قد وفّر الله لحيتك أبا الحر ، الأمر كما قلت .

•

ابن بكير عن مالك بن هشام عن أبيه ، أن مُخنّثاً كان عند أم سلمة زوج النبي ، صلّى الله عليه وسلم ، فقال لعبد الله ابن أبي أمية، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يسمع : أبا عبد الله ، إن فتحَ الله لكم الطائف غداً ، فأنا أدلّك على بنت غيلان ،

---

١ استقصرته : عددته مقصراً .

إنها تُقبل بأربع ، وتُدبر بثمانٍ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يدخلن عليكنّ هذا .

قوله : تُقبل بأربع وتُدبر بثمانٍ ، يريد : عُكن البطن ، فإنها إذا أقبلت أربع وإذا أدبرت ثمانٍ .

•

وضُرب البعث على رجل من أهل الكوفة فخَرج إلى أذربيجان ، فأفاد جارية وفرساً ، وكان مُملِكاً[1] بابنة عمه ، فكتب إليها ليُغيرها :

ألا أبلغوا أمّ البنين بأننا
غَنِينا ، وأغنتْنا الغطارفةُ المُردُ[2]

بَعيدُ مَناط المَنكبين ، إذا جرى ،
وَبيضاءُ كالتّمثال زيّنها العِقدُ[3]

فهذا لأيّام العدوّ ، وهذه
لحاجة نَفسي حين يَنصرفُ الجُند

---

١ مملكاً : متزوجاً .
٢ الغطارفة ، الواحد غِطريف : السخي ، السري ، الشاب الحسن ، السيد الحسن .
٣ بعيد مناط المنكبين : كناية عن عرض الصدر ، والقوّة .

فلما ورد كتابه قرأته وقالت : يا غلام ، هات الدواة .
فكتبت إليه تُجيبه :

ألا أقرِه منّا السلامَ ، وقُل له :
غنِينا ، وأغنتنا غطارفةُ المُردِ

بحَمْدِ أميرِ المؤمنين أقرّهم
شباباً ، وأغزاكم خوالفَ في الجُند

إذا شئتُ غنّاني غلامٌ مُرجّل ،
ونازعتُه من ماء مُعْتَصَرِ الورْد[1]

وإن شاء منهم ناشئٌ مدّ كفّه ،
إلى كبد ملْساءَ ، أو كَفَل نَهْد

فما كنتمُ تَقْضُون من حاجِ أهلكم ،
شُهوداً ، قَضيناها على النّأي والبُعد

فعجّل علينا بالسّراح ، فإنه
مُنانا ، ولا نَدعو لك الله بالرّدّ

فلا قَفَلَ الجُندُ الذي أنتَ فيهمُ ،
وزادك ربُّ الناس بُعداً إلى بعد

---

١ مرجل : مسرّح الشعر .

فلما ورد كتابها لم يزد على أنْ ركب فرسه وأردف الجارية ولحق بها ، فكان أول شيء بدأها به بعد السلام أن قال : بالله هل كُنت فاعلة ؟

قالت : الله أجلُّ في قلبي وأعظم ، وأنت في عيني أذل وأحقر مِن أنْ أعصي الله فيك ، فكيف ذُقت طَعم الغيرة ؟

فوهب لها الجارية وانصرف إلى بعثه .

•

وقال معاوية لصَعصعة بن صُوحان : أيُّ النساء أشهى إليك ؟

قال : المُواتية لك فيما تَهوى .

قال : فأين أبغض ؟

قال : أبعدهن مما تَرضى .

قال : هذا النَّقد العاجل .

فقال صعصعة : بالميزان العادل .

•

وقال صَعصعة لمعاوية : يا أمير المؤمنين ، كيف تَنسُبُك إلى العقل وقد غلب عليك نصفُ إنسان ؟ يريد غلبة امرأته فاختة بنت قرظة عليه .

فقال معاوية : إنهن يغلبْن الكرام ويغلبهن اللئام .

•

وعن سفيان بن عيينة قال : شكا جرير بن عبد الله البجلي إلى عمر بن الخطاب ما يلقى من النساء ، فقال : لا عليك ، فإنَّ التي عندي ربما خرجتُ من عندها فتقول : إنما تريد أن تصنع لفتيات بني عديّ .

فسمع كلامَهما ابنُ مسعود ، فقال : لا عليكما ، فإن إبراهيم الخليل شكا إلى ربّه رَداءةً في خُلق سارة فأوحى الله إليه : أن ألبسها لباسَها ما لم تر في دينها وَضماً .

فقال عمر : إن بين جوانحك لعلماً .

•

وكتب الحجاج إلى أيوب بن القِرِّية : أن اخطب على عبد الملك بن الحجّاج امرأة ، جميلةً من بعيد ، مليحةً من قريب ، شريفةً في قومها ، ذليلةً في نفسها ، مواتية لبعلها .

فكتب إليه : قد أصبتُها لولا عِظم ثدييها .

فكتب إليه : لا يكمل حُسن المرأة حتى يعظُم ثدياها ، فتُدفىء الضجيع ، وتُروي الرضيع .

•

وقال أبو العبّاس السفاح أمير المؤمنين لخالد بن صَفوان : يا خالد ، إنّ الناس قد أكثروا في النساء ، فأيهن أعجب إليك ؟

قال : أعجبهنّ يا أمير المؤمنين التي ليست بالضَّرَع الصغيرة ،

ولا الفانية الكبيرة . وحسبك من جمالها أن تكون فخمةً من بعيد ، مليحة من قريب ، أعلاها قَضيب ، وأسفلها كَثيب ، كانت في نَعمة ثم أصابتها فاقة ، فأترفها الغنى وأدَّبها الفقر .

•

ونظر خالد بن صفوان إلى جماعة في المسجد بالبصرة فقال : ما هذه الجماعة ؟

قالوا : على امرأة تدلّ على النساء .

فأتاها فقال لها : أبغيني امرأة .

قالت : صفها لي .

قال : أريدها بكراً كثَيِّب ، أو ثَيِّباً كبكر ، حلوةً من قريب ، فخمةً من بعيد . كانت في نعمة فأصابتها فاقة ، فمعها أدبُ النعمة وذُل الحاجة ، فإذا اجتمعنا كُنّا أهلَ دنيا ، وإذا افترقنا كُنا أهل آخرة .

قالت : قد أصبتُها لك .

قال : وأين هي ؟

قالت : في الرفيق الأعلى من الجنة فاعمل لها .

•

وسئل أعرابي عن النساء ، وكان ذا تجربة وعِلم بهن ، فقال : أفضل النساء أطولُهن إذا قامت ، وأعظمُهن إذا قعدت ،

وأصدقُهن إذا قالت ، التي إذا غضبت حلُمت ، وإذا ضحكت تبسّمت ، وإذا صنعت شيئاً جوّدت ، التي تُطيع زوجها ، وتلزم بيتها ، العزيزةُ في قومها ، الذليلة في نفسها ، الوَدودُ الولودُ ، وكل أمرها محمود .

•

وقال عبد الملك بن مروان لرجل من غطفان : صِف لي أحسنَ النساء .

فقال : خُذها يا أمير المؤمنين ملساءَ القدمين ، دَرماء[1] الكعبين ، مملوءةَ الساقين ، جمّاء[2] الركبتين ، لفّاء الفخذين ، مُقرمدة الرُّفغين[3] ، ناعمة الأليتين ، مُنيفة المأكمتين[4] ، بدّاء[5] الوركين ، مهضومة الخصرين ، ملساء المتنين ، مشرفة ، فعمة العضُدين ، فخمة الذراعين ، رَخصة الكفّين ، ناهدة الثديين ، حمراء الخدين ، كحلاء العينين ، زجّاء الحاجبين[6] ، لمياء

---

١ درماء : اي لا تستبين كعوبها من الشحم واللحم .

٢ جمّاء : ملساء .

٣ مقرمدة : مطلية بالقرمد ، وهو كل ما يطلى به للزينة كالزعفران . الرفغين : أصل الفخذين ، الابطين .

٤ المأكمة : لحمة على أصل الورك .

٥ بدّاء : متباعدة .

٦ زجاء الحاجبين : اي ان حاجبيها طويلان في رقة .

الشفتين ، بَلجاء[1] الجَبين ، شَمّاء العِرنين ، شَنْباء[2] الثغر ، حالكة الشعر ، غَيداء[3] العُنق ، عيناء[4] العَينين ، مكسّرة البطن .

فقال : ويحك ! وأين توجد هذه ؟

قال : تجدها في خالص العرب ، أو في خالص الفُرس .

•

وقال رجل لخاطب : أبغني امرأةً لا تُؤنس جاراً ، ولا تُوهن داراً ، ولا تُثقِب ناراً . يريد لا تَدخل على الجيران ، ولا يدخل عليها الجيران ، ولا تُغري بينهم بالشر .

وفي نحو هذا يقول الشاعر :

من الأوانسِ مثلِ الشمس لم يرَها،
في ساحةِ الدار ، لا بعلٌ ولا جارُ

•

---

١ بلجاء : مفترقة .
٢ شنباء : باردة .
٣ غيداء : طويلة .
٤ عيناء : واسعة العينين .

وقال الأعشى :

لم تَمشِ ميلاً ، ولم تركب على جَمل ،
ولا ترى الشمسَ إلا دونها الكِلَلُ

•

وقال آخر : أبغني امرأة بيضاء ، مَديدة فرعاء ، جَعدة ، تقوم فلا يُصيب قميصها منها إلا مُشاشة[1] مَنكبيها ، وحلمتي ثدييها ، ورانفتي[2] أليتيها .

•

وقال الشاعر :

أبت الروادفُ والثُّدِيُّ لقُمصها
مَسَّ البُطون ، وإن تَمسَّ ظُهورا

وإذا الرياح مع العشيِّ تناوحت
نَبَّهن حاسدةً ، وهِجْن غَيورا

•

ونظر عِمران بن حِطّان إلى امرأته ، وكانت من اجمل النساء ، وكان من أقبح الرجال ، فقال : إني وإياك في الجنة

---

[1] المشاشة : رأس العظم .
[2] الرانفة : أسفل الالية .

إن شاء الله .

قالت له : كيف ذاك ؟

قال : إني أعطيتُ مثلَكِ فشكرتُ وأُعطيتِ مثلي فصبرتِ .

•

ونظر أبو هُريرة إلى عائشة بنت طلحة ، فقال : سبحان الله! ما أحسن ما غذَاكِ أهلك ! والله ما رأيتُ وجهاً أحسنَ منك إلا وجه مُعاوية على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان معاوية من أحسن الناس .

•

ونظر ابنُ أبي ذِئب إلى عائشة بنت طَلحة تطوف بالبيت ، فقال لها : من أنتِ ؟

فقالت :

مِن اللاء لم يَحْجُجن يَبْغين حِسْبَةً ،
ولكن ليَقْتُلن البريءَ المُغَفَّلا

فقال لها : صان الله ذلك الوجهَ عن النار .

فقيل له : أفتَنَتْك يا عبد الله ؟

قال : لا ، ولكن الحُسْن مَرحوم .

•

محمد بن اسحاق ، قال : دخلت على عائشة بنت طلحة ، فوجدتها متكئة ، ولو أنّ بُختية[1] نُوِّخت خلفها ما ظهرت .

•

الشعبي ، قال : إني لفي المسجد نصفَ النهار ، إذ سمعتُ بابَ القصر يُفتح ، فإذا بمُصعب بن الزبير ومعه جماعة . فقال: يا شعبي ، اتبعني ، فاتبعته . فأتى دارَ موسى بن طلحة ، فدخل مقصورةً ثم دخل أخرى ، ثم قال : يا شعبي ، اتبعني ، فاتبعته. فإذا امرأة جالسة ، عليها من الحَلْي والجواهر ما لم أر مثله ، وهي أحسن من الحَلْي الذي عليها . فقال : يا شعبي ، هذه ليلى التي يقول فيها الشاعر :

وما زِلت في ليلى لَدُنْ طَرّ شاربي ،
إلى اليوم ، أخفي حُبَّها ، وأداجن[2]

وأحمِل في ليلى ، لقوم ، ضغينةً ،
وتُحمَلُ ، في ليلى ، عليّ الضغائن

هذه عائشة بنت طلحة .

فقالت له : أما إذ جلوتني عليه فأحسن إليه .

---

[1] البختية : الناقة الخراسانية .
[2] طرّ : طلع . اداجن : أخاتل .

فقال : يا شعبي ، رُح العشية .

فرحت . فقال : يا شعبي ، ما ينبغي لمن جُليت عليه عائشة بنت طلحة أن ينُقص عن عشرة آلاف .

فأمر لي بكسوة وقارورة غالية .

فقيل للشعبي في ذلك اليوم : كيف الحال ؟

قال : وكيف حال من صدر عن الأمير ببدرة وكسوة ، وقارورة غالية ، ورؤية وجه عائشة بنت طلحة ؟

•

وكان عمرو بن حجر ملك كندة، وهو جدّ امرىء القيس، أراد أن يتزوج ابنة عوف بن مُحلّم الشيباني الذي يقال فيه : لا حُرّ بوادي عوف ؛ لإفراط عزّه . وهي أم إياس، وكانت ذاتَ جمال وكمال . فوجّه إليها امرأة يقال لها عِصام ، ذات عقل وبيان وأدب، لتنظر إليها ، وتمتحن ما بلغه عنها. فدخلت على أمها أمامة بنت الحارث ، فأعلمتها ما قدمت له . فأرسلت إلى ابنتها : أي بنيّـة ، هذه خالتك ، أتت إليك لتنظر إلى بعض شأنك ، فلا تستري عنها شيئاً أرادت النظرَ إليه من وجه وخَلق ، وناطقيها فيما استنطقتْك فيه :

فدخلت عصامُ عليها، فنظرت إلى ما لم تَر عينُها مثلَه قط بهجةً وحسناً وجمالاً . فإذا هي أكملُ الناس عقلاً ، وافصحهم

لساناً . فخرجت من عندها وهي تقول : « ترك الخِداع من كشف القناع . » فذهبت مثلاً .

ثم أقبلت إلى الحارث ، فقال لها : « ما وراءك يا عصام ؟» فأرسلها مثلاً .

قالت : « صَرَّح المخض عن الزبدة . » فذهبت مثلاً .

قال : أخبريني .

قالت : أخبرك صدقاً وحقاً ، رأيت جبهةً كالمرآة الصقيلة، يزينها شعر حالك كأذناب الخيل المضفورة ، إن أرسلته خِلْته السلاسل ، وإن مَشَّطته قلتَ عناقيدُ كَرم جلاه الوابل ، ومع ذلك حاجبان كأنهما خُطّا بقلم ، أو سُوِّدا بحَمَم ، قد تقوّسا على مثل عين العَبهرة[1] التي لم يَرُعها قانص ولم يَذْعَرها قَسْورة[2] ، بينهما أنف كحد السيف المَصقول ، لم يخنس به قِصر ، ولم يُمعن به طول ، حفّت به وجنتان كالأرجوان في بياض محض كالجُمان ، شُقّ فيه فم كالخاتم ، لذيذ المُبتسم ، فيه ثنايا غُر ، ذوات أشر ، وأسنان تُعَدُّ كالدُّر ، وريق تنمّ إليك منه ريح الخمر ، أو نَشر الروض بالسَّحَر ، يتقلب فيه لسان

---

[1] العبهرة : الممتلئة الجسم ، عنى بها البقرة .
[2] القسورة : الاسد .

ذو فصاحة وبيان ، يقلّبه عقل وافر ، وجواب حاضر ، يلتقي دونه شفتان حمراوان كالورد ، تحلبان ريقاً كالشهد، تحت ذاك عُنق كإبريق الفضة ، رُكّب في صدر تمثال دُمية ، يتصل به عضدان ممتلئان لحماً مُكتنزان شحماً ، وذراعان ليس فيهما عظم يُحس ، ولا عِرق يُجس ، رُكّبت فيهما كفّان رقيقٌ قصبهما ليّن عَصبهما، تعقد إن شئت منهما الأنامل، وتُركّب الفصوص في حفر المفاصل ، وقد تربّع في صدرها حُقّان كأنهما رمّانتان. من تحت ذلك بطن طُوي كطيّ القباطي[1] المدمّجة، كُسي عُكَناً[2] كالقراطيس المُدرجة . تُحيط تلك العكن بسُرّة كمُدهن العاج المجلو، خلفَ ذلك ظهر كالجدول ينتهي إلى خَصر لولا رحمة الله لانخزل[3] ، تحته كفل يُقعدها إذا نهضت ، ويُنهضها إذا قعدت ، كأنه دِعص رمل، لبّده سقوط الطل ، يحمله فخذان لفّاوان كأنهما نَضيدُ الجُمّار[4] ، تحملهما ساقان خَدلّجتان[5] كالبَرْدي وُشّيتا بشعر أسود ، كأنه حلق

---

١ القباطي : ثوب من الكتّان منسوب الى القبط .

٢ العكن : ما انطوى وتثنى من لحم البطن .

٣ انخزل : انقطع .

٤ الجمار : شحم النخلة .

٥ خدلجتان : ممتلئتان .

الزرد ، ويحمل ذلك قدمان كحد السنان تبارك الله في صِغرهما كيف تُطيقان حمل ما فوقهما ، فأما ما سوى ذلك فتركت أن أصفه ، غير أنه أحسنُ ما وصفه واصف بنظم أو نثر .

قال : فأرسل إلى أبيها يخطبها .

صفة المرأة السوء

قال النبي صلى الله عليه وسلم : إياكم وخضراء الدمن . يريد الجارية الحسناء في المنبت السوء .

•

وفي حكمة داود : المرأة السوء مثل شَرَك الصياد . لا ينجو منها إلاّ من رضي الله عنه .

•

قال عمر بن الخطاب : النساء ثلاثة : هيّنة عفيفة مسلمة ، تعين أهلها على العيش ولا تعين العيش على أهلها ، وأخرى وعاء للولد ، وثالثة غلّ قمِل[1] يلقيه الله في عنق من يشاء من عباده .

•

وقيل لأعرابي عالم بالنساء : صف لنا شرّ النساء . قال : شرّهنّ النحيفة الجسم ، القليلة اللحم ، الطويلة السقم ، المحياض[2] ،

---

١ القمل : ما كان فيه قمل .

٢ المحياض : الكثيرة الحيض ، وهو خروج الدم في وقت معلوم .

الصفراء، المشؤومة العسراء، السليطة الذفراء[1]، السريعة الوثبة، كأنّ لسانها حربة، تضحك من غير عجب، وتقول الكذب، وتدعو على زوجها بالحَرَب[2]. أنفٌ في السماء واست في الماء[3].

•

وفي رواية محمد بن عبد السلام الخُشَنيّ قال: إياك وكلّ امرأة مذكّرة منكَرة، حديدة[4] العرقوب، بادية الظُّنبوب[5]، منتفخة الوريد، كلامها وعيد، وصوتها شديد؛ تدفن الحسنات وتفشي السيئات؛ تعين الزمان على بعلها، ولا تعين بعلها على الزمان؛ ليس في قلبها له رأفة، ولا عليها منه مخافة؛ إن دخل خرجت، وإن خرج دخلت، وإن ضحك بكت، وإن بكى ضحكت؛ وإن طلّقها كانت حريبته، وإن أمسكها كانت مصيبته، سَفْعاء ورهاء[6]، كثيرة الدعاء، قليلة الإرعاء[7]، تأكل لمّاً[8]، وتوسع ذمّاً؛ صَخوب غضوب، بَذية دنية؛ ليس

---

١ السليطة: الطويلة اللسان، الصخّابة. الذفراء: الخبيثة الرائحة.
٢ الحرَب، من حربه: سلب ماله وتركه بلا شيء.
٣ كناية عن الكبرياء وخسة الاصل.
٤ الحديدة: الرقيقة.
٥ الظنبوب: حرف عظم الساق من مُقدم.
٦ سفعاء: سوداء اللون الى حمرة. ورهاء: حمقاء.
٧ الارعاء: الترحم، الاصغاء.
٨ لمّاً: أراد كثيراً.

تُطفأ نارها ، ولا يهدأ إعصارها ، ضيّقة الباع مهتوكة القناع ؛ صَبيّها مهزول ، وبيتها مَزبول ؛ إذا حدّثت تشير بالأصابع وتبكي في المجامع ، بادية من حجابها نبّاحة على بابها ، تبكي وهي ظالمة ، وتشهد وهي غائبة ؛ قد زلّ لسانها بالزور ، وسال دمعها بالفجور .

•

نافرت امرأة فَضالة زوجها الى سَلم بن قتيبة ، وهو والي خراسان ، فقالت : أبغضه والله لخلال فيه .

قال : وما هي ؟

قالت : هو والله قليل الغيرة ، سريع الطّيرة ، شديد العتاب ، كثير الحساب ؛ قد أقبل بَخَرُه[1] وأدبر ذفرُه ؛ وهجمت عيناه ، واضطربت رِجلاه ؛ يُفيق سريعاً ، ويَنطق رجيعاً[2] ؛ يُصبح جِبْساً[3] ، ويمسي رجساً ؛ إن جاع جَزِع ، وإن شَبِع جَشِع .

•

ومن صفة المرأة السوء يقال : امرأة سِمِعنّة نِظِرنّة ، وهي التي إذا تسمعت أو تبصرت فلم تر شيئاً تظنّنت تظنّناً .

---

١ البَخَر : رائحة الفم الكريهة .

٢ الرجيع من الكلام : المردود الى صاحبه .

٣ الجبس : الجبان .

قال أعرابي :

إنّ لنا لَكَنَّة ، سِمعَنّة نظرنه
مِفَنّة مِعنّنه ، كالذئب وسط العُنّة[1]
إلاّ تَرَه تظُنّه

•

وقال يزيد بن عمر بن هُبيرة: لا تنكحن بَرشاء، ولا عَمشاء ، ولا وقصاء[2] ، ولا لثغاء . فتجيئك بولد ألثغ . فوالله لولد أعمى أحب إليّ من ولد ألثغ .

•

وقالوا : آخر عُمر الرجل خيرٌ من أوله ، يثوبُ حِلمُه ، وتثقل حَصاته ، وتخمد شرارته ، وتكمل تجاربه . وآخر عمر المرأة شرٌ من أوله ، يذهب جمالُها ، ويذرُب[3] لسانها ، ويعقم رَحمُها ، ويسوء خُلقها .

•

---

١ المفنة : التي تأتي بالعجائب . المعنة : التي تدخل فيا لا يعنيها . العنة : الحظيرة .
٢ البرشاء : ما كان على جلدها نقط يخالف لونها لون جلدها . العمشاء : الضعيفة البصر ، مع سيلان دمعها . الوقصاء : القصيرة العنق .
٣ يذرب : يسلط .

وعن جعفر بن محمد عليهما السلام : إذا قال لك أحد : تزوجت نَصَفاً ، فاعلم أن شرّ النصفين ما بقي في يده ، وأنشد :

وإن أتوك وقالوا : إنها نَصف ،
فإنّ أطيبَ نِصفيها الذي ذَهبا

•

وقال الحُطيئة في امرأته :

أطوّف ما اطوّف ثم آوي
إلى بيتٍ ، قعيدتُه لكاع[1]

وقال في أمه :

تَنحّيْ ، فاجلسي مني بعيداً ،
أراح الله منك العالمينا

أغِرْبالاً ، إذا استُودعت سرّاً ،
وكانوناً على المتحدثينا[2]

حَياتُك ما علمتُ حياةُ سَوءٍ ،
وموتُك قد يَسُرُّ الصالحينا

•

١ اللكاع : اللئيمة .
٢ الكانون : الذي يتحصى الاخبار والاحاديث ، الثقيل .

وقال زيد بن عُمير في أمَتِه :

أعاتبها ، حتى إذا قُلتُ أقلعت ،
أبى الله إلاّ خرْيها ، فتَعُود

•

ويقال إن المرأة إذا كانت مُبغضة لزوجها ، فعلامةُ ذلك أن تكون عِند قُربه منها مرتدّة الطرف عنه ، كأنها تنظر إلى إنسان غيره ؛ وإذا كانت مُحبة له لا تقلع عن النظر إليه .

•

وقال آخر يصف امرأة لثغاء :

أولُ ما أسمع منها ، في السَّحَر ،
تذكيرها الأنثى ، وتأنيث الذكر

والسوأة السوآءُ في ذكر القمر

•

ولآخر في زوجته :

لقد كنت محتاجاً إلى موت زوجتي ،
ولكنْ قرينُ السوء باقٍ مُعمَّرُ

فيا ليتها صارت إلى القبر عاجلاً ،
وعذّبها فيه نكير ومُنكَرُ[1]

•

وكان رَوح بن زنباع أثيراً عند عبد الملك ، فقال له يوماً : أرأيتَ امرأتي العَبْسيِة ؟

قال : نعم .

قال : فبِمَ شبّهتها ؟

قال : بمِشجب[2] بالٍ ، وقد أسيئت صَنعته .

قال : صدقت . وما وضعت يدي عليها قط إلا كأني أضعها على الشكاعى[3] ، وأنا أحب أن تقول ذلك لابنيها الوليد وسليمان .

فقام إليه فزعاً ، فقبّل يدَه ورجله ، وقال : أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن لا تُعرّضني لهما .

قال : ما من ذلك بُدّ .

وبعث مَن يدعوهما . فاعتزل رَوح ، وجلس ناحيةً من البيت كأنه حِلْس[4] ، وجاء الوليد وسليمان فقال لهما : أتدريان

---

١ نكير ومنكر : فتّانا القبور .
٢ المشجب : خشبات موثقة توضع عليها الثياب .
٣ الشكاعى : من دق النبات ، ولدقته يقال للمهزول : كأنه عود الشكاعى .
٤ الحلس : ما يبسط في البيت على الارض .

لمَ بَعثت إليكما؟ إنما بعثت لتعرفا لهذا الشّيخ حقّه وحُرمته .
ثم سكت .

•

أبو الحسن المدائني : كان عند رَوح بن زِنباع هند بنت النّعمان بن بَشير ، وكان شديد الغَيرة ، فأشرفت يوماً تنظر إلى وفد من جُذام ، كانوا عنده ، فزَجرها . فقالت : والله إني لأبغض الحلال من جُذام ، فكيف تخافني على الحرام فيهم؟

وقالت له يوماً : عجباً منك كيف يُسوّدك قومُك وفيك ثلاث خلال : أنت من جُذام ، وأنت جبان ، وأنت غيور .

فقال لها : أمّا جذام فإني في أرومتها ، وحسبُ الرجل ان يكون في أرومة قومه . وأمّا الجُبن فإنما لي نفس واحدة ، فأنا أحوطها ، فلو كانت لي نفس أُخرى جدتُ بها . وأمّا الغَيرة فأمرٌ لا أريد أن أشارَك فيه ، وحقيق بالغَيرة من كانت عنده حمقاء مثلك مخافة أن تأتيه بولد من غيره فتقذف به في حجره .

فقالت :

وهل هند إلاّ مُهرة عربيّة ،
سليلةُ أفراسٍ تَجلّلها بَغلُ

فإن أنجبتْ مُهراً عريقاً ، فبالحري ؛
وإن يكُ إقراف ، فما أنجب الفَحلُ

•

وعن الأصمعيّ قال : قال أبو موسى : جاءت امرأة إلى رجل تدله على امرأة يتزوجها فقال :

أقول لها لمّا أتتني تدُلّني
على امرأةٍ موصوفة بجمالِ :

أصبتِ لها، والله، زوجاً كما اشتهت ،
إن احتملت منه ثلاث خصالِ

فمنهنّ عَجز لا يُنادي وليدَه ،
ورقّة إسلام ، وقلّةُ مالِ

•

صفة الحسن

عن أبي الحَسن المدائني قال : الحُسن أحمر ، وقد تَضرِب فيه الصُّفرة مع طول المُكث في الكِنّ[1] ، والتضمخ بالطيب ، كما تضرب في بيضة الأدحيّ[2] واللؤلؤة المكنونة . وقد شبّه الله عزّ وجل بها في كتابه فقال : « كأنهنّ بَيْض مكنون » ، وقال : « كأنهم لؤلؤ مكنون . »

وقال الشاعر :

كأنّ بَيض نَعام في ملاحِفها ،
إذا اجتلاهنّ قيظٌ ليلُه وَمِدُ[3]

•

وقال آخر :

مَروزيُّ الأديمِ ، تغمرُه الصُّفرةُ
حيناً ، لا يستحقّ اصفرارا[4]

---

١ الكنّ : البيت .
٢ الأدحي : مبيض النعام .
٣ البيت للراعي . الومد : الشديد الحر .
٤ المروزي : نسبة الى مرو بلد بخراسان .

وجرى ، من دم الطبيعةِ فيه ،
لونَ وَرد ، كَسا البَياضَ احمرارا

•

وقالت امرأة خالد بن صفوان له : لقد أصبحت جميلاً . فقال لها : وما رأيتِ من جمالي ! وما فيّ رداء الحسن ولا عموده ولا بُرنسه ؟

قالت : وكيف ذلك ؟

قال : عمود الحسن الشّطاط[1] ، ورداؤه البياض ، وبُرنسه سواد الشعر .

•

وقالوا : ان الوجه الرقيق البَشرة الصافي الأديم إذا خجل يحمرّ ، وإذا فَرِق يصفر . ومنه قولهم : ديباج الوجه . يريدون تلوُّنه ، من رقته .

•

وقال عديّ بن زيد يصف لون الوجه :

حُمرةٌ خَلْطُ صفرةٍ في بياضٍ ،
مثل ما حاكَ حائكٌ ديباجَا

•

---

١ الشطاط : الطول وحسن القوام واعتداله .

وقالوا : ان الجارية الحسناء تتلوّن بلون الشمس ، فهي بالضحى بيضاء ، وبالعشي صفراء .

وقال الشاعر :

بيضاء ضَحوتَها ، وصفـ ـراءُ العشيّة ، كالعَراره[1]

•

وقال ذو الرُّمّة :

بَيضاء صفراء ، قد تنازعها لونانِ من فضّة ومن ذهَبِ

•

ومن قولنا في هذا المعنى :

بَيضاء يحمرّ خَدّاها ، إذا خَجِلت ،
كما جَرى ذهبٌ في صَفحتي وَرِقِ[2]

ومن قولنا أيضاً :

يا لؤلؤاً يسبي العقول أنيقـــا ،
ورشا بتقطيع القلوب رفيقـــا
ما إن رَأيتُ ، ولا سمعتُ بمثله ،
دُرّاً يعود من الحياء عَقيقـا

---

[1] العرارة : بهار ناعم اصفر طيب الرائحة . والنرجس البري .
[2] الورق : الدراهم المضروبة .

ومن قولنا :

كم شادنٍ لَطُفَ الحياءُ بوجهه ،
فأصاره ورداً على وَجناته

ومن قولنا :

عطابيل كالآرام ، أمّا وجوهُها
فدُرٌّ ، ولكنّ الخُدودَ عقيق[1]

•

---

١ العطابيل ، الواحدة عطبول : الفتية الجميلة . الآرام ، الواحد رئم : الظبي .

ومن قولهم في الجارية

جميلة من بعيد ، مَليحة من قَريب . فالجميلة التي تأخذ بصرَكَ جملةً على بُعد ، فإذا دنت لم تكن كذلك . والمليحة التي كلّما كررتَ فيها بصَرَكَ زادتك حسناً .

•

وقال بعضهم : السّمينة الجميلة ، من الجميل ، وهو الشحم . والمليحة أيضاً من الملحة ، وهو البياض . والصبيحة مثل ذلك ، يشبهونها بالصبح في بياضه .

•

المنجبات من النساء

قالوا : أنجبُ النساء الفَروك[1] . وذلك أن الرجل يغلبها على الشَّبَق لزُهدها في الرجل .

•

أبو حاتم عن الاصمعي قال : النجيبة التي تنزع بالولد إلى أكرم العِرقين .

•

وقال عمر بن الخطاب : يا بني السائب ، إنكم قد أضْوَيتم[2] فانكحوا في النزائع[3] .

•

وقالت العرب : بنات العم أصبر ، والغرائب أنجب .

•

والعرب تقول : اغتربوا لا تُضووا . أي انكحوا في الغرائب ، فإن القرائب يُضوين البنين .

•

وقالوا : إذا أردت أن يصلب ولد المرأة فأغضبها ، وكذلك الفزِعة .

---

١ الفروك : المرأة التي تبغض زوجها .
٢ أضوى : دق وضعف .
٣ النزائع : الغرائب .

وقال الشاعر :

ممن حملن بـه ، وهنّ عواقـدٌ
حُبُكَ النّطاقِ ، فشَبّ غيرَ مُهبّلِ[1]

حَملت بـه في ليلة مزؤودة ،
كَرهاً ، وعِقد نِطاقها لم يُحْلَلِ[2]

•

قالت أم تأبط شراً : والله ما حملتُه تُضْعاً ولا وُضْعـاً ، ولا وضعته يَتْناً ، ولا أرضعته غيلاً ، ولا أغته مَئِقاً .

حملته وُضْعاً وتُضْعاً ، وهو أن تحمله في مُقْبَل الحيض .

ووضعته يَتْناً ، وضعته منكساً تخرج رجلاه قبـل رأسه .

وأرضعته غيلاً ، أرضعته لبنـاً فاسداً ، وذلك أن ترضعـه وهي حامل . وأغته مَئِقاً ، أي مُغضباً مغتاظاً .

•

ومن أمثال العرب قولهم : أنا مئقٌ وأنت تئقٌ فلا نتفق .

المئق : المغضب المغتاظ . والتئقُ : الذي لا يحتمل شيئاً .

---

١ الشعر لابي كبير الهذلي . المهبل : المعتوه .

٢ ليلة مزؤودة : ليلة خوف وفزع .

من اخبار النساء

لما قتلَ مصعبُ بن الزبير بنتَ النعمان بن بشير الأنصارية، زوجةَ المختار بن أبي عُبيد ، أنكر الناس ذلك عليه وأعظموه، لأنه أتى بما نهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عنــــه في نساء المُشركين ، فقال عمر بن أبي ربيعة :

إنّ ، من أعظم الكبائر عِندي ،
قتلَ حَسْناءَ غادةٍ عُطْبولِ

قُتلت باطلاً ، على غير ذنب ،
إنّ لله دَرّهـا من قتيل

كُتِبَ القتْلُ والقتال علينا ،
وعلى الغانيـاتِ جَرُّ الذُيول

•

ولما خَرَجت الخوارج بالأهواز ، أخذوا امرأة فهمّوا بقتلها ، فقالت لهم : أتقتلون من يُنَشّأ في الحِلية وهو في الخِصام غيرُ مبين ؟ فأمسكوا عنها .

باب الطلاق

عبد الرحمن بن محمد ابن أخي الأصمعي قال : سمعت عمّي يقول : توصّلت بالمُلح ، وأدركت بالغريب .

وقال عمي للرشيد، في بعض حديثه : بلغني يا أميرَ المؤمنين أن رجلاً من العرب طلّق في يومٍ خمسَ نسوة .

قال : إنما يجوز مِلكُ الرجل على أربع نِسْوة ، فكيف طلّق خمساً ؟

قال : كان لرجل أربع نسوة فدخل عليهن يوماً فوجدهن مُتلاحيات مُتنازعات ، وكان شِنْظيراً[١] . فقال : إلى متى هذا التنازع ؟ ما إخال هذا الأمر إلا من قِبَلِك ، يقول ذلك لامرأة منهن ، اذهبي فأنت طالق .

فقالت له صاحبتها : عجّلت عليها بالطلاق ، ولو أدّبتها بغير ذلك لكنت حَقيقاً .

فقال لها : وأنت أيضاً طالق .

---

١ الشنظير : السيء الخلق الفحاش .

فقالت له الثالثة : قَبّحكَ الله ، فوالله لقد كانتا إليك مُحسنتين ، وعليك مُفضلتين .

فقال : وأنت أيتها المعدّدة أياديهما طالق أيضاً .

فقالت له الرابعة ، وكانت هلالية وفيها أناة شديدة : ضاق صدرك عن أن تؤدّب نساءك إلا بالطلاق .

قال لها : وأنت طالق أيضاً .

وكان ذلك بسمع جارة له ، فاشرفت عليه وقد سمعت كلامَه ، فقالت : والله ما شَهِدت العربُ عليك وعلى قومك بالضعف إلا لما بلَوه منكم ووجدوه فيكم ، أبيت إلا طلاق نسائك في ساعة واحدة .

قال : وأنت أيضاً أيتها المؤنبة المتكلّفة طالق إن أجاز زوجك .

فأجابه مِن داخل بيته : هيهِ ، قد أجزتُ ، قد أجزت .

•

ودخل المُغيرة بن شُعبة على زوجته فارعة الثّقفية ، وهي تتخلّل[١] ، حين انفتلت من صلاة الغداة ، فقال لها : إن

---

١ تتخلل : تستاك ، تخرج بالمسواك ما علق بين اسنانها من فضلات الطعام .

كنت تتخلّلين من طَعام اليوم إنك لَجشِعة ، وإن كنت تتخللين من طعام البارحة إنك لبشعة ، كنتِ فبنتِ .

فقالت : والله ما اغتبطنا إذ كنا ولا أسفنا إذ بِنّا ، وما هو لشيء مما ذكرت ، ولكني استكت فتخلّلت للسواك .

فخرج المُغيرة نادماً على ما كان منه . فلقيه يوسُف بن أبي عقيل ، فقال له : إني نزلتُ الآن عن سيدة نساء ثقيف ، فتزوّجها فإنها ستنجب . فتزوجها . فولدت له الحجاج .

•

وقال الحسن بن عليّ بن الحسن لامرأته عائشة بنت طلحة : أمرُك بيدك .

فقالت : قد كان عشرين سنةً بيدك فأحسنتَ حِفظه ، فلن أضيّعه إذ صار بيدي ساعة واحدة ، وقد صرفتُه إليك .

فأعجبه ذلك منها وأمسكها .

•

وقال أبو عُبيدة : طلّق رجلٌ امرأته وقال في ذلك :

لقد طلّقتُ أختَ بني غِلاب ،
طَلاقاً ، ما أظُنُّ له ارتدادا

ولم أكُ كالمُعدّل ، أو أويس ،
إذا ما طَلّقا نَدما ، فعادا

قال أبو عُبيدة : وطلاق المُعدّل وأويس يُضرب به المثل.

•

ونكح رجل امرأة من العرب ، فلما اهتداها رأت ربع داره أحسن ربع ، وشمل عياله أجمع شمل ، فقالت : أما والله لئن بقيتُ لهم لأشتتنّ أمرهم . وقالت في ذلك :

أرى ناراً سأجعلها إرينا ، وأترك اهلَها شتّى عِزينا[1]

فلما انتهى ذلك إلى زوجها طَلّقها ، وقال في ذلك :

ألا قالت هَديُّ بني عَديّ :
أرى ناراً سأجعلُها إرينا

فبيني قبل أن تَلْحَيْ عَصانا ،
ويُصبحَ أهلُنا شتّى عِزينا

•

وقيل لابن عبّاس : ما تقول في رجل طلّق امرأته عدد

---

[1] الارين ، الواحدة إرة : النار . عزين ، الواحدة عِزة : العصبة من الناس .

نجوم السماء ؟ فقال : يكفيه من ذلك عدد كواكب الجوزاء .

•

وقيل لأعرابي : هل لك في النكاح ؟

قال : لو قدرتُ أن أطلّق نفسي لطلّقتها .

•

قال أبو الدرداء لامرأته : إذا رأيتني غضبتُ ترضّيني ، وإن رأيتُك غضبت ترضّيتك ، وإلا لم نصطحب .

قال الزهري : وهكذا يكون الإخوان .

•

قال الأصمعي : كنت أختلف إلى أعرابيّ أقتبس منه الغريب ، فكنتُ إذا استأذنت عليه يقول : يا أمامة ، ائذني له . فتقول : ادخل . فاستأذنت عليه مراراً ، فلم أسمعه يذكر أمامة ، فقلت : يرحمك الله ، ما أسمعك تذكر أمامة ؟ قال : توجم وجمة . فندمتُ على ما كان مني ، ثم أنشأ يقول :

ظعنتْ أمامةُ بالطلاقِ ، ونجوتُ من غلّ الوَثاقِ
بانت ، فلم يألم لها قلبي ، ولم تبكِ المآقي
ودواءُ ما لا تشتهيه النفسُ تعجيلُ الفراق
والعيشُ ، ليس يطيبُ من إلفين من غير اتفاق

•

وعن الشيباني قال : طلّق أبو موسى امرأته وقال فيها :

تَجهّزي للطلاق ، وارتحلي ،
فـذا دواءُ المُجانبِ الشّرسِ

ما أنتِ بالحَنّة الوَلودِ ، ولا
عنـدكِ نَفـعٌ يُرْجى لملتمسِ

لَلَيلتي ، حين بنْتِ طالقةً ،
ألذُّ عندي من ليلـةِ العُرُسِ

بتُّ لديهـا بشَرِّ منزلة ،
لا أنا في لـذة ، ولا أنس

تلك على الخَسف لا نَظير لها ،
وإنني مـا يَسوغ لي نفسي

•

أقبلَ منظورُ بن زبّان بن سيّار الفزاري إلى الزبير فقال : إنما زوّجناك ولم نزوج عبد الله .

قال : ما لك ؟

قال : إنها تشكوه .

قال : يا عبد الله طلّقها .

قال عبد الله : هي طالق .

قال منظور : أنا ابن قَهدم .

قال الزبير : أنا ابن صفيّة . أتريد أن يطلّق المنذر أختها ؟

قال : لا ، تلك راضية بمَوضعها .

•

وتزوج محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان خديجةَ بنت عُروة بن الزبير ، فذكر لها جمالَه ، وكان يقال له المُذهَب من حُسنه ، وكان رجلاً مِطلاقاً . فقالت : محمد هو الدنيا لا يدوم نعيمها . فلما طلّقها خَطبها إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي فكتب إليها :

أعيذكِ بالرّحمن مـن عيش شِقوةٍ ،
وأن تَطمعي يوماً إلى غير مَطمعِ

إذا ما ابنُ مَظعون تحدّر وَسقُه
عليك ، فبُوئي ، بعد ذلك ، أو دَعي[1]

فردّته ولم تتزوجه .

•

---

[1] الوسق : حمل البعير · ووقر النخلة . بوئي : ارجعي .

وعن العُتبيّ عن أبيه قال: أمهر الحجّاجُ ابنةَ عبد الله ابن جعفر تسعين ألف دينار، فبلغ ذلك خالدَ بن يزيد بن معاوية، فأمهل عبد الملك، حتى إذا أطبق الليل دقّ عليه الباب، فأذن له عبد الملك. فدخل عليه. فقال له: ما هذا الطُّروق أبا يزيد؟

قال: أمرٌ والله لم يُنتظر له الصبح، هل علمت أن أحداً كان بينه وبين من عادى ما كان بين آل أبي سُفيان وآل الزبير ابن العوام؟ فإني تزوجتُ إليهم، فما في الأرض قبيلة من قريش أحبُّ إليّ منهم، فكيف تركت الحجّاج وهو سهمٌ من سهامك يتزوّج إلى بني هاشم؟ وقد علِمْتَ ما يقال فيهم في آخر الزمان.

قال: وصَلَتْكَ رَحِمٌ[1]. وكتب إلى الحجّاج يأمره بطلاقها ولا يراجعه في ذلك.

فطلقها. فأتاه الناس يُعزونه، وفيهم عمرو بن عتبة، فجعل الحجاجُ يقعُ بخالد وينتقصه، ويقول: إنه صيّر الأمرَ إلى من هو أولى به منه، وإنه لم يكن لذلك أهلاً.

فقال له عمرو بن عتبة: إن خالداً أدركَ مَن قَبْلَه وأتعب

١ وصلتك رحم: اي عطفتك علينا رحم. يقال: وصل رحمه، أحسن الى الاقربين اليه من ذوي النسب وعطف عليهم ورفق بهم.

مَن بعدَه ، وعلم عِلماً فسلّم الأمرَ أهلَه ، ولو طُلب بقديم لم يُغلب عليه ، أو بحديثٍ لم يُسبق إليه .

فلمّا سمعه الحجاج استحى ، فقـــال : يا ابن عُتبة ، إنّا نسترضيكم بأن نعتب عليكم ، ونستعطفكم بأن ننال منكم ، وقد غلبتم على الحلم فوثّقنا لكم بـه ، وعلمنا أنكم تحبون أن تحلُموا فتعرضنا للذي تحبون .

من طلق امرأته ثم تبعتها نفسه

الهيثم بن عـديّ قال : كانت تحت العُريان بن الهيثـم بن الأسود بنتُ عمّ له ، فطلّقها . فتبعتها نفسُه ، فكتب إليهـا يُعرّض لها بالرجوع فكتبت إليه :

إن كنتَ ذا حاجة ، فاطلب لها بدلاً ،
إنّ الغزال ، الذي ضيّعتَ ، مشغولُ

فكتب إليها :

مَن كان ذا شغل ، فالله يَكْلَؤه ،
وقـد لهَوْنا به ، والحبل موصولُ

وقد قَضَينا من استطرافه طَرفاً ،
وفي الليالي وفي أيامهـا طُول

•

وطلّق الوليد بن يزيد امرأته سُعدى . فلما تزوّجت اشتـد ذلك عليه وندم على ما كان منه . فدخل عليه أشعب ، فقال له : أبلغ سُعدى عنّي رسالةً ، ولك مني خمسةُ آلاف درهم .

فقال : عجّلها .

فأمر له بها . فلما قبضها قال : هاتِ رسالتك .

فأنشدها :

أسُعدى ما إليك لنا سَبيلٌ،
ولا حتى القيامة من تلاقِ

بلى ، ولعلّ دهراً أن يواتي
بموتٍ من حليلِك ، أو فِراق

فأتاها فاستأذن فدخل عليها . فقالت له : ما بدا لك في زيارتنا يا أشعب ؟

فقال : يا سيدتي ، أرسلني إليك الوليدُ برسالة ، وأنشدها الشعر .

فقالت لجواريها : خُذن هذا الخبيث .

فقال : يا سيدتي ، إنه جعل لي خمسة آلاف درهم .

قالت : والله لأعاقبنّك أو لتبلّغنّ اليه ما أقول لك .

قال : سيدتي اجعلي لي شيئاً .

قالت : لك بِساطي هذا .

قال : قومي عنه .

فقامت عنه وألقاه على ظهره . وقال : هاتي رسالتك .

فقالت : أنشده :

أتبكي على سُعدى ، وأنت تركتَها ،
فقد ذهبتْ سُعدى ، فما أنتَ صانعُ ؟

فلما بلغه وأنشده الشعرَ سقط في يده[1] ، وأخذتْه كَظمة[2] ثم سُرّي عنه[3] ، فقال : اخترْ واحدةً من ثلاث : إما أن نَقتلك ، وإما أن نَطرحَكَ من هذا القصر ، وإما أن نُلقيك إلى هذه السباع .

فتحيّر أشعب وأطرق حيناً ، ثم رفع رأسه فقال : ياسيدي ، ما كنت لتعذّب عينيْن نظرتا إلى سُعدى .

فتبسّم وخلّى سبيلَه .

•

وممن طلّق امرأته فتبعتها نفسه عبدُ الرحمن بن أبي بكر الصديق ، أمره أبوه بطلاقها ثم دخل عليه فسمعه يتمثّل :

فلم أر مثلي طلّق اليومَ مثلَها ،
ولا مثلَها ، في غير شيء ، تُطلّقُ

---

١ سقط في يده : ندم .
٢ الكظمة : الحبسة والامساك على ما في النفس .
٣ سرّي عنه : انكشف عنه ما به .

فأمره بمراجعتها .

•

ومن طلق امرأته فتبعتها نفسه : الفرزدق الشاعر . طلّق النوار ثم ندم في طلاقها وقال :

ندمتُ ندامةَ الكُسعيّ لمّا
غدتْ مني ، مُطلّقةً ، نَوارُ

وكانت جنّتي ، فخرجتُ منها ،
كآدم حين أخرجه الضِّرار[1]

فأصبحتُ ، الغداةَ ، ألومُ نفسي ،
بأمرٍ ليس لي فيه خيار

•

وكانت النوار بنت عبد الله قد خطبها رجلٌ رَضِيَتْه ، وكان وليُّها غائباً ، وكان الفرزدق وليَّها ، إلا أنه كان أبعَد من الغائب ، فجعلَت أمرَها إلى الفرزدق ، وأشهدت له بالتفويض إليه . فلما توثّق منها بالشهود أشهدهم أنه قد زوجها من نفسه ، فأبت منه ونافرته إلى عبد الله بن الزُّبير . فنزل

١ الضرار : المخالفة ، وأراد مخالفة امر الله تعالى .

الفرزدق على حمزة بن عبد الله ، ونزلت النوار على زوجة عبد الله بن الزبير ، وهي بنت منظور بن زبّان . فكان كلما أصلح حمزة من شأن الفرزدق نهاراً أفسدته المرأة ليلاً ، حتى غلبت المرأة وقضى ابنُ الزبير على الفرزدق ، فقال :

أمّا البنون فلم تُقبَل شفاعتُهم ،
وشُفِّعت بنتُ مَنظور بن زبّانا

ليس الشفيع الذي يأتيك مؤتزراً ،
مثلَ الشفيع الذي يأتيك عُريانا

وقال الفرزدق في مجلس ابن الزبير :

وما خاصَم الأقوامَ ، من ذي خُصومة ،
كوَرْهاء مشنوءٍ إليها خَليلُها[1]

فدونكَها ، يا ابن الزبير ، فإنها
مُلَعّنَةٌ ، يوهي الحجارةَ قِيلُها[2]

فقال ابن الزبير : إن هذا شاعر وسَيهجوني ، فإن شئتِ ضربت عنقه ، وإن كرهت ذلك فاختاري نكاحه وقرّي .

---

١ الورهاء : الحمقاء . المشنوء : المكروه .
٢ قيلها : قولها . كلامها .

فقرّت واختارت نِكاحه ، ومكثت عنـده زماناً . ثم طلقها وندم في طلاقها .

•

راوية الفرزدق قال : قال لي الفرزدق يومـاً : امضِ بنا الى حلقة الحسن ، فإني أريد أن أطلّق النّوار .

فقلت له : إني أخـاف أن تَتبعها نفسُك ، ويشهد عليـك الحسن وأصحابه .

قال : انهض بنا .

فجئنا حتى وقفنـــا على الحسن ، فقال : كيف أصبحت أبا سعيد ؟

قال : بخير ، كيف أصبحت يا أبا فراس ؟

فقال : تعلمَنْ أني طلقتُ النوار ثلاثاً .

قال الحسن وأصحابه : قد سمعنا .

فانطلقنا ، فقال لي الفرزدق : يا هـذا ، إنّ في نفسي من النوار شيئاً .

فقلت : قد حذّرتك .

فقال :

ندمتُ ندامـة الكُسعيّ ، لمّـا
غـدتْ مني ، مُطلّقةً ، نَوارُ

وكانت جنتي ، فخرجتُ منها ،
كآدم حين أخرجه الضرارُ

ولو أني ملكتُ بها يميني ،
لكان عليّ للقدرِ الخيارُ

•

وممن طلق امرأته وتبعتها نفسه قيس بن ذريح . وكان أبوه أمره بطلاقها فطلقها وندم ، فقال في ذلك :

فواكبدي على تسريح لبنى ،
فكان فراقُ لبنى كالخداعِ

تكنفني الوشاةُ ، فأزعجوني ،
فيا للناس للواشي المُطاعِ

فأصبحتُ ، الغداةَ ، ألوم نفسي ،
على أمرٍ ، وليس بمُستطاعِ

كمَغبونٍ يَعضُّ على يديه ،
تبيّنَ غَبْنَه بعدَ البِياعِ

•

وطلّق رجل امرأته فقالت : أبَعْدَ صحبة خمسين سنة ؟

فقال : ما لك عندنا ذنب غيره .

•

العتبي قال: جاء رجل بامرأة كأنها بُرج فضة الى عبد الرحمن ابن أم الحكم ، وهو على الكوفة ، فقال : إن امرأتي هذه شَجَّتني .

فقال لها : أنتِ فعلت به ؟

قالت : نعم ، غيرَ مُتعمدة لذلكَ ، كنتُ أعالج طِيباً ، فوقع الفِهر من يدي على رأسه ، وليس عندي عَقْل ، ولا تقوى يدي على القِصاص .

فقال عبدُ الرحمن للرجل : يا هذا ، علامَ تَحْبِسها ، وقد فعلت بك ما أرى ؟

قال: أصدقتها أربعة آلاف درهم ، ولا تَطيب نفسي بفراقها.

قال : فإن أعطَيْتُها لك أتفارقها ؟

قال : نعم .

قال : فهي لك .

قال : هي طالق إذاً .

فقال عبد الرحمن : احبسي علينا نفسك . ثم أنشأ يقول :

يا شيخُ ، ويحكَ ! من دلاّكَ بالغزلِ ،
قد كنتَ ، يا شيخ ، عن هذا بمعتزَلِ

رُضْتَ الصّعابَ ، فلم تحسِن رياضتَها ،
فاعمد بنفسك نحو الجِلّةِ الذُّلُلِ [1]

●

---

١ الصعاب : اراد الصعاب من الابل . الجلة : المسنّ من الابل . الذلل : المروضة . وفي كل ذلك كناية عن النساء .

في مكر النساء وغدرهن

في حكمة داود عليه السلام : وجدت من الرجال واحداً في ألف ، ولم اجد واحدة في النساء جميعاً .

•

قال الهيثم بن عديّ : غزا ابن هبولة الغسانيُّ الحارثَ بن عمرو آكلَ المرار الكندي ، فلم يصبه في منزله ، فأخذ ما وجد له واستاق امرأته . فلما أصابها أعجبت به ، فقالت له : انجُ ، فوالله لكأني أنظر إليه يتبعك ، فاغراً فاه كأنه بعير آكل مُرار .

وبلغ الحارث ، فأقبل يَتبعه حتى لحقه ، فقتله واخذ ما كان معه وأخذ امرأته ، فقال لها : هل أصابك ؟

قالت : نعم ، والله ما اشتملت النساء على مثله قط . فأمر بها فأوثقت بين فرسين ، ثم استحضرهما[1] حتى تقطّعت . ثم قال :

كلُّ أنثى ، وإن بدا لك منها
آيةُ الودّ ، حُبُّها خَيتَعور[2]

---

[1] استحضرهما : جعلها يركضان .
[2] خيتعور : لا يدوم على حال .

إنَّ مَن غرَّه النساءُ بوُدٍّ،
بعد هندٍ، لجاهلٌ مَغرورُ

•

وقالت الحكماء: لا تثق بامرأة، ولا تغتر بمال وإن كثر.

وقالوا: النساء حبائل الشيطان.

وقال الشاعر:

تمتّع بها ما ساعفَتك، ولا تكُن
جزوعاً إذا بانت، فسوف تَبينُ

وخُنها، وإن كانت تَفي لك، إنها
على مَدد الأيام سوف تخونُ

وإن هي أعطتك الليان، فإنها
لآخرَ من طُلّابها ستَلينُ

وإن حلفَت لا يَنقضُ النأيُ عهدَها،
فليس لمخضوبِ البنانِ يمينُ

وإن أسبلت، يومَ الفراق، دموعَها،
فليس، لعمر الله، ذاك يَقينُ

•

وقالت الحكماء: لم تُنه امرأةٌ قطُّ عن شيء إلا فعلته.

وقال طفيل الغَنويّ :

إنّ النساء متى يُنْهَيْنَ عن خلُق ،
فإنه واقـعٌ ، لا بُدٌ ، مفعول

•

ابن عَيّاش قال : أرسل عبدُ الله بن هـمّام السّلوليّ شابّاً إلى امرأة ليخطُبها عليه ، فقالت له : فما يمنعك أنت ؟

فقال لها : ولي طمع فيك ؟

قالت : ما عنك رغبة .

فتزوجها ثم انصرف إلى ابن هـمّام ، فقال له : ما صنعت ؟

فقال : والله ما تزوجَتْني إلا بعد شَرط .

فقال : أوَهذا بعثتُك ؟ فقال ابن همام في ذلك :

رأت غُلاماً علا شُرْبُ الطّلاء به ،
يَعيا بإرقاص بَرديّ الخلاخيل[1]

مُبطّناً بدخيس اللّحم ، تَحسِبُهُ
ممـا يُصوّر في تلك التماثيل[2]

---

١ الطلاء : الخمر . البردي : نبات يطول فوق ذراع له ساق هشّة في رأسها زهر أبيض .

٢ دخيس اللحم : كثرة اللحم .

أكفى من الكُفء في عَقد النكاح، وما
يَعيا به حلُّ هِميانِ السراويل[1]

تركتَها ، والأيامى غيرُ واحدة ؛
فاحبسه عن بيتها ، يا حابِسَ الفيل[2]

•

ابن عيّاش قال : كان النساء يجلسن لخُطّابهن ، فكانت امرأة من بني سَلول تُخطب ، وكان عبد الله بن عاصم السلولي يَخطبها ، فإذا دخل عليها تقول له : فداك أبي وأمي ، وتُقبل عليه تُحدثه ، وكان شاب من بني سلول يخطبها . فإذا دخل عليها الشاب وعندها عبدُ الله بن هند قالت للشاب : قم إلى النار ، وأقبلت بوجهها وحديثها على عبد الله ، ثم إن الشاب تزوّجها ، فلما بلغ ذلك عبدَ الله بن هند قال :

أودى بحُبِّ سُليمى فاتِكٌ لَقِنٌ ،
كحيّةٍ بَرزت من بينِ أحجارِ[3]

إذا رأتني تُفدّيني وتجعله
في النار ، يا ليتني المَجعولُ في النار

---

١ الهميان : التكة .
٢ الايامى ، الواحدة ايّم : من فقدت زوجها .
٣ اللقن : السريع الفهم .

وله فيها :

ماذا تَظُنُّ سُليمى إنْ أَلَمَّ بها
مُرجَّل الرأس، ذو بُردين، مزّاحُ

حُلوٌ فُكاهته ، خَزٌّ عِمامته ،
في كَفّه ،من رُقى الشّيطان، مِفتاح

في السراري

تسرّرَ الخليلُ إبراهيم عليه الصلاة والسلام هاجَر ، فولدت له إسماعيل عليه السلام . وتسرّرَ النبي عليه الصلاة والسلام مارية القبطية ، فولدت له إبراهيم . ولما صارت إليه صفيّة بنتُ حيي كان أزواجُه يعيّرنها باليَهودية ، فشكت ذلك إليه . فقال لها : أما إنك لو شئت لقلت فصَدقْت وصدقت : أبي إسحاق ، وجَدي إبراهيم ، وعمي إسماعيل ، وأخي يوسف .

•

ودخل زيد بن عليّ على هشام بن عبد الملك ، فقال له : بلغني أنك تحدّث نفسك بالخلافة ، ولا تَصلح لها ، لأنك ابنُ أمَة .

فقال له : أما قولك إني أحدث نفسي بالخلافة فلا يَعلم الغَيب إلا الله ، وأما قولك إني ابن أمة ، فإسماعيل ابن أمة ، أخرج الله من صلبه خيرَ البشر محمداً صلى الله عليه وسلم . وإسحاق ابن حرة ، أخرج الله من صلبه القردة والخنازير .

•

قال الاصمعي : وكان أكثر أهل المدينة يكرهون الاماء، حتى نشأ منهم علي بن الحُسين، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله، ففاقوا أهلَ المدينة فقهاً وعلماً وورعاً. فرغب الناس في السراري.

وتزوّج عليّ بن الحسين جارية له وأعتقها، فبلغ ذلك عبدَ الملك، فكتب إليه يؤنّبه. فكتب إليه عليّ: إن الله رفع بالإسلام الخسيسة، وأتمّ به النّقيصة، وأكرم به من اللؤم، فلا عار على مُسلم. وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج أمته وامرأة عبده.

فقال عبد الملك: إن علي بن الحسين يَشْرُف من حيث يَتّضع الناس.

•

وقال الشاعر:

لا تَشْتُمنَّ امرأً من أن تكون له
أمٌّ من الرُّوم، أو سَوداءُ عجماء

فإنما أمهات القوم أوعيةٌ،
مُسْتودَعاتٌ، وللأحساب آباء

•

وقـال بعضُهم : عجبتُ لمن لَبس القَصير كيف يَلبس الطويل؟ ولمن أحفى شعره كيف أعفاه؟ وعجباً لمن عرف الاماء كيف يُقدم على الحرائر؟

•

وقالوا : الأمة تُشترى بالعَين وتُردّ بالعيب ، والحرة غُل في عُنق من صارت إليه .

•

الهجناء

العرب تسمي العجميّ إذا أسلم : المُفرَج ، وهو المُسلماني. ومنه يقال : مَسالمة السّواد . والهجين ، عندهم ، الذي أبوه عربي وأمه أعجمية . والمُذَرّع : الذي أمه عربية وأبوه أعجميّ .

وقال الفرزدق :

إذا باهليٌّ أنجبت حنظليةٌ
له ولداً منها ، فذاك المُذرّع

•

والعجميّ : النصراني ونحوه ، وإن كان فصيحاً . والأعجميّ : الأخرس اللسان ، وإن كان مسلماً . ومنه قيل : زياد الأعجم ، وكان في لسانه لُكنة .

والفُرس تُسمي الهجين : دوشن ، والعبد : واش ونجاش . ومن تزوّج أمة : نغاش ، وهو الذي يكون العهد دونه ، وسُمي أيضاً : بوركان .

والعرب تُسمي العبد الذي لا يخدم إلا ما دامت عليه عين مولاه : عبد العين .

وكانت العرب في الجاهلية لا تورّث الهجين .

وكانت الفُرس تطّرح الهجين ولا تَعدّه ، ولو وجدوا أمّاً أمةً على رأس ثلاثين أمّاً ما أفلح عندهم ، ولا كان آزاد مَرْد ، ولو كان بيده مزاد . والآزاد عندهم: الحر ، والمرد: الريحان .

•

وقال ابن الزُّبير لعبد الرحمن بن أم الحكم :

تبغّلْتَ لمّا أن أتيت بلادَهم ،
وفي أرضِنا أنت الهُمام القَلَمّس[1]

ألست ببغلٍ أمّه عربيّةٌ ،
أبوه حِمار أدبرُ الظّهر ، يُنْخَس؟

وشَبّهَ المُدَرَّع بالبَغل ، إذا قيل له : مَن أبوك ؟ قال : أمي الفرس .

•

---

١ القلمس : الرجل الخيّر المعطاء والسيد العظيم .

مما احتجت به الهجناء

أنّ النبي صلى الله عليه وسلم زوّج ضُباعة بنتَ الزبير بن عبد المطلب من المقداد بن الأسود. وزَوّج خالدة بنت أبي لهب من عثمان بن أبي العاص الثقفي. وبذلك احتج عبدُ الله بن جعفر، إذ زوّج ابنته زينب من الحجّاج بن يوسف. فعيّره الوليدُ بن عبد الملك، فقال عبدُ الله بن جعفر: سيفُ أبيك زوّجه. والله ما فَديتُ بها إلا خَيْط رَقَبَتي.

•

وأخرى: أن النبي صلى الله عليه وسلم قد زَوّج ضباعة من المقداد، وخالدة من عثمان بن أبي العاص، ففيه قدوة وأسوة.

•

وزوّج أبو سفيان ابنته أم الحكم بالطائف في ثقيف.

•

وقال لَهذم الكاتب في عبد الله بن الأهتم، وسأله فحرمه:

وما بنو الأهتم إلا كالرَّخَم،
لا شيء إلا أنهم لَحمٌ ودَم

٨

جاءت به حَذْلَمُ من أرض العَجم ،
أهتمُ سَلاَّحٌ على ظهر القدم

مُقابَل في اللؤم من خالٍ وعَم

•

وكان بنو أمية لا تَستخلف بني الإماء. وقالوا : لا تصلُح لهم العرب .

•

زياد بن يحيى قال : حدّثنا جَبلة بن عبد الملك قال : سابقَ عبدُ الملك بين سليمانَ ومَسلمة ، فسبق سليمانُ مسلمةَ ، فقال عبد الملك :

ألم أنهكم أن تحمِلوا هُجناءكم
على خَيْلكم ، يومَ الرهانِ فتُدْرَكُ

وما يَستوي المرآن ، هذا ابنُ حُرَّة ،
وهذا ابنُ أخرى ظهرها مُتشرَّك

وتَضعف عضداه ، ويَقْصُر سَوطُه ،
وتَقصر رِجْلاه ، فلا يتحرَّك

وأدرَكْنه خالاته ، فنَزعنه ،
ألا إنّ عِرْق السُّوء لا بُدّ يُدْرِك[1]

---

١ نزعنه : اشبهنه .

ثم أقبل عبدُ الملك على مَصْقلة بن هُبيرة الشيباني فقال : أتدري مَن يقول هذا ؟

قال : لا أدري .

قال : يقوله أخوك الشنّيّ .

قال مسلمة : يا أمير المؤمنين ، ما هكذا قال حاتم الطائي .

قال عبدُ الملك : وماذا قال حاتم ؟

فقال مَسلمة : قال حاتم :

وما أنكحونا طائعين بناتِهم ،
ولكنْ خَطبناها بأسيافنا قَسْرا

فما زادها فينا السِّباءُ مذلّةً ،
ولا كُلّفتْ خبزاً ولا طبختْ قِدرا

ولكنْ خلَطناها بخيرِ نسائنا ،
فجاءت بهم بيضاً ، وجوهُهم زُهرا

وكائنْ ترى فينا من ابن سَبيّةٍ ،
إذا لقِيَ الأبطالَ يَطْعنهم شَزْرا

ويأخذ راياتِ الطِّعان بكفّه ،
فيُوردها بيضاً ويُصدرها حُمرا

أغرّ ، إذا اغبرّ اللئامُ ، رأيتَه ،
إذا ما سَرى ليلَ الدُّجى ،قمراً بدرا

فقال عبد الملك كالمستحي :

وما شرّ الثلاثة ، أمّ عمرو ، بصاحبك الذي لا تَصبحينا

•

قال الأصمعيّ : كانت بنو أميـة لا تُبايع لبني أمهـات الأولاد ، فكان الناس يَرَون أن ذلك لاستهانة بهم ، ولم يكن لذلك ، ولكن لِمَا كانوا يَرَون أنّ زوال مُلكهم على يد ابن أم ولد ، فلما وَلي الناقصُ ظنّ الناسُ أنه الذي يذهب مُلك بني أمية على يديه ، وكانت أمه بنتَ يزدجرد بن كسرى ، فلم يلبث إلا سبعة أشهر حتى مات ، ووثب مكانه مروانُ بن محمد ، وأمه كُردية ، فكانت الرواية عليه .

ولم يكن لعبد الملك بن مروان ابنٌ أسدّ رأياً ، ولا أذكى عقلاً ، ولا أشجع قلباً ، ولا أسمح نفساً ، ولا أسخى كفاً من مَسلمة ، وإنما تركوه لهذا المعنى .

•

وكان يحيى بن أبي حَفصة ، أخو مَروان بن أبي حَفصة ، يهودياً ، أسلم على يـد عثمان بن عفان فكثر ماله ، فـتزوّج

خَولة بنت مُقاتل بن قيس بن عاصم ونَقدها خمسين ألفاً .

وفيه يقول القُلاخ :

نُبِّئتُ خَولةَ قالت ، حين أنكحها ،
لطالما كنتُ ، منك العارَ ، أنتظرُ

أنكحتَ عبدَين ، ترجو فضلَ مالهما ،
في فيك ، مما رجوتَ ، التُّربُ والحجَرُ

لله دَرُّ جيادٍ أنتَ سائسُها ،
بَرْذَنْتَها ، وبها التَّحْجيلُ والغُرَرُ

فقال مُقاتل يرُد عليه :

وما تركتْ خمسون ألفاً لقائلٍ
عليك ، فلا تَحْفِلِ مَقالة لائمِ

فإن قلتُم زوَّجتُ مولىً ، فقد مضت
به سُنةٌ قبلي ، وحُبُّ الدراهم

ويقال إن غيرَه قال ذلك .

باب في الادعياء

أول دَعيّ كان في الاسلام واشتهر: زيادُ بنُ عبيد ، دعيّ معاويةَ . وكان من قصّتـه أنه وجهه بعضُ عمّـال عمر بن الخطاب رضي الله عنه على العراق الى عمر بفتحٍ كان . فلما قَدِم وأخبر عُمر بالفتح في أحسن بيان وأفصح لسان، قال له عمر : أتقدر على مثل هذا الكلام في جماعة الناس على المِنبر؟

قال : نعم ، وعلى أحسن منه ، وأنا لك أهْيب .

فأمر عمر بالصلاة جامعة ، فاجتمع الناس . ثم قال لزياد : قُم فاخطُب ، وقُصّ على النـاس ما فتح الله على إخوانهـم المسلمين .

ففعل وأحسن وجَوّد. وعند أصل المنبر عليّ بن أبي طالب، وأبو سفيان بن حَرب . فقال أبو سفيان لعلي : أيُعجبـك ما سمعت من هذا الفتى ؟

قال : نعم .

قال : أما إنه ابنُ عَمّك !

قال : فكيف ذلك ؟

قال : أنا قذفتُه في رَحم أمه سُميّة .

قال : فما يمنعك أن تدّعيه ؟

قال : أخاف هذا الجالس على المِنبر ، يعني عمر ، أن يُفسد عليّ إهابي .

فلما وُلي معاوية استلحقه بهذا الحديث ، وأقام له شهوداً عليه . فلما شهد الشهود قام زياد على أعقابهم خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : هذا أمر لم أشهد أوله ولا عِلم لي بآخره ، وقد قال امير المؤمنين ما بلغكم ، وشهد الشهودُ بما قد سمعتم ، والحمد لله الذي رفع منّا ما وضع الناس ، وحفظ منا ما ضيّعوا ، فأما عُبيد فإنما هو والد مبرور ، او ربيبٌ مشكور. ثم جلس .

فقال فيه عبدُ الرحمن بن حسّان بن ثابت :

ألا أبلغ معاويةَ بن حربٍ ،
فقد ضاقت بما يأتي اليدانِ

أتغضبُ أن يُقال أبوك عفٌّ ،
وتَرضى أن يُقال أبوك زانِ ؟

وأشهد أنّ قُربك من زِياد ،
كقُرب الفيل من ولد الأتان

وقال زياد : ما هُجيت ببيت قطُّ أشدّ عليّ من قول يزيد ابن مُفرّغ الحِميَري :

فكّرْ، ففي ذاك إن فكّرت مُعتبرٌ،
هل نِلتَ مكرُمة إلاّ بتأمير

عاشت سُميّة، ما عاشت، وما علِمت
أنّ ابنها من قُريش في الجَماهير

سُبحان مَن مُلْك عبّاد بِقُدرته،
لا يَدفعُ الناسُ محتومَ المقادير

وكان وَلَد سُميّة ثلاثةً : زياداً وأبا بَكرة ونافعاً . فكان زياد يُنسب في قُريش ، وأبو بكرة في العرب ، ونافع في الموالي ، فقال فيهم يزيد بن مفرغ :

إنّ زياداً ونافعاً وأبا
بكرة، عندي، من أعجب العَجبِ

إنّ رجالاً ثلاثةً خُلقوا
مِن رِحْم انثى مُخالِفي النَّسب

ذا قُرشيٌّ، فيما يقول، وذا
مولًى، وهذا ابنُ عمّه عَربي

●

وقال بعضُ العراقيين في أبي مُسْهِر الكاتب :

حِمارٌ في الكِتابةِ يَدّعيها ،
كدَعْوى آلِ حَرْبٍ في زِيادِ

فَدَعْ عنكَ الكتابةَ لستَ منها ،
ولو غَرَّقْتَ ثوبَكَ بالمِـدادِ

•

وقال آخر في دَعيّ :

لَعينٌ يورِثُ الأبناءَ لعنـاً ،
ويَلْطَخُ كلَّ ذي نَسَبٍ صَحيحِ

•

ولما طالت خُصومة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ونَصر بن حجّاج عند مُعاوية في عبدالله بن حجاج ، مولى خالد بن الوليد ، أمر معاويةُ حاجبَه أن يؤخر أمرَهما حتى يَحتفل مجلسُه ، فجلس معاويةُ وقد تلفّع بمُطْرَف[1] خَزٍّ أخضر ، وأمر بحَجَر فأدني منه ، وألقى عليه طَرَف المُطرَف ، ثم أذِنَ لهما ، وقد احتفل المجلسُ ، فقال نصر بن حجاج : أخي وابن أبي ، عَهِدَ إليَّ أنه منه .

---

١ تلفع : التف . المطرف : رداء من حرير .

وقال عبد الرحمن : مولاي وابن عبد أبي وأمته ، وُلد على فراشه .

فقال معاوية : يا حرسيّ ، خذ هذا الحجَر – وكَشَفَ عنه – فادفعه إلى نَصر بن حجاج . وقال : يا نصر ، هذا مالك في حُكم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فإنه قال : الولد للفِراش وللعاهر الحجر .

فقال نصر : أفلا أجريت هذا الحكم في زِياد يا أميرَ المؤمنين ؟

قال : ذاك حُكم مُعاوية وهذا حكم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

•

وليس في الأرض أحمى[1] من الأدعياء ، لتستحق بذلك العروبيّة .

•

قال الشاعر :

دعيٌّ واحدٌ أجدى عليهم ،
مِنَ الفي عالم مِثل ابن دابِ

---

١ احمى : أمنع .

كَكَلْبِ السّوءِ يحرُس جانبَيْه ،
وليس عـدوَّه غيرُ الكلاب

•

وقال الأصمعي : استمشى[1] رجل من الأدعياء ، فدخل عليه رجل من أصحابه فوجد عنده شِيحاً وقَيصوماً ، فقال له : ما هذا ؟ فقال ، ورفع صوتَه : الطبيعة تتوق إليه . يريد أن طبيعته من طباع العرب . فقال فيه الشاعر :

يَشمُّ الشِّيحَ ، والقَيصومَ ، كي يَستوجب النَّسَبا
وليس ضميرُه ، في الصّدر ، إلا التّينَ والعِنَبا

•

وعن إسماعيل بن أحمد قال : رأيتُ على أبي سعيد الشاعر المخزوميّ كُردوانياً[2] مصبوغاً بتوريد ، فقلت : أبا سعيد ، هذا خَز ؟

قال : لا . ولكنه دعيّ على دعيّ .

وكان أبو سعيد دعيّاً في بني مخزوم . وفيه قال الشاعر :

---

١ استمشى : انطلق بطنه .
٢ الكردواني : ضرب من المطارف .

لم يَبْـِه قَطُّ ، على النّاس ، شريفٌ يا أبا سَعْدِ
فَتِـهْ ما شئتَ ، إذ كنتَ بلا أبٍ ولا جَـدّ
وإذ حَظّك ، في النِّسبة ، بين الحُرّ والعَبْـد
وإذ قاذِفُك المُفْحِشُ في أمنٍ من الحَـدّ

•

وعن أحمد بن عبد العزيز قال : نزلتُ في دار رجل من بني عبد القَيس بالبحرين ، فقال لي : بَلغني أنك خاطب ؟

قلت : نَعم .

قال : فأنا أزوّجك .

قلتُ له : إني مولى .

قال : اسكت وأنا أفعل .

فقال أبو بُجير فيهم :

أمن قِلّـةٍ صرتم إلى أن قبلتمُ
دَعاوَةَ زَرّاعٍ ، وآخرَ تاجـرِ

وأصهبَ رُوميٍّ ، وأسود فاحـم ،
وأبيضَ جَعدٍ من سَراةِ الأحامر[1]

---

١ الاحامر ، الواحد احمر : ما كان في لونـه حمرة ، وقوم من العجم نزلوا بالبصرة .

شُكولهم شتّى ، وكلٌّ نسيبُكم ،
لقد جئتمُ ، في الناس ، إحدى المَناكر

متى قال إني منكمُ ، فمصدّقٌ ،
وإن كان زنجيًّا غليظَ المَشافر

أكلُّهم وافى النساءَ جدودُه ،
وكلُّهم أوفى بصدق المَعاذر

وكلُّكم قد كان في أوّلية ،
له نسبة معروفة في العشائر

على علمكم أن سوف ينكحُ فيكمُ ،
فجَدْعاً ورغماً للأنوفِ الصّواغر

فهلاّ أبيتم عفّةً وتكرُّماً ،
وهلاّ وَجِلتم من مَقالة شاعر

تعيبون أمراً ظاهراً في بَناتِكم ،
وفخرُكم قد جاز كلَّ المَفاخر

متى شاء منكم مُفرَجٌ كان جدَّه
عُمارةَ عبسٍ ، خيرَ تلك العمائر[1]

---

[1] العمائر، الواحدة عمارة : وهي أخص من القبيلة.

وحِصنَ بن بدر ، أو زرارةَ دارم ،
وزبّانَ ، زبّانَ ، الرئيسَ ابنَ جابر

فقد صرتُ لا أدري ، وإن كنت ناسياً ،
لعلّ نجاراً من هِلال بن عامر

وعلّ رجالَ الترك من آل مَذحِج ؛
وعلّ تميماً عُصبةٌ مِن يُحابر

وعلّ رمال العُجم من رملِ عالجٍ ،
وعلّ البوادي بُدّلت بالحواضر

زعمتَ بأنّ الهندَ أولادُ خِندِفٍ ،
وبَينكم قربى ، وبين البرابر

ودَيلمَ من نسل ابن ضبّةَ باسلٍ ،
وبُرجانُ من أولاد عمرو بن عامر

بنو الأصفرِ الأملاكُ أكرمُ منكمُ ،
وأولى بقُربانا مُلوكُ الأكاسر

أأطمعُ في صهري دعيّاً مُجاهراً ،
ولم نرَ شرّاً من دعيٍّ مُجاهر

ويشتمُ لؤماً عرضَه وعشيرَه ،
ويَمدحُ جهلاً طاهراً وابن طاهر

•

وقال زرارة بن ثروان ، أحد بني عامر بن ربيعة بن عامر :

قد اختلط الأسافل بالأعالي ،
وماج الناسُ واختلط النّجارُ

وصار العَبد مثل أبي قُبيس ،
وسِيق مع المُعلْهجةِ العشارُ[1]

وإنك لن يضيرَك ، بعدَ حَول ،
أطِرفٌ كان أمّك أم حِمارُ

•

وقال عقيل بن عُلّفة :

وكنّا بني غيظ رجالاً ، فأصبحت
بنو مالك غيظاً ، وصِرنا لمالكِ

لحا الله دهراً زَعزع المالَ كلّه ،
وَسوّد أستاهَ الإماء الفوارك[2]

•

ودخل الأشعث بن قيس على علـيّ بن أبي طالب ، فوجد بين يديه صبيّة تدرُج ، فقال : مَن هذه يا أمير المؤمنين ؟

---

١ المعلهج : الهجين . العشار : النياق التي مضى على حملها عشرة اشهر .
٢ الفوارك ، الواحدة فارك : المرأة التي ابغضت زوجها .

قال : هذه زينب بنت أمير المؤمنين .

قال : زوجنيها يا أمير المؤمنين .

قال : اغرُبْ ، بفيك الكثكث[1] ، ولك الأثلب[2] ، أغرّك ابنُ أبي قُحافةَ حين زوّجك أمّ فروة ؟ إنها لم تكن من الفواطم ، ولا العواتك من سُليم .

فقال : قد زوّجتم أخملَ منّي حَسباً ، وأوضع مني نسباً : المقدادَ بن عمرو ، وإن شئت فالمقداد بن الأسود .

قال عليّ : ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فعله ، وهو أعلم بما فعل ، ولئن عُدتَ إلى مثلها لأسوأنّك . وفي هذا المعنى قال الكُميت بن زيد[3] :

وما وجدتْ بنات بني نِزارٍ ،
حلائلَ أسودينَ وأحمرينا[4]

وما حملوا الحَمير على عِتاقٍ ،
مُطَهّمةٍ ، فَيُلفوا مُبْغِلينا

---

١ الكثكث : التراب وفتات الحجارة .

٢ الاثلب ، من ثلبه : عابه ولامه.

٣ يروى البيت الاول من الثلاثة الابيات لحكيم الاعور الكلبي والبيتان الآخران للكميت .

٤ الحلائل ، الواحد حليل وحليلة : الزوج والزوجة .

بني الأعمام أنكحنا الأيامى،
وبالآباء سمّينا البَنينا

أراد تزويج أبرهة الحبشيّ في كندة .

•

عن العتبي قال : أنشدني أبو إسحاق إبراهيم بن خداش لخالد النجّار :

اليومَ من هاشمٍ، بخٍ، وأنت غداً
مولًى وبعد غد حِلف من العربِ[1]

إن صحّ هذا، فأنت الناسُ كلُّهُمُ
يا هاشميُّ، ويا مولى، ويا عَربي

•

قال : وكان الهيثم بن عدي ، فيما زعموا ، دعيّاً . فقال فيه الشاعر :

الهيثمُ بنُ عديٍّ من تنقّلِه ،
في كلّ يوم له رَحْلٌ على حَسَبِ

إذا اجتدى معشراً من فَضل نِسبتهم،
فلم يُنيلوه، عدّاهم إلى نَسَبِ

---

[1] بخٍ : اسم فعل يكون لاستعظام الامر ، وللرضا والاعجاب بالشيء .

فما يزال له حلٌّ ومُرتَحَلٌ
إلى النّصارى ، وأحياناً إلى العَرب

إذا نسبتَ عديّاً في بني ثُعَل ،
فقدّم الدالَ قبل العينِ في النّسب

•

وقال بشار العُقيلي :

إنّ عَمراً فاعرفُوه عربيٌّ من زُجاج[1]
مُظْلِمُ النّسبةِ ، لا يُعْ رف إلا بالسّراج

وقال فيه :

ارفُقْ بنسبةِ عمرٍو حينَ تَنْسُبُه ،
فإنه عربيٌّ مِن قَواريرِ[2]

ما زال في كِيرِ حدّادٍ يرِدّده ،
حتى بدا عربياً مُظْلِمَ النّور

وقال أيضاً في أدعياء :

همْ قَعدوا ، فانتقَوا لهم حَسباً ،
يدخلُ ، بعد العِشاء ، في العَربِ

---

١ يريد ان نسبته في العرب سريعة التحطم كالزجاج .
٢ القوارير ، الواحدة قارورة : إناء يجعل فيه الشراب .

حتى إذا ما الصَّباحُ لاح لهم ،
بَيَّنَ سَتُّوقُهم من الذهبِ[1]

والنـاسُ قد أصبحوا صيارفـةً ،
أعلمَ شيءٍ بزائـفِ الحسبِ

•

وقال أبو نواس في أشجع بن عمرو :

قل لمن يَدَّعي سُلَيماً سَفاهـاً ،
لستَ منها ، ولا قُلامـةَ ظُفرِ

إنمـا أنت ، من سُليمَ ، كواوٍ
أُلحقت ، في الهجاءِ ، ظُلماً بعَمرو

وقال فيه :

أيا متحيِّراً ، فيـه ، لِمن يتَعجَّبُ ، العجبُ
لأسمـاءٍ تعلّمهـنَّ أشجعُ ، حين يَنتسِبُ

•

ولأحمد بن أبي الحارث الخرّاز في حبيب الطائي :

لو انَّك ، إذ جعلت أباك أوساً ،
جعلتَ الجَدَّ حارثـةَ بن لامِ

---

١ السَّتوق : درهم زيف ملبس بالفضّة

وسَمّيت التي ولدَتْك سُعْدى،
فكُنْتَ مُقابَلاً بين الكرام

وله فيه:

أنت عندي عَرَبيّ ليس في ذاك كَلامُ
شَعْرُ فَخذيك وساقيـ ـك خُزامى وثُمام[1]
وضُلوع الصّدر، من جِسمك، نَبْعٌ وبَشام[2]
وقَذى عينيك صَمْغ، ونواصيك ثَغام
لو تحرّكت كذا، لانـ جفَلَتْ منك نَعام
وظِباء سانحاتٌ، ويَرابيعُ عِظام
وحَمام يتغنّى؛ حَبّذا ذاكَ الحمام
أنا ما ذَنْبيَ إن كـ ذّبني فيك الكِرام
القفا يَشهد، إذ ما عرّفت فيك الأنام
كَذَبوا، ما أنت إلا عربيٌّ، والسلام

•

وقال في المُعلّى الطائي:

مُعلّى، لست من طيّ، فإن قبلتَنْك، فارهَنْها

---

١ الخزامى: نبت زهره من اطيب الازهار. الثام: نبت ضعيف لا يطول، الواحدة ثمامة.

٢ النبع: شجر تتخذ منه السهام والقسي. البشام: شجر طيب الرائحة تتخذ منه المساويك.

وابنكَ فارمٍ في أجإٍ، فلا تَرغب به عنها[1]
كأنّ دماملاً جُمعت، فصُوّر وجهه منها

•

ولآخر :

تعلّمها وإخوتَه، فكلّهم بها دَرِبُ
لقد رَبّوا عَجوزهمُ، ولو زيّنتها غضِبوا
فيا لكِ عصبةً ، ان حـ دّثوا عن اصلهم كذبوا
لهم، في بيتهم ، نسب ، وفي وسَط الملا نَسب
كما لم تَخفَ سافرةٌ، وتَخفى حين تَنتقب

•

وقال خلف بن خليفة الاقطع في الادعياء :

فقُل للأكرمين بني نِزار ، وعند كرائم العرب الشّفاء
أآخرَ مرّتين سَبَيتُمونا ، وفي الاسلام ما كُره السّباء
اذا استحلَلتمُ هذا وهذا ، فليس لنا على ذاكم بَقاء
فلا تأمنْ على حالٍ دعيّاً ، فليس له ، على حالٍ ، وفاء
وكيف يفي لأبعدَ من أبيه ، ونسبتُه، اذا اتّصل، ادعاء ؟

---

١ اجأ : جبل لطيء .

اخبار النساء

كتاب المرجانة الثانية	٥
قولهم في المناكح	٧
صفة النساء واخلاقهن	٤٩
صفة المرأة السوء	٦٨
صفة الحسن	٧٧
ومن قولهم في الجارية	٨١
المنجبات من النساء	٨٢
من اخبار النساء	٨٤
باب الطلاق	٨٥
من طلق امرأته ثم تبعتها نفسه	٩٤
في مكر النساء وغدرهن	١٠٣
في السراري	١٠٨
الهجناء	١١١
مما احتجت به الهجناء	١١٣
باب في الادعياء	١١٨

١٥٠ غ.ل.

العقد الفريد

٢٨

المجانين والبخلاء والطفيليون

مكتبة صادر
بيروت

٢٨

المجانين والبخلاء والطفيليون

العقد الفريد

من اشهر المجموعات الأدبية عند العرب.
فيه ادب – وأقوال – ونوادر – وملح –
وتاريخ – واخبار الخ . الخ . . . .

•

المجانين والبخلاء والطفيليون

هو كتاب الجمانة الثانية من العقد ،
مضبوط ومشروح بقلم
كرم البستاني

العقد الفريد

لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي

٢٨

المجانين والبخلاء والطفيليون

مكتبة صادر
بيروت

كتاب الجمانة الثانية

في المتنبئين ، والممرورين ، والبخلاء ، والطفيليين

قال الفقيه أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا في النساء والأدعياء ، وما قيل في ذلك من الشعر ، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في كتابنا هذا ذكر المتنبئين والممرورين[1] والبُخلاء والطفيليين ، فإن أخبارهم حدائق مُونقة ، ورياض زاهرة ، لما فيها من كُلّ طُرفة ونادرة ، فكأنها أنوار مُزخرفة ، أو حللٌ مُنشّرة ، دانية القطوف من جاني ثمرتها ، قريبةُ المسافة لمن طلبها . فإذا تأملها الناظر ، وأصغى إليها السامع ، وجدها ملهى للسّمع ، ومرتعاً للنّظر ، وسكناً للروح ، ولقاحاً للعقل ، وسميراً في الوحدة ، وأنيساً في الوحشة ، وصاحباً في السفر ، ونديماً في الحضر .

•

قال أبو الطيب اليزيدي : أخذ رجلٌ ادّعى النبوة ، أيامَ المهدي ، فأدخل عليه ، فقال له : أنت نبيّ ؟

---

[1] الممرور : من غلبت عليه المرّة ، وهي الصفراء ، او السوداء .

قال : نعم .

قال : وإلى مَن بُعِثت ؟

قال : أوَتركتموني أذهب إلى أحـــد ؟ ساعةَ بُعثت وضعتموني في الحبس .

فضحك منه المهدي ، وخلّى سبيله .

•

ادعى رجلٌ النبوة بالبصرة . فأتي به سليمان بن عليّ مقيَّداً ، فقال له : أنت نبيٌّ مُرسل ؟

قال : أما الساعة ، فإني نبيٌّ مُقيَّد .

قال : ويحك ، مَن بعثك ؟

قال : أبهذا يُخاطَب الأنبياء يا ضعيف؟ والله لولا أني مُقيَّد لأمرتُ جبريل أن يُدمدمها[1] عليكم .

قال : فالمقيَّد لا تُجاب له دعوة ؟

قال : نعم ، الأنبياء خاصة ، إذا قُيدت لم يرتفع دعاؤها .

فضحك سليمان . فقال له : أنا أطلقك ، وَأمُر جبريلَ فإن أطاعك آمنّا بك وصدّقناك .

قال : صدق الله « فلا يُؤمنوا حتى يروا العَذاب الأليم » .

---

١ دمدم عليه : كلمه مغضباً ، ودمدم الله عليهم : اهلكهم .

فضحكَ سليمان وسأل عنه ، فشُهد عنده أنــه ممرور ، فخلّى سبيله .

•

قال ثمامة بن الأشرس : شهدت المأمونَ أتي برجـل ادعى النبوة ، وأنه ابراهيم الخليل . فقال المأمون : ما سمعت أجرأ على الله من هذا .

قلت : أكلمه ؟

قال : شأنك به .

فقلت له : يا هذا ، إن إبراهيم كانت له براهين .

قال : وما براهينه ؟

قلت : أضرمت له نار وألقي فيهـا فصارت برداً وسلاماً ، فنحن نضرم لك ناراً ونطرحك فيها ، فإن كانت عليك برداً كما كانت على إبراهيم آمنّا بك وصدقناك .

قال : هات ما هو ألين عليّ من هذا .

قال : براهين موسى .

قال : وما كانت براهين موسى ؟

قال : عَصاه التي ألقاها ، فصارت حية تَسعى ، تَلْقَف ما

يأفكون[1] ، وضرب بها البحرَ فانفلق ، وبياضُ يده من غير سُوء .

قال : هذا أصعب . هات ما هو ألين من هذا .

قلت : براهين عيسى .

قال : وما براهين عيسى ؟

قلت : كان يُحيي الموتى ، ويمشي على الماء ، ويُبرىء الأكمه والأبرص .

فقال : في براهين عيسى جئت بالطامّة[2] الكبرى .

قلت : لا بد من بُرهان .

فقال : ما معي شيء من هذا ، قد قلت لجبريل : إنكم توجهونني إلى شياطين ، فاعطُوني حُجة أذهب بها إليهم ، وأحتج عليهم . فغضب وقال : بدأت أنت بالشرّ قبل كل شيء ، اذهب الآن فانظرُ ما يقول لك القوم ، وقال : هذا من الانبياء لا يصلح إلا للحُمُر .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذا هاج به مُرار ، وأعلامُ ذلك فيه .

---

١ الافك : الكذب .

٢ الطامة : الداهية .

قال : صدقت ، دَعْه .

•

ادّعى رجل النبوة في أيام المهدي ، فأدخِل عليه فقال له : أنتَ نبي ؟

قال : نعم .

قال : ومتى نُبّئْتَ ؟

قال : وما تصنع بالتاريخ ؟

قال : ففي أي المواضع جاءتك النبوة ؟

قال : وقعنا والله في شُغل ، ليس هذا من مسائل الأنبياء ، إن كان رأيك أن تُصَدّقني في كل ما قلت لك فاعمل بقولي . وإن كنت عزمت على تكذيبي فَدعْني أذهب عنك .

فقال المهدي : هذا ما لا يجوز ، إذ كان فيه فساد الدين .

قال : واعجبا لك ، تغضب لدينك لفساده ، ولا أغضب أنا لفساد نُبوتي ! أنت والله ما قويت عليّ إلا بمَعن بن زائدة والحسن بن قُحطبة وما أشبههما من قُوّادك .

وعلى يمين المهدي شَريك القاضي ، فقال : ما تقول في هذا النبيّ يا شريك ؟

قال[1] : شاورتَ هذا في أمري وتركت أن تشاورني .

---

١ الضمير يعود الى مدعي النبوة .

قال : هات ما عندك .

قال : احاكمُك فيما جاء به مَن قبلي من الرُسُل .

قال : رضيت .

قال : أكافر أنا عندك أم مؤمن ؟

قال : كافر .

قال : فان الله يقول : «ولا تُطع الكافرينَ والمنافقين ودعْ اذاهم» فــلا تُطعني ولا تؤذني ، ودعني أذهب إلى الضعفاء والمساكين فإنهم اتباع الانبياء ، وأدَعْ الملوك والجبابرة، فانهم حطب جهنم .

فضحك المهدي وخلّى سبيله .

●

قال خلف بن خليفة : ادعى رجل النبوة في زمن خالد بن عبد الله القسري ، وعارض القرآن . فأتي به خالد ، فقال له : ما تقول ؟

قال : عارضتُ في القرآن ما يقول الله تعالى: «إنا أعْطَيناك الكَوثَر . فَصلّ لربّك وانحَر . إنّ شانِئكَ هو الابتر» فقلت انا ما هو احسن من هذا : إنا اعطيناك الجماهر ، فصلْ لربك وجاهر ، ولا تُطع كل ساحر وكافر .

فأمر به خالد فضُربت عنقه وصُلبت جثته على خشبة. فمر به خَلف بن خليفة الشاعر ، وقال : إنا أعطيناك العَمود ، فصلّ لربك على عُود ، وأنا ضامن عنك الا تعود .

•

قال : وإني لقاعد في مجلس عبد الله بن خازم وهو على الجسر ببغداد ، فاذا جماعة قد احاطت برجل ادعى النبوة ، فقدم الى عبد الله فقال له : أنت نبي ؟

قال : نعم .

قال : والى من بُعثت ؟

قال : وما عليك ؟ بُعثت الى الشيطان .

فضحك عبد الله بن خازم وقال : دَعوه يذهب الى الشيطان الرجيم .

•

وقال ثُمامة بن أشرس : كنت في الحبس ، فأدخل علينا رجلٌ ذو هيئة وبزّة ومنظر ، فقلت له : مَن أنت ؟ جُعلت فداك ، وما ذنبُك ؟ وفي يدي كأس دعوت بها لأشربها .

قال : جاء بي هؤلاء السفهاء لأني جئتُ بالحق من عند ربي ، انا نبي مُرسل .

قلت : جُعلت فداك ، معك دليل ؟

قال : نعم ، معي أكبر الأدلة ، ادفعوا اليّ امرأة أحبّلها لكم ، فتأتي بمولود يشهد بصِدقي .

قال ثمامة: فناولته الكأس وقلت له: اشرب صلى الله عليك.

•

محمد بن عتّاب قال : رأيتُ بالرّقة ايام الرشيد جماعةً احاطت برجل ، فأشرفتُ عليه ، فاذا رجلٌ له جَهارة[1] وبنية ، قلت : ما قِصّة هذا ؟

قالوا : ادعى النبوة .

قلت : كذبتم عليه . مثل هذا لا يدّعي الباطل .

فرفع رأسه اليّ فقال: وما عِلمُك انهم قالوا علي الباطل ؟

قلت له : وأنت نبي ؟

قال : نعم .

قلت له : ما دليلك ؟

قال : دليلي انك وَلد زنا .

قلت : نبيّ يَقذف المُحصنات ؟

قال : بهذا بُعثت .

قلت : أنا كافر بما بُعثت به .

قال : ومَن كفر فعليه كُفره .

---

١ الجهارة : حسن المنظر والهيئة .

فاذا حصاة عائرة[١] جاءت حتى صَكّت[٢] صلعته ، قال : ما رماها الا ابنُ الزانية ؛ ثم رفـع رأسه الى السماء ، فقال : ما اردتم بي خيراً حيثُ طرحتموني في يد هؤلاء الجهال .

•

ادعى[٣] رجلٌ النبوة في أيام المأمون ، فقال ليحيى بن أكثم : امضِ بنا مُستترين حتى ننظر الى هـذا المتنبيء والى دعواه . فركبنا متنكّرين ومعنا خادم حتى صِرنا اليه ، وكان مستتراً بمذهبه . فخرج آذنه وقال : مَن انتما ؟

فقلنا : رجلان يريدان أن يُسلِما على يديه .

فأذن لهما ودخلا . فجلس المأمون عن يمينه ويحيى عن يساره . فالتفت اليه المأمون فقال له : إلى من بُعثت ؟

قال : الى الناس كافة .

قال : فيوحى اليك أم ترى في المنام ، أم يُنفث في قلبك ، ام تناجى ، ام تُكلَّم ؟

قال : بل اناجى وأكلم .

---

١ عائرة : لا يدرى من رماها .
٢ صكت : ضربت .
٣ يدل سياق الكلام على ان الحديث لا يزال لمحمد بن عتّاب صاحب الرواية السابقة .

قال : ومن يأتيك بذلك ؟

قال : جبريل .

قال : فمتى كان عندك ؟

قال : قبل ان تأتيني بساعة .

قال : فما أوحى اليك ؟

قال : اوحى الي أنه سيدخل عليّ رجلان فيجلس احدُهما عن يَميني والآخر عن يَساري، فالذي عن يَساري اسفه خلق الله.

قال المأمون : اشهد أن لا إله الا الله ، وانك رسول الله .

وخرجا يتضاحكان .

•

تنبّأ رجل بالكوفة وأحَلّ الخمر ولقي ابنَ عياش ، وكان مُغرماً بالشراب ، فقال له : أشعرت انه بُعث نبي يحل الخمر ؟

قال : اذاً لا يُقبل منه حتى يبرىء الأكمه والأبرص .

وأتي به عامل الكوفة فاستتابه . فأبى أن يتوب ويرجع . فأتته أمه تبكي ، فقال لها : تَنحّي ، ربط الله على قلبك كما ربط على قلب أم موسى . وأتاه أبوه يطلب إليه أن يرجع . فقال له : تَنحّ يا آزر[1] . فأمر به العامل فقُتل وصلب .

•

---

١ آزر : كلمة ذمّ ، والآزر ايضاً الصنم .

وذكر بعضُ الكوفيين قال : بينا أنا جالس بالكوفة في منزلي إذ جاءني صديق لي ، فقال لي : إنه ظهر بالكوفة رجلٌ يدّعي النبوة ، فقُم بنا إليه نكلّمه ، ونَعرف ما عنده . فقمتُ معه ، فصِرنا إلى باب داره ، فقرعنا الباب ، وسألنا الدُّخول عليه . فأخذ علينا العُهود والمواثيق ، إذا دَخلنا عليه وكلّمناه وسألناه إن كان على حق اتبعناه ، وإن كان على غير ذلك كتمنا عليه ، ولم نؤذه .

فدخلنا فإذا شيخ خُراساني أخبث مَن رأيت على وجه الأرض ، وإذا هو أصلع ، فقال صاحبي وكان أعور : دَعني حتى أسائله . قلت : دونك . قال : جُعلت فداك ، ما أنت ؟

قال : نبي .

قلت : ما دليلك ؟

قال : أنت أعور عَينك اليمنى ، فاقلَعْ عينك اليُسرى حتى تصير أعمى ، ثم أدعو الله فيردّ عليك بصرك .

فقلت لصاحبي : أنصفك الرجل .

قال : فاقلع أنت عينيك جميعاً . وخرجنا نضحك .

•

وأتي المأمون بإنسان مُتنبىء فقال له : ألك علامة ؟

قال : نعم ، علامتي أني أعلم ما في نفسك .

قال : قرّبتَ عليّ ، ما في نفسي ؟

قال له : في نفسك أني كذّاب .

قال : صدقت .

وأمر به إلى الحبس . فأقام به أياماً ، ثم أخرجه . فقال : أوحي إليك بشيء ؟

قال : لا .

قال : ولمَ ؟

قال : لأن الملائكة لا تدخل الحبس .

فضحك المأمون وأطلقه .

•

وتنبّأ إنسان وسمّى نفسه نوحاً صاحب الفُلك ، وذكر أنه سيكون طُوفان على يديه إلا من اتبعه ، ومعه صاحب له قد آمن به وصدّقه ، فأتي به الوالي ، فاستتابه فلم يتُب ، فأمر به فصُلب ، واستتاب صاحبه فتاب . فناداه من الخَشَبة : يا فلان ، أتُسلمني الآن في مثل هذه الحالة ؟!

فقال : يا نوح ، قد علمت أنه لا يَصحبك من السفينة إلا الصاري .

•

أخبار الممرورين والمجانين

قال أبو الحسن : كان بالبصرة ممرور يقـال له عُليَّان بن أبي مالك ، وكانت العلماء تستنطقه لتسمع جوابه وكلامه ، وكان راويةً للشعر بصيراً بجيِّده .

فذُكر عن عبد الله بن إدريس صاحب الحديث قال: أخرجه الصبيان مرّة حتى هجم علينا في الدار ، فقال لي الخادم : هذا عُليّان قد هجم علينا ، والصبيان في طلبه .

فقلت: ادفع الباب في وجوه الصبيان ، وأخرج إليه طعاماً وطبقاً عليه رُطب مُشان ومُلبَّقات[1] وأرغفة .

فلما وضعه بين يديه حمد الله وأثنى عليه ، وقال : هذا من رحمة الله ، وأشار إلى الطعام ، كما ان أولئك من عذاب الله ، وأشار إلى الصبيان . ثم جعل يأكل والصبيان يرجمون الباب ، وهو يقول : « فضُرب بينهم بسور له باب باطنُه فيه الرَّحمة وظاهره من قِبَله العذاب . »

قال ابن إدريس : فلما انقضى طعامه قلت له : يا عُليّان ،

---

١ المشان : نوع من التمر كبير . الملبق : الشديد التثريد الملين بالدسم .

ما لك تروي الشعر ولا تقوله ؟

قال : إني كالمِسنّ أشحذ ولا أقطع .

وكان بصيراً بالشعر . فقلت: أي بيت تقوله العرب أشعر ؟

قال : البيت الذي لا يُحجب عن القلب .

قلت : مثل ماذا ؟

قال : مثل قول جميل :

الا أيها النوّام ، ويحكمُ ، هبُّوا ،
أسائلكم : هل يَقتل الرجلَ الحبُّ ؟

قال : فأنشد النصف الأول بصوت ضعيف وأنشد النصف الآخر بصوت رفيع . ثم قال : الا ترى النصف الاول كيف استأذن على القلب فلم يأذن له ، والنصف الثاني استأذن على القلب فأذن له ؟

قلت : وماذا ؟

قال : مثل قول الشاعر :

ندمتُ على ما كان مني ، فقدتَني ،
كما ندم المغبون حين يَبيع

ثم قال : أتستطيب قوله « فقدتني » بالله يابن ادريس ؟

قلت : بلى .

فضرب بيده على فخذي وقال : قم شيّب الله قرنك .
وابن إدريس يومئذ ابن ثمانين سنة .

•

وحكى عنه عبد الله بن ادريس قال : مررتُ به في مُربّعة كندة ، وهو جالس على رَماد وبيده قطعة من جصّ وهو يخط بها في الرماد ، فقلت له : ما تَصنع هاهنا يابنَ ابي مالك ؟

قال : ما كان يصنع صاحبنا .

قلت : ومن صاحبك ؟

قال : مجنون بني عامر .

قلت : وما كان يصنع ؟

قال : أما سمعته يقول :

عشيّةَ ما لي حيلةٌ ، غيرَ أنني
بلَقط الحصى والخط في الدار مولع

قلت : ما سمعته .

فرفع رأسه الي متضاحكاً ، فقال : اما يقول الله عز وجل «ألم ترَ إلى رَبّك كيف مدّ الظّلّ ولو شاءَ لجَعله ساكناً»؟ فأنت سمعته او رأيته؟ هذا كلام من كلام العرب لا علم لك به .

قلت : يابن ابي مالك ، متى تقوم القيامة ؟

قال : ما المسؤول عنها باعلم من السائل ، غير أنه من مات فقد قامت قيامته .

قلت له : فالمصلوب يعذب عذاب القبر ؟

قال : ان حقت عليه كلمة العذاب يعذّب ، وما يدريك لعلّ جسده في عذاب من عذاب الله لا تُدركه أبصارنا ولا اسماعنا ، وإن لله لطفاً لا يُدرَك .

قلت : ما تقول في النبيذ ، حلال ام حرام ؟

قال : حلال .

قلت : اتشربه ؟

قال : ان شربتُه فقد شربه وكيع ، وهو قُدوة .

قلت : اتقتدي بوكيع في تحليله ولا تقتدي بي في تحريمه ، وأنا أسَنُّ منه ؟

قال : إن قول وكيع مع اتفاق اهل البلد عليه أحبُّ اليَّ من قولك مع اختلاف أهل البلدة عليك .

قلت : فما تقول في الغناء ؟

قال : قد غنى البراء بن عازب ، وعبد الله بن رَواحة ، وسمع الغناء عبد الله بن عمر ، وكان عبد الله بن جعفر ...

قلت له : أيْش كان عبد الله بن جعفر ؟

قال : انما سألتني عن الغناء ولم تسألني عن ضرب العيدان .

•

وكان بالبصرة مجنون يأوي الى دكان خياط ، وفي يده قصبة قد جعل في رأسها كُرة ولفّ عليها خرقة ، لئلا يُؤذي بها الناس ، فكان إذا أحرده الصبيان التفت الى الخياط وقال له: قد حَمي الوطيس ، وطاب اللقاء ، فما ترى ؟

فيقول : شأنك بهم .

فيشدُّ عليهم ، ويقول :

أشدُّ على الكتيبة لا أبالي ، أحَتفي كان فيها ام سواها[1]

فاذا أدرك منهم صبياً رمى بنفسه الى الارض وأبدى له عورته ، فيتركه وينصرف ويقول : عورة المؤمن حمى ، ولولا ذلك لَتلفت نفس عمرو بن العاص يوم صِفّين. ثم يقول وينادي:

أنا الرجل الضّرب، الذي تَعرفونني،
خَشاش كرأس الحيّة المُتوقّدِ[2]

---

١ البيت لعباس بن مرداس .
٢ البيت لطرفة من معلقته .

ثم يرجع الى دكان الخياط ، ويلقي العَصا من يده ويقول :

فألقت عصاها ، واستقرّ بها النوى ،
كما قَرّ عيناً بالاياب المسافرُ

•

وكان بالبصرة رجل من التجار يكنى أبا سعيد ، وكانت له جارية تدعى خيزُران ، وكان بها كلِفاً ، فمر يوماً بعلّيّان ، وقد أحاط به الناس ، فقالوا له : هذا ابو سعيد صاحب خيزران .

فناداه : ابا سعيد .

قال : نعم .

قال : اتحب خيزران ؟

قال : نعم .

قال : وتحبك ؟

قال : نعم .

فأنشأ يقول :

نُبِّئتها عشِقت حُشّاً ، فقلت لهم :
ما يَعشق الحُشَّ الا كلُّ كنّاس[1]

---

١ الحش : الكنيف .

فضحك الناس من أبي سعيد ومضى .

•

ومرّ ابن ابي الزرقاء صاحب شُرطة ابن ابي هُبيرة بصباح الموسوس فقال له : يا ابن أبي الزرقاء ، أسمنتَ برذونك وأهزلت دينك ، أما والله إن امامك عقبة لا يجاوزها إلا المُخِفّ .

فوقف ابن أبي الزّرقاء . فقيل له : هو صباح الموسوس .

قال : ما هذا بموسوس .

•

وقال إبراهيم الشيباني : مررتُ ببهلول المَجنون وهو يأكل خَبيصاً ، فقلت : أطعمني .

قال : ليس هو لي ، إنما هو لعاتكة بنت الخليفة بعثتْه إليّ لآكله لها .

وكان بهلول هذا يتشيّع . فقيل له : اشتم فاطمة وأعطيك درهماً .

فقال : بل أشتم عائشة وأعطني نصف درهم .

•

وقال ابن عبد الملك : يُعرف حُمق الرجل في أربع :

لحيته ، وشناعة كُنيته ، وإفراط شهوته، ونقش خاتمه . فدخل عليه شيخ طويل العثنون فقال : أمّا هذا فقد أتاكم بواحدة ، فانظروا اين هو من الثلاث . فقيل له : ما كنيتك ؟

قال : أبو اليافوت .

قيل : فنقش خاتمك ؟

قال : « وتفقّد الطيرَ فقال ما لِيَ لا أرى الهُدهد . »

قيل : أي الطعام تشتهي ؟

قال : خلنجبين[١] .

•

وسمع عمر بن عبد العزيز رجلًا ينادي : يا أبا العُمرَين ، فقال : لو كان عاقلًا لكفاه أحدُهما .

•

وقيل لداود المُصاب في مُصيبـة نزلت به : لا تتهم الله في قضائه . قال : أقول لك شيئاً على الأمانة ؟ قال : قل . قال: والله ما بي غيره .

•

ودخل أبو عتّاب على عمرو بن هَـدّاب وقد كفّ بصره

---

١ خلنجبين : لفظة غير عربية يجب ان تكون اسماً لطعام ، ولم نجدها فيا لدينا من المعاجم .

والناس يعزّونه ، فقال له : أبا يزيد ، لا يسؤك فقدهما فإنك لو دريت بثوابهما تمنّيت ان الله قطع يديك ورجليك ودق عنقك .

ودخل على قوم يعود مريضاً لهم فبدأ يعزيهم . قالوا : إنه لم يمت . فخرج وهو يقول : يموت إن شاء الله ، يموت إن شاء الله .

•

ووقع بين أبي عتاب وبين ابنه كلام ، قال : لولا أنك أبي وأنك أسنّ مني لعرفت .

•

عن نافع قال : كان الغاضري من احمق الناس . فقيل له : ما رأيت من حمقه ؟ فسكت . فلما أكثر عليه قال : قال لي مرة : البحر مَن حَفره ؟ وأين ترابه الذي خرج منه ؟ وهل يقدر الأمير أن يحفر مثلَه في ثلاثة أيام ؟

•

ودخل رجل من الشوكى على الشّعبي وهو جالس مع امرأته ، فقال : أيكما الشّعبي ؟

فقال : هذه .

فقال : ما تقول أصلحك الله في رجل شتمني أولَ يوم من رمضان ، هل يؤجَر ؟

قال : إن كان قال لك : يا أحمق ، فإني أرجو له .

•

وسأل رجل آخَر الشعبي فقال : مـا تقول في رجل أدخل أصبعه في الصلاة في أنفه فخرج عليها دم ، أترى له أن يحتجم ؟

فقال الشعبي : الحمد لله الذي نَقلنا من الفقه إلى الحِجامة .

وقال له آخر : كيف كانت تُسمّى امرأة إبليس ؟

قال : ذاك نِكاح ما شهدناه .

•

العُتْبي قال : سمعتُ أبا عبد الرحمن بِشراً يقول : كان في زمن المهديّ رجل صوفيّ ، وكان عاقلاً عالماً ورعاً ، فتحمّق ليجدَ السبيل إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكان يركب قَصبةً في كل جمعة يومين : الاثنين والخميس ، فإذا ركب في هذين اليومين فليس لمعلّم على صِبيانه حُكم ولا طاعة. فيخرج ويخرج معه الرجال والنساء والصبيان ، فيصعد تلاً وينادي بأعلى صوته : ما فعل النبيون والمرسلون ، أليسوا في أعلى علّيّين ؟

فيقولون : نعم .

قال : هاتوا أبا بكر الصديق .

فأخذ غلامٌ فأجلس بين يديه . فيقول : جزاك الله خيراً أبا بكر عن الرعيّة . فقد عدلت وقمت بالقسط وخلَفت محمداً عليه الصلاة والسلام ، فأحسنتَ الخلافة ، ووصلت حَبل الدين بعد حَلّ وتنازع ، ونزعت فيه إلى أوثق عُروة وأحسن ثقة ، اذهبوا به إلى أعلى عليين .

ثم ينادي : هاتوا عمر . فأجلس بين يديه غلام . فقال : جزاك الله خيراً أبا حفص عن الاسلام ، قد فتحت الفُتوح ، ووسّعت الفيء ، وسلكت سبيلَ الصالحين ، وعدلت في الرعية ، وقسمت بالسوية ، اذهبوا به الى أعلى عليين بحذاء أبي بكر .

ثم يقول : هاتوا عثمان . فأتي بغلام فأجلس بين يديه . فيقول له : خلطت في تلك السّت سنين ، ولكن الله تعالى يقول : « خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً عسى الله أن يتوب عليهم » وعسى من الله موجبة . ثم يقول : اذهبوا به الى صاحبيه في أعلى عليين .

ثم يقول : هاتوا عليّ بن أبي طالب . فأجلس غلام بين يديه . فيقول : جزاك الله عن الأمة خيراً أبا الحسن ، فأنت الوصي وليّ النبيّ ، بسطت العدل وزهدت في الدنيا ، واعتزلت الفيء ، فلم تخمش فيه بناب ولا ظفر ، وأنت أبو الذريّة

المباركة وزوج الزكية الطاهرة ، اذهبوا به إلى أعلى عليين من الفردوس .

ثم يقول : هاتوا معاوية . فأجلس بين يديه صبي . فقال له : أنت القاتل عمّار بن ياسر ، وخُزيمة بن ثابت ذا الشهادتين ، وحجر بن الأدبر الكندي الذي أخلقت وجهه العبادة ، وأنت الذي جعل الخلافة ملكاً ، واستأثر بالفيء ، وحكم بالهوى ، واستنصر بالظَّلَمة ، وأنت أوّلُ من غيّر سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونقض أحكامه ، وقام بالبغي . اذهبوا به فأوقفوه مع الظَّلَمَة .

ثم قال : هاتوا يزيد . فأجلس بين يديه غلام . فقال له : يا فوّاد ، أنت الذي قتلت أهل الحرّة ، وأبحت المدينة ثلاثة أيام ، وانتهكت حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وآويت المُلحدين ، وبؤت باللعنة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتمثّلت بشعر الجاهلية :

ليت أشياخي ببدرٍ شَهدوا
جَزَعَ الخزرج من وقع الأسَل[1]

وقتلت حُسيناً ، وحملت بنات رسول الله صلى الله عليه

---

١ البيت لعبد الله بن الزبعرى .

وسلم سبايا على حقائب الإبل . اذهبوا به الى الدرك الأسفل من النار .

ولا يزال يذكر والياً بعد والٍ حتى بلغ الى عمر بن عبد العزيز فقال : هاتوا عمر . فأتي بغلام ، فأجلس بين يديه ، فقال : جزاك الله يا عمر خيراً عن الإسلام ، فقد أحييت العدل بعد موته ، وألنت القلوب القاسية ، وقام بك عمود الدين على ساق ، بعد شقاق ونفاق . اذهبوا به فألحقوه بالصديقين .

ثم ذكر من كان بعده من الخلفاء الى أن بلغ دولة بني العباس ، فسكت فقيل له : هذا أبو العباس أمير المؤمنين .

قال : بلغ أمرنا إلى بني هاشم ، ارفعوا حساب هؤلاء جملة واقذفوا بهم في النار جميعاً .

•

ومن مجانين الكوفة : عيناوة وطاق البصل . قيل لعيناوة : من أحسن ، أنت أو طاق البصل ؟ قال : أنا شيء وطاق البصل شيء .

وكان طاق البصل يغني بقيراط ويسكت بدانق . وكان عيناوة جيّد القفا ، فربما مرّ به من يعبث فيصفعه ، فحشا قفاه قذَراً ، وقعد على قارعة . فإذا صفعه أحد قال : شم يدك يا

فتى ، فلم يصفعه أحد بعد ذلك .

•

ووعد رجل رجلاً من الحَمقى أن يهدي له نعلاً حضرميّة ، فطال عليه انتظارها ، فبال في قارورة وأتى الطبيبَ وقال : انظر في هذا الماء إن كان يهدي إليّ بعض إخواني نعلاً حضرمية .

•

وكان بالكوفة امرأة حمقاء يقال لها مجيبة ، فقفد[1] عيناوةً فتًى كانت أرضعته مجيبة ، فقال له لمّا وجده : كيف لا تكون أرعن ومجيبة أرضعتك ؟ فوالله لقد زقّت لي فرخاً فما زلت أرى الرعونة في طيرانه .

•

ومن المجانين هَبَنّقة القيسي ، وجَرَنْفش السدوسي ، واسم هبَنّقة يزيد بن ثروان ، وكُنيته أبو نافع ، وكان يحسن من إبله إلى السّمان ويُسيء الى المَهازيل . فسئل عن ذلك فقال : أمَا أكرِمُ ما أكرَمَ الله وأهين ما أهان الله !

وشرد بعير له فجعل بعيرين لمن دلّ عليه ، فقيل له : أتجعل بعيرين في بعير ؟

قال : انكم لا تعرفون فرحة من وجد ضالّته .

---

١ قفده : صفع قفاه ببطن كفه .

وافترس الذئب له شاة ، فقال لرجل : خلّصها من الذئب وخُذها ، فإن فعلت فأنت والذئب واحد.

وسام رجلٌ هَبَنَّقة بشاةٍ ، فقال : اشتريتها بستة ، وهي خير من سبعة ، وأعطيت فيها ثمانية وإن أردتها بتسعة وإلا فزِن عشرة .

•

وكان باقل الذي يُضرب به المثل في العيّ اشترى شاة بأحد عشر درهماً ، فسئل : بكم اشتريت الشاة ؟ ففتح يديه جميعاً وأشار بأصابعه وأخرج لسانه ، ليتم العدد أحد عشر .

•

ولـمّا قرّب الفرزدق رأس بغلته من الماء قال له الجرنفش : نحّ رأس بغلتك حلق الله شأفتك .

قال : لماذا عافاك الله ؟

قال له : لأنك كـــذوب الحجرة[1] . فصاح الفرزدق : يا بني سدوس .

فاجتمعوا إليه . فقال : سوّدوا الجرنفش عليكم ، فمـــا رأيت فيكم أعقل منه .

قال الأصمعي : سوبق بين الجرنفش وهبنّقـة أيهما أجن

---

[1] لعل صوابها الحنجرة .

وأحمق. فجاء الجرنفش بحجارة خِفاف من جص ، وجاء هبنقة بحجارة ثقال وتُرس ، فبدأ الجرنفش ، فقبض على حجر ، ثم قال : درّي عقاب ، بلبن وأشخاب[١] . ثم رفع صوته وقال : الترس . فرمى الترس فأصابه ، فانهزم هبنّقة ، فقيل له : لِمَ انهزمت ؟ فقال : إنه قال : الترس ، فرمى الترس فلم يخطئه ، فلو أنه قال العين ورماها ، أما كان يصيب عيني ؟

•

وتبع داود بن المُعتمر امرأة ظنها من الفواسد ، فقال لها : لولا ما رأيت عليك من سيما الخير ما تبعتُك .

فضحكت المرأة وقالت : إنما يعتصم مثلي من مثلك بسيما الخير ، فأما إذْ صارت سيما الخير من سيما الشر فالله المستعان .

•

قالت أم غزوان الرقاشي لابنها ، وهو يقرأ في المصحف : يا غزوان ، لعلك تجد في هذا المصحف حماراً كان أبوك في الجاهليّة فقده .

فقال : يا أماه ، بل أجد فيه وعداً حسناً ووعيداً شديداً .

---

١ عقاب : لعله اسم ناقة . الأشخاب ، الواحد شخب بالفتح : الدم .

قال أبو دُحية القاصّ : ليس فيّ خير ولا فيكم . فتبلغوا بي حتى تجدوا خيراً مني .

وقال في قصصه يوماً : كان اسم الذئب الذي أكل يوسف هملاج .

قالوا : إن يوسف لم يأكله الذئب .

قال : فهذا اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف .

•

وقال ثمامة بن أشرس : سمعت قاصّاً ببغداد يقول : اللهم ارزقني الشهادة أنا وجميع المسلمين . ووقع الذباب على وجهه فقال : ما لكم كثّر الله بكم القبور .

•

قال : ورأيت قاصّاً يحدث الناس بقتل حمزة فقال : ولما بقرت هند عن كبد حمزة استخرجتها فعضّتها ولاكتها ولم تَزْدردها . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لو ازدردتها ما مسّتها النار . ثم رفع القاص يديه إلى السماء وقال : اللهم أطعمنا من كبد حمزة .

باب نوكى الاشراف

من النَّوكَى المتقدمين: مالك بن زيد مناة بن تميم ، دخل على امرأته ناجية مغضباً ، فلما رأت ما به من الجهل والجفاء قالت له : ضع شَملتك .

قال : جسدي احفظ لها .

قالت : اخلع نعليك .

قال : رجلاي أحق بهما .

فلما رأت ذلك قامت وجلست إليه. فلما شم رائحة الطيب وثب عليها .

•

ومن النَّوكى عجل بن لُجيم. قال أبو عُبيدة: أرسل ابنٌ لعجل بن لُجيم فرساً في حلبة فجاء سابقاً ، فقال لأبيه : كيف ترى أن أسميه يا أبت ؟

قال : افقأ احدى عينيه وسمّه الأعور .

قال الشاعر :

رمتني بنو عِجلٍ بداء أبيهمُ ،
وأيّ عباد الله أنوكُ من عجل؟

أليس أبوهم عارَ عَينَ جواده ،
فأضحت به الامثال تُضرب في الجهل

ومن بني عجل دُغة التي يُضرب بها المثل في الحمق .

•

ومن نوكى الأشراف : عبيد الله بن مروان ، عمّ الوليد بن عبد الملك . بعث إلى الوليد قطيفة حمراء ، وكتب إليه : إني قد بعثت إليك قطيفة حمراء حمراء ، فكتب إليه : قد وصلت القطيفة ، وأنت والله يا عم أحمق أحمق .

•

ومنهم معاوية بن مروان ، وقف على باب طحّان ، فرأى حماراً يدور بالرحى في عُنقه جلجل ، فقال للطحان : لِمَ جعلت الجلجل في عُنق الحمار ؟

قال : ربما ادركتني سآمة أو نُعاس ، فإذا لم أسمع الجلجل علمت أنه واقف فصحتُ به فانبعث .

قال: أفرأيتَ إن وقف وَحرّك رأسه بالجلجل وقال هكذا وهكذا ــ وحرك رأسه .

فقال له : وَمن لي بحمار يكون عقلُه مثل عقل الأمير ؟ وهو القائل ، وضاع له بازي : أغلقوا أبواب المدينـة حتى لا يخرج البازي .

وأقبل إليه قومٌ من جيرانه فقالوا : مات جارك أبو فلان ، فمُر له بكفن . فقال : ما عندنا اليوم شيء ولكن عودوا إلينا إذا نُبش .

وأقبل إليه رجل أحمق منه ، فقال له : تُعيرنا أصلحك الله ثوباً نكفن فيه ميتاً ؟ قال : أخشى أن ينجّسه فلا تُلبسه إياه حتى يُغسّل ويطهّر .

•

ومن النوكى الأشراف : عُيينة بن حصن، دخل على عثمان بغير إذن ، وكانت عنده ابنته ، فقال له عثمان : ألا استأذنت؟

قال : ما ظننت أنّ هنا من أحتاج أن أستأذن عليه .

قال : ادْنُ فتعشّ .

فقال : أنا صائم .

قال : تصوم الليل وتفطر النهار .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يُسميه السفيه المُطاع .

•

ومن حمقى قُريش: أبان بن عثمان بن عفان . قال الشعبي : قدم أبان على معاوية . فقال : أمير المؤمنين ، زوجني ابنتك .

قال : يا ابن أخي هما اثنتان ، إحداهما عند ابن عامر والأخرى عند أخيك عمرو .

قال : كنت أظن أنّ لك ثالثة .

قال : يا ابن اخي ، تخطب إليّ ولا تدري لي بنت أم لا ! رحم الله أباك .

•

وكان الربيع العامري والياً باليمامة ، فأتي بكلب قد عقر كلباً فأقاده فقال فيه الشاعر :

شهدتُ بأنَّ الله حقّاً لقاؤه ،
وأنَّ الربيعَ العامريَّ رقيعُ

أقاد لنا كلباً بكَلب ، فلم يَدع
دماء كِلاب المُسلمين تَضيع

•

وقال عَوانة : استعمل معاويةُ رجلاً من كَلب ، فذكر يوماً المجوس وعنده الناس . فقال : لعن الله المجوس ينكحون[1] ٩
أمهاتهم ، والله لو أعطيتُ مائة ألف درهم ما نكحتُ أمي .

•

وكان بالبصرة ثلاثة إخوة من بني عتّاب بن أُسيد ، كان أحدهم يحُج عن حمزة ويقول : استشهدَ قبل أن يحج . وكان

---

١ ينكحون : يتزوجون .

الآخر يضحي عن أبي بكر وعمر ، ويقول : اخطأ السنّة في ترك الأضحية . وكان الثالث يفطر أيام التشريق عن عائشة ، ويقول : غلطت رحمها الله في صَومها أيام التشريق .

•

ولعب رجلٌ من النوكى بين يدي الرشيد بالشطرنج . فلما رآه وقد استجاد لعبه قال له : يا أمير المؤمنين ، ولّني نهر بوق .

فقال له : ويلك أوليك نصفه . اكتبوا عهده على بوق .

قال : فولّني أرمينية .

قال : إذاً يُبطىء على أمير المؤمنين خبرك .

•

أهل العي والجهل المشبهون بالمجانين

خطب وكيع بن أبي سُود وهو والي خراسان فقال في خُطبته : إن الله خلق السموات والارض في ستة اشهر . فقالوا له : بل في ستة أيام . فقال : والله لقد قلتها وأنا أستقلّها .

•

وخطب علي بن زياد الايادي فقال في خُطبته : أقول لكم ما قال العبد الصالح لقومه: « ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد . » فقالوا له : إن هذا ليس من قول العبد الصالح إنما هو من قول فرعون . فقال : من قاله فقد أحسن .

•

وخطب عتّاب بن ورقاء الرياحي فقال : أقول لكم كما قال الله في كتابه :

كُتب القتلُ والقتال علينا ،
وعلى الغانيات جرّ الذُيول[1]

•

---

١ البيت لعمر بن ابي ربيعة .

وخطب والٍ باليمامة فقال في خطبته : إن الله تبارك وتعالى لا يعاون عباده على المعاصي . وقد أهلك أمة عظيمة على ناقة ما كانت تساوي مائتي درهم ، فسُمِّي مقوّم الناقة .

•

وبكى حولَ بن سنان أولادُه وأهلُه حين ودَّعوه وهو يريد مكة حاجّاً ، فقال : لا تبكوا فإني أرجو أن أضحي عندكم .

•

ودخل قوم دار كَرْدم السدوسي فقالوا له : أين القِبلة في دارك هذه ؟ فقال : إنما سكنّاها منذ ستة أشهر .

ودخل كَرْدم السدوسي على رجل فدعاه إلى الغداء فقال : قد أكلت . قال : وما أكلت ؟ قال : قليل أرز فأكثرت منه .

•

وقيل لأبي عبد الملك عناق : بأي شيء تزعمون أن أبا علي الأسواري أفضل من سلاّم بن سليمان أبي المنذر ؟

قال : لأنه لما مات سلاّم بن سليمان أبو المنذر مشى أبو علي في جنازته ، فلما مات أبو علي لم يمشِ سلاّم في جنازته .

•

ومرض كَردم فقال له عمه : أي شيء تشتهي ؟ فقال : رأس كبشين . قال : لا يكون. قال : فرأسَي كبش. قال :

لا يكون . فقال : لست أشتهي شيئاً .

•

وقال مسعدة بن طارق الذرّاع : إنا لوقوف على حدود دار نقسمها إذ أقبل عِيص، سيد بني تميم والمصلّي على جنائزهم، ونحن في خصومة لنصلح بينهم، فقال : خبروني عن هذه الدار، هل ضَم بعضَها إلى بعض أحد ؟ فأنا منذ ستين سنة أفكر في كلامه فما أدرك له معنى ولا مجازاً .

•

وأقبل كردم الذرّاع إلى قوم ليكسر لهم دوراً ، فوجد داراً منها فيها َزنَقَة[1] . فقال : ليست هذه الدار لكم .

فقالوا : بلى والله ما نازعنا أحد قطّ فيها .

قال : فليست الزّنقة لكم .

قالوا : فكسّر ما صح عندك أنه لنا ودَع الزّنقة .

فكسر صحن الدار . فقال : عشرون في عشرين مائتان .

قالوا: مِن هذا المعنى لم تكن الزّنَقة عندك لنا؛ إذ عشرون في عشرين مائتان .

•

---

١ الزنقة : السكة الضيقة فيها التواء .

وسُئل آخر كان ينظر في الفرائض عن فريضة لم يعرفها ، فالتمسها في كتابه فلم يجدها . فقال : لم يمت هذا الرجل بعد ، ولو مات لوجدت فريضته في كتابي .

•

وعزّى قوماً فقال : آجركم الله وأعظم أجوركم وأجَرَكم . فقيل له في ذلك ، فقال : مثل قول مروان بن الحكم : بارك الله فيكم وبارك لكم وبارك عليكم .

•

وكان أبو إدريس السمان يكتب : فلا أصحبك الله إلاّ بالعافية ، ولا حيّا وجهك إلاّ بالكرامة .

•

قال ثمامة بن أشرس للمأمون : مررت في غبّ مطر والأرض ندية والسماء مغيمة والريح شمال ، وإذا بشخص أصفر كأنه جرادة ، وقد قعد على قارعة الطريق ، وحجّام يحجمه على كاهله وأخدعيه بمحاجم كأنها قعاب ، وقد مصّ دمه حتى كاد يستفرغه ، فقلت : يا شيخ ، لمَ تحتجم في هذا البرد ؟ قال : لهذا الصُّفار الذي بي .

•

وقيل لأبي عتّاب : كيف برّك بأمك ؟ قال : والله ما قرعتها بسوط قطّ .

النوكى من نساء الاشراف

دُغَة العجليّة ، وجهيزة ، وشَولة ، ودُراعة ، وسارية الليل ، ورَيطة بنت كعب ، وهي التي نقضت غزلها أنكاثاً[1] . وفيها يقال في المثل : « خرقاء وجدت صوفة . »

•

وقال عمرو بن عثمان : شيعت القاضي عبد العزيز بن المطلب المخزومي قاضي مكة إلى منزله وبباب المسجد حمقاء تصفّق بيديها وتقول :

أرّق عينيّ ضُراطُ القاضي .

فقال لي : يا أبا حفص ، أتراها تعني قاضي مكة ؟

•

وقد يأتي لهؤلاء المجانين كلامٌ نادر محكم لا يُسمع بمثله ، كما قالوا : ربّ رمية من غير رامٍ .

•

---

١ الانكاث ، الواحد نكث : ما نقض ، اي حلّ ، من الاكسية والاخبية ليغزل ثانية .

قيل لدُغة : أيُّ بنيك أحبُّ اليك ؟ قالت : الصغير حتى يكبر ، والمريض حتى يُفيق ، والغائب حتى يرجع .

•

ومن أخبار أهل العيّ المُشبهين بالمجانين : دخل أبو طالب صاحب الطعام على هاشمية جارية حَمدونة بنت الرشيد ليشتري طعاماً من طعامهم ، فقال لها : قد رأيت مَتاعك وقلّبته .

قالت له : هلاّ قلت طعامك يا أبا طالب ؟

قال : وقد أدخلت يدي فيه فوجدته قد حَمي وصار مثل الجيفة .

قالت : يا أبا طالب ، ألستَ قد قلّبت الشعير ، فأعطِنا به ما شئت وإن كان فاسداً .

•

قال الأصمعيّ : كان بين رجلين من النَّوكى عبدٌ فقام أحدهما يضربه ، فقال له شريكه : ما تصنع؟ قال : أنا أضرب نصيبي منه . قال : وأنا أضرب حصتي فيه ، وقام فضربه . فكان من رأي العبد أن سلح عليهما ، وقال : اقتسما هذه على قدر الحصص .

•

ومرّ بعضُهم بامرأة قاعدة على قبر وهي تبكي ، فقال لها :

ما هذا الميت منك ؟ قالت : زوجي . قال : وما كان عمله ؟ قالت : كان يحفر القبور . قال : أبعدَه الله ، أما علم أنه مَن حفر حُفرة وقع فيها ؟

•

وطلب رجلٌ من الشوكي من ثمامة بن أشرس أن يُسلِفه مالاً ويؤخرَه به . فقال : هاتان حاجتان وأنا أقضي لك إحداهما . قال : رضيت . قال : أنا أؤخرُكَ ما شئتَ ولا أسلِفُك .

•

وكان أبو رافع مولى رسول الله صلّى الله عليه وسلم — وآل أبي رافع من فُضلاء أهل المدينة وخيارهم، مع بَلَه فيهم وعيّ شديد — فمن ذلك أن امرأة أبي رافع رأته في نومها بعد موته ، فقال لها : أتعرفين فلاناً الصَّيرفي ؟

قالت له : نعم .

قال : فإنّ لي عليه مائتي دينار .

فلما انتبهت من نومها غدت إلى الصيرفي فأخبرته الخبر وسألته عن المائتي دينار .

فقال : رحم الله أبا رافع ، والله ما جرت بيني وبينه مُعاملة قطّ .

فأقبلتْ إلى مسجد المدينة ، فوجدت مشايخَ من آل أبي

رافع كلهم مقبولُ القول، جائزُ الشهادةِ، فقصّت عليهم الرؤيا، وأخبرتهم خبرَها مع الصيرفي وإنكارَه لِما ادعاه أبو رافع.

قالوا: ما كان أبو رافع ليكذبَ في نوم ولا يقظة، قومي بصاحبك إلى السلطان ونحن نشهد لك عليه.

فلما رأى الصيرفيّ عزمَ القوم على الشهادة لها وعلم أنهم إن شهدوا عليه لم يبرحْ حتى يؤدّيها، قال لهم: إن رأيتم أن تُصلحوا بيني وبين هذه المرأة على ما ترونه فافعلوا.

قالوا: نَعم والصلحُ خَيرٌ، ونِعم الصلحُ الشّطرُ، فأدّ إليها مائة دينار من المائتين.

فقال لهم: أفعل، ولكن اكتبوا بيني وبينها كتاباً يكون وثيقة لي.

قالوا: وكيف تكون هذه الوثيقة؟

قال: تكتبون لي عليها أنها قبَضت مني مائةَ دينار صُلحاً على المائتي دينار التي ادعاها أبو رافع عليّ في نومها، وأنها قد أبرأتني منها وشرَطتْ على نفسِها ألا ترى أبا رافع في نومها مرة أخرى، فيدّعيَ عليّ بغير هذه المائتين، فتجيءَ بفلان وفلان يَشهدان عليّ لها.

فلما سمعوا الوثيقة فطَن القومُ لأنفسهم، وقالوا: قَبحك

الله وقَبح ما جئت به .

•

ومنهم عامرُ بنُ عبد الله بن الزبير ، أُتي بعطائه وهو في المسجد ، فقام ونسيه في موضعه ، فلما صار إلى بيته ذكَره ، فقال : يا غلام ، ائتني بعطائي الذي نسيتُ في المسجد .

قال : وأين يوجد ، وقد دخل المسجد بعدك جماعة ؟

قال : وبقي أحد يأخذ ما ليس له ؟

وسُرقت نعلُه مرةً فلم يلبس نعلاً بعدَها حتى مات، وقال: أكره أن أتخذ نعلاً فيجيءَ مَن يسرقها فيأثمَ .

وفي هذا الضرب يقول أبو أيوب السختياني: في أصحابي من أرجو بركته ودُعاءه ، ولا أقبل شهادته .

•

قال الأصمعيّ: كان الشعبيّ يحدّثُ أنه كان في بني اسرائيل عابدٌ جاهل قد ترهّب في صومعته ، وله حمار يَرعى حول الصّومعة ، فاطّلع عليه من الصّومعة فرآه يرعى ، فرفع يديه إلى السماء ، فقال: يا ربّ ، لو كان لك حمار كنت أرعيه مع حماري ، وما كان يشُقّ عليّ .

فهمّ به نبيٌّ كان فيهم في ذلك الزمان ، فأوحى الله إليه أنْ دَعْه ، فإنما أُثيبُ كل إنسان على قدر عقله .

•

هشام بن حسّان قال: أقبل رجل إلى محمد بن سيرين فقال: ما تقول في رؤيا رأيتها ؟

قال : وما رأيت ؟

قال : كنت أرى أنّ لي غنماً ، فكنت أعطَى بها ثمانيةَ دراهم ، فأبَيتُ من البيع ، ففتحتُ عينيّ فلم أر شيئاً ، فأغلقتُهما ومددت يدي ، وقلت : هاتوا أربعة ، فلم أُعطَ شيئاً .

فقال له ابنُ سيرين : لعلّ القومَ اطلعـوا على عَيب في الغنم فكرِهوها .

قال : يمكن الذي ذكرت .

●

شعراء المجانين

منهم أبو ياسين الحاسب ، وجُعيفرانُ ، وجَرنفش ، وأبو حية النميري ، وريسيموس ، وصالحُ بن شيرزاذ الكاتبُ .

وكان أبو حية أجنَّ الناس وأشعرَ الناس ، وهو القائل :

ألا حَيِّ أطلال الرسوم البواليا ،
لَبِسْنَ البِلى مما لبِسن اللياليا

إذا ما تقاضى المرءَ يومٌ وليلةٌ ،
تقاضاه أمرٌ لا يَمَلُّ التقاضيا

وهو القائل أيضاً :

فلأبعثنَّ مع الرياح قصيدةً
مني ، مغلغلةً إلى القَعْقاعِ

تَرِدُ المناهلَ ، لا تزال غريبةً ،
في القوم ، بين تمثّعٍ وسَماعِ[1]

---

[1] يروى هذان البيتان من قصيدة للمسيَّب بن علس .

وهو القائل أيضاً :

فأبدتْ قِناعاً دونَه الشمسُ، واتّقت
بأحسن مَوصولين كفٍّ ومعصمِ

•

وأمّا جعيفران الموسوس الشاعر ، وهو من مجانين الكوفة ، فإنه لقي رجلاً فأعطاه درهماً وقال له : قُل شعراً على الجيم . فقال :

عادني الهمّ ، فاعتلجْ ، كلُّ همٍّ الى فَرَجْ
سَلّ عنك الهُمومَ بالـ كأسِ والراحِ تنفرجْ

وهو القائل :

مـا جعفرٌ لأبيهِ ، ولا له بشبيـهِ
أضحى لقومٍ كثيرٍ ، فكلُّهم يَدّعيـه
هـذا يقولُ بُنَيّـي وذا يُخاصم فيـه
والأم تَضحك منهم ، لعِلمها بأبيـه

قال أبو الحسن : استأذن جُعيفرانُ على بعض الملوك فأذن له ، وحضر غداؤه ، فتغدّى معه ، فلمّا كان من الغد استأذن فحجَبه ، ثم أتاه في الثالثة فحجبه . فنادى بأعلى صوته :

عليكِ إذنْ ، فإنّا قد تغدّينا ،
لسنا نعودُ ، وإن عُدنا تعدّينا

يا أكلةً ذهبت أبقتْ حرارتُها
داءً بقلبك ، ما صمنا وصلّينا

•

العُتْبيّ قال : قال أبو وائل لأبي : إنّ فيّ حماقةً ، ولكنْ إن طلبتَ الشعر وجدتَ عندي منه علماً .

قال : وهل تقول منه شيئاً ؟

قال : نعم ، أقول أجود من قولك ، وأنا الذي أقول :

لو أنّ جُومِل كلّمتني بعدما
نسيتْ نواحِيَ البكاءَ ، وأقبرُ

لحسبتُ ميْتَ أعظُمي سيُجيبها ،
أو أنّ باليها الرميمَ سيُنْشَرُ

قال له أبي : أمّا الشعر فحَسن إلاّ أنّ اسم المرأة قبيح .

قال : ألا إن اسم المرأة جُمل ، ولكنني ملّحتُه بجُومِل .

فقال له : إنّ هذا من الحماقة التي بُرِىء إلينا منها .

قال العتبي : قال أبي : وأنشدني أبو وائل :

ما أوجعَ البينَ من غَريبٍ ؛
فكيف إن كان من حبيبِ

يـكاد من شوقـه فؤادي ،
إذا تذكَّرتُه ، يمـــوت

فقال له أبي : إنّ هذا باء وهذا تاء .
قال : لا تَنْقط أنت شيئاً .
قلت : يا هذا ، ان البيت الأول مخفوض وهذا مرفوع .
قال : أنا أقول لا تنقط وهو يشكل .

•

ولمّا تُوفيت أم سليمان بنِ وهب الكاتب ، أخي الحسن بن وهب ، دخل عليه رجلٌ من نَوكى الكتّاب يسمّى صالح بن شيرزاد ، بشعرٍ يرثيها فيه ، فأنشده :

لأمّ سليـمان علينـا مصيبةٌ ،
مغلغلةٌ مثلَ الحسامِ البَواترِ

وكنتِ سراجَ البيتِ يا أمّ سالم ،
فأمسى سراجُ البيتِ وسطَ المقابرِ

فقال سليمان : ما نزل بأحد من خَلق الله ما نزل بي، ماتت أمي ورُثيت بمثل هذا الشعر، ونُقل اسمي من سليمان الى سالم .

•

ومن قول صالح بن شيرزاذ هذا :

لا تعدلنّ دواء بالفُساء ، فإنْ
كان الضُراط ، فذاك الآذرِيطوس[1]

•

ودخل بعضُ شعراء المجانين على ابي الواسع ، وحوله بنوه ، فاستأذنه في الإنشاد فاستعفى . فلم يزل به حتى أذِن له. فأنشده شعراً ، فلمّا انتهى فيه الى قوله :

وكيف تُنفى، وأنت اليوم رأسُهم ،
وحولَك الغرُّ من أبنائِك الصِّيدُ[1]

قال له : ليتكَ تركتنا رأساً برأس .

•

وقيل : وَفد أعرابيّ من شُعراء المجانين إلى نصر بن سيّار

---

١ الآذريطوس : دواء ، ولفظه يوناني معرب .

بشعر تغزّل فيه بمائة بيت ومدحه ببيتين ، فقال له : والله ما تركتَ قافيةً لطيفة ولا معنى إلاّ شغلت به نسيبك دون مدحك . قال : سأقول غيرَ هذا . فغدا عليه بشعر يقول فيه :

هل تَعرفُ الدارَ لأمّ الغمرِ ؟
دعْ ذا ، وحبّر مِدْحةً في نَصرِ

فقال له نصر : لا ذا ولا ذاك .

•

وقال بعضُ العلماء : ما شبّهتُ تأويل الرافضة في قبح مذهبهم إلاّ بتأويل رجل من المجانين مجانين أهل مكة في الشعر ، فإنه قال : ما سمعت بأكذب من بني تميم ، زعموا أن قول القائل :

بيتٌ زُرارة محتبٍ بفِنائه ، ومجاشعٌ ،وأبو الفوارس نَهْشَلُ

فزعموا أنّ هذه أسماء رجال منهم .

قال بعض أهل الأدب : قلت له : وما عندك أنت فيه ؟

قال : البيتُ بيتُ الله ، والزُّرارةُ الحجر زُرّرت حول البيت ، ومُجاشع زمزم تجشّعت بالماء ، وأبو الفوارس هو أبو قُبَيس جبل مكة .

قلت له : فنهشل ؟

قال : نهشل ؟ وفكّر فيه ساعة ، ثم قال : قد أصبته ، هو مصباح الكعبة طويل أسود ، فذاك النهشل .

•

قال المُبرد محمد بن يزيد النحوي : خرجنا من بغداد نريد واسطاً ، فملنا الى دير هِزقِل[1] ننظر الى المجانين، فإذا بالمجانين كلهم قد رأونا ، ونظرنا إلى فتى منهم قد غسل ثوبه ونظّفه ، وجلس ناحية عنهم ، فقلنا : إن كان فهذا ، فوقفنا به ، فسلّمنا عليه فلم يردّ السلام ، فقلنا له : ما تجد ؟ فقال :

الله يعلم أنني كَمِدُ ،
لا أستطيعُ أبُثُّ ما أَجِدُ

نفسانِ لي : نفس تضمّنها
بلدٌ ، وأخرى حازها بلدُ

وأرى المقيمةَ ليس ينفعُها
صبرٌ ، وليس يفوقُها جَلَد

وأظنُّ غائبتي ، كشاهدتي ،
بمكانِها تجدُ الذي أجِدُ

---

١ هزقل : تحريف هزقيال : دير بين البصرة وعسكر مكرم كانوا يستشفون فيه من الجنون .

فقلت له : أحسنتَ واللهِ . فأومأ بيده إلى شيء ليرمينا به. وقال : أمِثلي يُقال له أحسنت ؟

قال : فولّينا عنه هاربين . فقال : أسألكم بالله إلاّ ما رجعتم حتى أنشدكم ، فإن أحسنت قلتم لي : أحسنت ، وإن أسأت قلتم لي : أسأت .

قال : فرجعنا ووقفنا ، وقلنا له : قل . فأنشأ يقول :

لمّا أناخوا قُبيل الصُّبح عِيسَهمُ ،
ورحّلوها ، وسارت بالدُّمى الإبلُ[1]

وقلّبتْ ، من خلالِ السّجف ، ناظرها ،
ترنو إليَّ ، ودمع العين ينهملُ

وودّعتْ ببنانٍ ، عَقدُه عَنَمٌ ،
ناديت : لا حَمَلَتْ رِجلاك يا جملُ

وَيْلي من البَين ، ماذا حَلّ بي وبها
من نازل البين ، حلّ البين ، وارتحلوا

---

[1] أناخوا : أبركوا . العيس : كرام الإبل . رحّلوها : صيّروها ترحل . الدمى ، الواحدة دمية : الصورة المزينة فيها حمرة كالدم ، والصنم . وكنى هنا بالدمى عن النساء .

يا راحلَ العِيس ، عَرّج كي نوَدّعهم ؛
يا راحل العيس ، في تَرحالِك الأجل

إني على العهد لم أنقُض مودّتهم ؛
يا ليت شعري لطول العَهدِ ما فَعلوا ؟

قال : فقلنا له : ماتوا . فصاح وقال : وأنا والله أموت. وتربّع وتمدّد ، فمات . فما برحنا حتى دفنّاه .

•

وقال محمد بن يزيد المبرّد : دخلنا دير هِزقل ، فإذا بمجنون بيده حَجر ، وقد تفرّق الناسُ عنه وهو يقول : يا مَعشر إخواني اسمعوا مني . ثم أنشأ يقول :

وذي نَفَس صاعِدٍ ، يئنُّ بلا عائدِ
يكُرُّ على جَحْفلٍ ، ويَضعُفُ عن واحدِ

•

وأنشد أبو العبّاس لماني الموسوسِ :

له وَجنَاتٌ في بَياضٍ وحُمرة ،
فحافاتُها بِيضٌ ، وأوساطها حُمْرُ

رِقاقٌ ، يجول الماءُ فيها ، كأنها
زجاجٌ أجيلت ، في جوانبها ، الخمر

وقال محمد بن يزيد : أصابتنا سَحابـة جَوْد[1] ، ثم أقلعت سريعاً ، فمرَّ بي ماني الموسوس فقال :

لا تظنَّ الذي جرى مطراً ، كان ممطرا
إنما ذاك ، كلّـه ، دَمعُ عيني تحـدَّرا
وتوالت غيومُهـــا ، من هُمومي تفكُّرا
هكذا حالُ من يرى ، من حبيبٍ ، تغيُّـرا

وقف ماني الموسوس على أبي دُلف ، فأنشده :

كَرّاتُ عَيْنِـكَ في العِدى ،
تُغنيـك عن سَلِّ السيوف

فقال أبو دُلف : والله ما مُدحتُ قطُّ بمثل هـذا البيت . وأمر له بعشرة آلاف درهم ، فأبى أن يقبضها وقال : نقنعُ من هذا بنصف درهم في هريسة .

ولماني الموسوس :

مِنَ الظّباءِ ظِباءٌ ، همُّها السَّحَبُ ،
ترعى القلوبَ ، وفي قلبي لها عشُبُ[2]

---

١ الجَود : المطر الغزير .
٢ السحب : الاكثار من الاكل والشرب ، وأصله بسكون الحاء .

أفدي الظِّباءَ اللواتي لا قرونَ لها ،
وحَليُها الدُّرُّ والياقوتُ والذهبُ

يا حُسنَ ما سرقت عيني، وما انتهبتْ ،
والعينُ تَسرقُ ، أحياناً ، وتنتهبُ

فتلك من حسنِ عينيها وهبتُ لها
قلبيَ ، لو قبلت مني الذي أهَبُ

وما أريدُهما إلا لرؤيتها ،
فإن تأبَّتْ ، فما لي فيهما أرب

إذا يدٌ سرقت ، فالحدُّ يقطعُها ،
والحدُّ في سَرَقِ العينين لا يجِب

•

ومرَّ عليّ بن الجهم بمبرسمٍ[1] ، قد اجتمع الناسُ عليه، وتحلّقوا حوله ، فلمّا رآه المُبَرسم قصد نحوه ، وأخذ بعنانه ، ثم أنشأ يقول :

لا تَحفِلنَّ بمعشرِ الهمجِ ، الذين أراهمُ

---

١ المبرسم : من أصيب بالبرسام وهو التهاب يعرض للحجاب الذي بين الكبد والقلب ، وربما كان هذا الالتهاب يحمل صاحبه على الهذيان ، والمعلوم ان الهذيان يكون من العلة الدماغية المسماة برسام .

وحقّ مَن أبلى بهم نفسي ، ومن عافاهمُ
لو قِيس موتاهمْ بهم ، كانوا همُ موتاهمُ

ثم نظر حولَه فرأى غلاماً جميل الهيئة حسن الوجه ، فشقّ ثيابه وقال :

هـذا السعيدُ لديهمُ ، قد صار بي أسقامُ

•

قال أبو البَختري الشاعر : كان يبلغني أن ببغـداد مجنوناً يكنى أبا فحمة ، له بديهة حسنة ، فتعرضت له ، فأتيح لي لقاؤه في بعض سِكك بغداد ، فقلت له : كيف أصبحت أبا فحمة؟

فأنشأ يقول :

أصبحتُ منكَ على شفا جُرُفِ ،
متعرضاً لموارد التَّلفِ[1]

وأراكَ نحوي غيرَ ملتفتٍ ،
متحرّفاً عن غيرِ منحرفِ

---

[1] الشفا : حرف كل شيء . الجرف : الجانب الذي اكله الماء من حاشية النهر ، والمراد انه صار متعرضاً للهلاك .

يا من أطال بهجرِه كَلَفي،
أسفي عليك أشدُّ من كلفي

قال أبو البَحْتري: فأخرجت له قبضةَ نرجِس كانت في كُمي، فحييته بها، فجعل يَشمُّها ملياً، ثم أنشأ يقول:

لمَّا تزوَّجتِ الجَنوبُ بماطلٍ،
جَونٍ، هَتونٍ، زبرجٍ دلاَّحِ[1]

أضحى يلقِّحُها بوَسميِّ الصَّبا،
فاستثقلت حَملاً، بغير نِكاحِ[2]

حتى إذا حان المَخاضُ تفجَّرت،
فأتت بوِلدان، بلا أرواحِ

حاكَ الربيعُ لها ثياباً وَشَّيت
بيد النَّدى، وأنامِلِ الأرواحِ

من أصفرٍ في أزهرٍ، قد زانَه
تِبرٌ على ورقٍ من الأوضاحِ[3]

---

١ الجنوب: ريح الجنوب. الماطل: السحاب الماطر. الجون: الاسود.
هتون: ممطر. الزبرج: السحاب الرقيق فيه حمرة. دلاح: كثير الماء.
٢ الوسمي: مطر الربيع.
٣ الاوضاح: البيض.

رُكبن في عُمُدِ الزَّبَرجَدِ، فاغتدى،
نحوَ الغزالةِ ، ناظِراً بِملاحِ[1]

قال الحسن بن هانىء : لقيتُ ماني الموسوس ، فأنشدني :

شِعرُ حَيٍّ أتاكَ من لفظِ مَيْتٍ،
صار ، بينَ الحياةِ والموتِ ، وَقْفا

قد بَرت جسمَه الحوادثُ ، حتى
كاد ، عن أعينِ البريّة ، يخفى

لو تأمّلتني لِتُبْصِرَ شخصي ،
لم تَبيَّن ، من المحاسِنِ ، حرفا

ثم مضيتُ ، فأتيتُ جُعيفران الموسوس ، وهو شيخ من بني هاشم أرتّ اللسان ، وعليه قَيد من فضة ، وفي عُنقه غُل من ذهب ، فقال لي : من أينَ دَبَبْتَ يا حسن ؟

قلت : من بيت مانَويه .

فدعا بدواة وقِرطاس ، وقال لي : اكتب :

ما غرّد الدّيكُ ، ليلاً ، في دُجنّته ،
إلا حثثتُ إليكَ السيرَ ، مجهودا[2]

---

١ الزبرجد : حجر كريم يشبه الزمرد ، اشهره الاخضر .
٢ الدجنة : الظلام .

ولا هَـدت كُلُّ عينٍ لذَّ راقدُها
بنَومـة ، في لذيذ العَيش ، مَهودا[1]

إلا امتطيتُ الدُّجى شوقاً إليك ، ولو
أصبحتُ ، في حلَق الأقياد، مَصفودا[2]

أسعى مُخاطرةً بالنّفس ، يا أملي ،
والليلُ مدّرعٌ أثوابَـه السودا

فلم ترقَ ، ولم ترثِ لمُكتئب ،
زوّدتَـه حرقاتِ القلبِ تَزْويدا

هيهاتَ ، لا غدْرَ في جنٍّ ولا بَشرٍ ،
إلاّ مُحالُ مُعَدّاً فيـك ، موجودا

ثم قال : خرّق رقعة مانويه . فخرقتها ثم مضيت ، فلقيت عدرد المصاب ، وحوله الصبيان ، وهو يلطم وجهه ويبكي ، وينادي : أيها الناس ، الفراقُ مرُّ المذاق .

فقلت له : أبا محمد ، من أين أقبلت ؟

قال : شيّعت الحاجّ .

---

١ هدت : مسهّل هدأت . المهود : الموطأ له المهد .

٢ امتطيت : ركبت . المصفود : المقيّد .

قلت : وما الذي حملك على تشييعهم ؟

فقال : لي فيهم سَكَن[1] .

قلت : فهل قلت فيهم شيئاً ؟

قال : نعم . وأنشدني :

همُ رحلوا يومَ الخميس ، غُدَيّةً ،
فودعتُهم ، لمّا استقلّوا وودّعوا

فلمّا تولّوا ولّت النفسُ مَعْهمُ ،
فقلت : ارجِعي ! قالت : إلى اين أرجِعُ ؟

إلى جسدٍ ، ما فيه لَحم ولا دَم ،
وما هوَ إلا عظْمٌ تَتقعقعُ[2]

وعَينان ، قد أعماهما الحُزن والبُكا ،
وأذنٌ عَصت عُذّالَها ، ليس تسمعُ

•

أبو بكر الورّاق قال : حدّثني صديق لي ، قال : رأيت رجلاً من أهل الأدب قد ذهب عقله بالمحبة ، وخلفه دابّةٌ

---

١ السكن : أهل الدار .
٢ تتقعقع : تصوّت .

له تدور معه ، فاستوقفتُــــه وقلت له : يا فلان ، ما حالك وأين النّعمة ؟

قال : تغيّر قلبي فتغيّرت النعمة .

قلت : بِمَ تغيّر ؟

قال : بالحُب .

ثم بكى وأنشأ يقول :

أرى التحمُّلَ شيئاً ، لست أحسنُــه ،
وكيف أخفي الهوى، والدمعُ يُعلنه؟

أم كيفَ صَبرُ مُحبٍّ ، قلبُه دَنِف ،
الهجرُ يُنْحِله ، والشوقُ يُحزِنــه ؟

وإنه ، حينَ لا وصلٌ يُساعفــه ،
يهوى السلوَّ ، ولكن ليس يُمكِنــه

وكيفَ يَنسى الهوى من أنت همّتُه ،
وفَترةُ اللحظ ، من عينيك ، تفتنُه؟[١]

فقلت : أحسنت والله .

---

١ همته : همّه. فترة اللحظ : فتوره ، ضعفه .

فقال : قِف قليلاً ، فوالله لأطرحنّ في أذنيك أثقل من الرصاص ، وأخفّ على الفؤاد من ريش الحواصل . وأنشد :

للحبّ نارٌ ، على قلبي ، مضرّمة ،
لم تبلُغِ النارُ منها عُشرَ معشار

الماء يَنبعُ منها ، من مَحاجرِها ،
يا للرجالِ لماءٍ فاضَ من نار

ثم وقف وانشد :

أعاد الصدودَ ، فأحيا الغَليلا ،
وأبدى الجفاء ، فصبراً جميلا[1]

وردّ الكتابَ ، ولم يَقْرَه ،
لئلاّ أردّ إليه الرسولا

وأحسِبُ نفسي ، على ما ترى ،
ستلقى من الهمّ هجراً طويلا

وأحسبُ قلبي ، على ما ارى ،
سيذهب منّي قليلاً ، قليلا

ثم ترك يدي ومضى .

•

---

١ الغليل : حرارة الحب .

وحكى أبو العبّاس المُبرّد قال : دخل عمرو بن مَسعدة على المأمون ، وبين يديه جام ُزجاجٍ فيه سكّر طبرزذ ومِلح جريش . قال : فسلّمت . فردّ ، وعرض عليّ الأكل . فقلت : ما أريد شيئاً ، هنّاك الله يا أمير المؤمنين ، فلقد باكرتُ بالغَداء ، فإني بتُّ جائعاً . ثم أطرق ورفع رأسه وهو يقول :

اعرِض طعامكَ ، وابذله لمن دَخلا ،
واحلِفْ على مَن أبى ، واشكُر لمن أكلا

فلا تكن سابريّ العَرضِ ، مُحتشِماً ،
من القليل ، فلستُ ، الدهرَ ، محتفلا[1]

ودعا برطل ، ودخل رجل من أجلّة الفقهاء ، فمدّ يده إليه ، فقال : والله يا أمير المؤمنين ما شربتها ناشئاً ، فلا تَسقنيها شيخاً . فردّ يده إلى عَمرو بن مسعدة ، فأخذها منه ، وقال : يا أمير المؤمنين ، الله الله ، إني عاهدت الله في الكعبة ألاّ أشربها أبداً .

ففكّر طويلاً ، والكأس في يد عمرو بن مسعدة ، حتى لقد ظن أنه سيأمر فيها . ثم قال :

---

١ السابري : الرقيق من الثياب الذي ليس بمحقق . وقوله : سابري العرض اي تعرض طعامك عرضاً ضعيفاً . محتفلاً : مبالغاً بالامر .

رُدّا عليّ الكأسَ ، إنكما
لا تَعلمانِ الكأسَ ما تُجدي

لو ذُقتما ما ذقتُ ما امتزجَتْ
إلا بدَمعكما ، من الوَجد

خوّفتماني اللهَ ، ربَّكما ،
وكخيفَتِيه رجاؤه عندي

إن كنتما لا تَشربان معي ،
خوفَ العقاب ، شربتُها وحدي

•

محمد بن يزيد الأسدي قال : حدثني حَبيب بن أوس قال : كنت في غُرفة لي على شاطىء دجلة في وقت السَّحَر أيام الخريف ، فإذا بغلام كنت أعرفه بجمال ، قد تجرّد من ثيابه وألقى نفسه في الدجلة يَسبح فيها ، وقد احمر جلده من برد الماء ، وإذا ماني الموسوِس يرمُقه ببصره ، فلما خرج من الماء قال :

خَمشَ الماءُ جِلدَه الرطبَ ، حتى
خِلتُهُ لابساً غِلالةَ خَمر

قلت له : لعنك الله يا ماني ، أبَعد الجهادِ والغَزو تَخمش

غلاماً قد بات مؤاجَراً في الحمّامات ؟

فقال لي : ليس مثلك يُخاطَب يا أحمق ، وإنما يخاطَب هذا ، وأشار إلى السماء ، وقال :

يكفيك تقليبُ القلوب ، وإنني
لفي تَرح مما ألاقي ، فما ذَنبي ؟

خلقتَ وجوهاً ، كالمَصابيح فِتنةً ،
وقلتَ : اهجروها ، عزّ ذلك من خَطب

فإما أبحتَ الصبَّ ما قد خلقتَه ؛
وإما زجرتَ القلبَ عن لوعةِ الحُبّ

أخذ هذا المعنى يزيدُ بن عثمان فقال :

أيا ربِّ تخلُق ما تخلُقُ ،
وتنهى عبادَك أن يعشقُوا

إذا هكذا صغتَ حُسنَ الوجوهِ ،
فأيُّ البريّةِ لا يفسُقُ؟

خلقتَ الملاحَ لنا فتنةً ،
وقلت : اعبُدوا رَبّكم ، واتّقُوا

•

وقال أبو بكر المُوسوس في نصرانيّ :

أبصرتُ شخصَكَ في نومي تُعانقني ،
كما تُعانق لامُ الكاتب الألِفَا

يا من إذا درس الإنجيلَ ظلّ له
قلبُ الحَنيف ، عن القرآنِ ، مُنصرِفا

وله فيه :

زُنّاره في خَصره معقودُ ، كأنه من كَبدي مَقدودُ

أخبار البخلاء

أجمع الناس على بخلِ أهلِ مروَ ثم أهل خراسان .

قال ثُمامة بن أشرس : ما رأيتُ الديكَ قطُّ في بلدة إلا وهو يدعو الدّجاج ، ويثير الحَبّ إليها ، ويَلطُف بها ، إلا في مرو ، فإني رأيته يأكل وحدَه ، فعلمتُ أن لؤمَهم في المآكل. ورأيت في مرو طفلاً صغيراً في يده بيضة ، فقلت له: أعطني هذه البيضة . فقال : ليس تَسعُ يدك . فعلمت أن اللؤم والمنعَ فيهم بالطبع المركّب ، والجبِلة المفطورة .

•

واشتكى رجل مَرْوَزيّ ضرراً من سُعال ، فدلّوه على سويقِ اللوز ، فاستثقل النفقة ، ورأى الصبر على الوجع أخفّ عليه ، فلم يزل يماطل الأيام ويدافع الألم حتى أتيح له بعضُ الموفقين ، فدلّه على ماء النخالة ، وقال له : إنه يجلو الصدر . فأمر بالنخالة ، فطُبخت له وشرب ماءها ، فجلا صدره ووجده بعضهم ، فلما حضر غداؤه أمر به فرُفع إلى العشاء ، وقال لأم عياله : اطبخي لأهل بيتنا النخالة ، فإني وجدت ماءها

يعصم ويجلو الصّدر . فقالت له زوجته : قد جمع الله في هـذا الدواءِ دواءً وغذاء .

•

وقال خاقـان بن صُبيح : دخلتُ ليلاً على رجل من أهـل خُراسان، فإذا هو قد أتى بمسرَجة فيها فتَيل دقيقٌ ، وقد ألقى في دهن المَسرَجة شيئاً من مِلح ، وقد علّق فيها عُوداً بخيطٍ مَعقودٍ إلى المسرَجـة ، فإذا عَشِيَ المِصباح أخرج به رأس الفتيل ، فقلت : ما بال هذا العود مربوطاً ؟

فقال : هذا عود قد شرب الدهن ، فإذا لم نحفظه وضاع احتجنا الى غيره ، فلا نجده إلاّ عطشان ، فإذا كان هذا دأبَنا ضاع من دهنِنا في الشهر بقدر كفايتنا ليلة .

قال : فبينا أنا أتعجب وأسأل الله العافية ، إذ دخل علينا شيخ من أهل مرو ، ونظر الى العود ، فقال: أبا فلان ، فررتَ من شيء ووقعت فيما هو شرٌ منه، أما علمت ان الشمس والريح تأخذان من سائر الأشياء ، أوَليس كان، البارحة ، هـذا العود عند إطفاء السراج أروى ، وهو عند إسراجك الليلة أعطش؟ قد كنت أنا جاهلاً مثلَك زماناً ، حتى وفقني الله الى مـا هو أرشد ، اربط ، عافـاك الله ، مكان العود إبرةً كـبيرةً ، أو مسلّةً صغيرة ، فإن الحديد أبقى ، وهو مع ذلك غير نشّاف ،

والعود والقصبة وربما تعلقت بهما الشعرة من قُطن الفتيلة فتشخص لها ، وربما كان ذلك سبباً لاطفائها .

قال الخراساني : ألا وإنك لا تعلمُ أنك من المسرفين حتى تعمل بأعمال المصلحين .

•

قال الأصمعيّ : قال لي أبو محمد الحِزامي ، واسمه عبد الله ابن كاسب ، ونحن في العسكر ، إنّ الشّيب سَهِك[1] ، وبياض الشعر الأسود هو موته ، كما ان سواده حياته ، ألا ترى أن موضع دَبرة[2] الحمار الأسود لا ينبتُ فيها إلاّ شعر أبيض ؟ والناس لا يرضون منّا في هذا العسكر إلاّ بالعناق والمُشامّة ، والطّيب غالٍ ممتنعُ الجانب ، فلستُ أرى شيئاً هو أحسن بنا من اتخاذ مُشط صندل[3] ، فإن ريحه طيبة والشعر سريع القبول ، وأقل ما يصنعُ أن ينفي سَهَك الشيب حتى تكون حاله لا لنا ولا علينا .

•

وكان ثمامة بن أشرس يقول : إياكم وأعداءَ الخبز أن تأتدموا

---

١ السهك : ما كانت فيه ريح كريهة من عرق أو من لحم .
٢ دبرة : مؤخرة .
٣ الصندل : شجر هندي طيب الرائحة .

بها ، واعلموا أنّ أعدى عدوّ له المَملوح ، فلولا أن الله أعان عليه بالماء لأهلكَ الحَرثَ والنّسل. وكان يقول : كلوا الباقِلاء بقشرها ، فإن الباقلاء تقول : من أكلني بقشري فقد أكلني ، ومن أكلني بغير قشري فقد أكلته .

•

ومن البخلاء هشام بن عبد الملك . قال خالد بن صفوان : دخلت على هشام فأطرفته وحدثته .

فقال : سل حاجتك .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، تزيد في عطائي عشرة دنانير .

فأطرق حيناً وقال : فيمَ ؟ ولمَ ؟ وبمَ ؟ ألعبادة أحدثتَها ؟ أم لبلاءٍ حسن أبليته في أمير المؤمنين ؟ ألا لا يابن صفوان ، ولو كان لكَثُرَ السؤال ، ولم يحتمله بيت المال .

فقلت : وفّقكَ الله يا أمير المؤمنين وسدّدك . فأنت والله كما قال أخو خزاعة[1] :

إذا المالُ لم يوجِبْ عليك عطاءَه ،
صنيعةُ قُربى ، أو صديقٌ توافقهُ

---

١ هو كثير عزة .

منعتَ ، وبعضُ المنعِ حزمٌ وقوةٌ ،
ولم يفتلِتْكَ المالَ إلاّ حقائقُه

قيل لخالد بن صفوان : ما حملك على تزيين البُخل له ؟

قال : أحببت أن يمنع غيري فيكثرَ مَن يلومه .

وخرج هِشام بن عبد الملك متنزهاً ، ومعه الأبرشُ الكلبيّ ، فمرّ براهبٍ في دير ، فعدل إليه ، فأدخله الراهب بستاناً له ، وجعل يجتني له أطيب الفاكهة . فقال له هشام : يا راهب ، بِعني بستانك .

فسكت عنه الراهب . ثم أعاد عليه ، فسكت عنه . فقال له : ما لك لا تجيبني ؟

فقال : ودَدتُ أن الناس كلهم ماتوا غيرك .

قال : لماذا ؟ ويحك !

قال : لعلك أن تشبع .

فالتفت هشام الى الأبرش ، فقال : ما سمعتَ ما قال هذا ؟

قال : والله إن لقيك حرٌّ غيره .

•

ومن البخلاء : عبد الله بن الزبير ، وكانت تكفيه أكلةٌ لأيام ، ويقول : إنما بطني شِبر في شبر ، فما عسى أن يكفيه ؟

وقال فيه أبو وجْزَة مولى آل الزبير :

لو كان بطنُك شبراً قد شبعتَ ، وقد
أبقيتَ خبزاً كثيراً للمساكين

فإن تُصبك ، من الأيام ، جائحةٌ ،
لم نَبكِ منك على دنيا ، ولا دين

ما زِلْتَ في سُورة الأعرافِ تدرسُها ،
حتى فؤادُك مثلُ الخزّ في اللين

إنّ امرأً كنتُ مولاه ، فضيّعني ،
يرجو الفلاح ، لَعِندي حَقُّ مغبون

وابن الزبير هو الذي قال : أكلتم تمري وعصيتم أمري .
فقال فيه الشاعر :

رأيتُ أبا بكر ، وربُّك غالبٌ
على أمره ، يبغي الخلافةَ بالتمر

وأقبل إليه أعرابي فقال : أعطني وأقاتل عنك أهل الشام .

فقال له : اذهب فقاتل ، فإن أغنيت أعطيناك .

قال : أراك تجعل روحي نقداً ودراهمك نسيئة .

وأتاه أعرابي يسأله حَمْلاً ، ويذكر أن ناقته نَقِبت[1] .

فقال : انعلْها من النعال السِّبْتية[2] ، واخصفها بِهُلْب[3] .

قال له الأعرابي : إنما أتيتك مستوصلاً ولم آتِكَ مستوصفاً ، فلا حَمَلت ناقةٌ حملتني إليك .

قال : إنّ وصاحبها[4] .

•

ومن رؤساء أهل البخل : محمد بن الجهم ، وهو الذي قال : وددت أن عشرة من الفقهاء ، وعشرة من الشعراء ، وعشرة من الخطباء ، وعشرة من الأدباء تواطأوا على ذمي ، واستهلوا بشتمي حتى يُنشَرَ ذلك عنهم في الآفاق ، حتى لا يمتدّ إليّ أملُ آمل ، ولا ينبسطَ نحوي رجاءُ راجٍ .

وقال له أصحابه : إنما نخشى أن نقعدَ عندكَ فوق مقدارِ شهوتِكَ ، فلو جعلتَ لنا علامةً نَعرف بها وقت استحسانك لقيامنا ؟

---

١ نقبت : رقت اخفافها .

٢ السبتية ، نسبة الى السبت : الجلد المدبوغ .

٣ اخصفها ، من خصف النعل : اطبق عليها مثلها وخرزها بالمخرز . الهلب : الشعر .

٤ ان : هنا بمعنى نعم . والمعنى لا حَمَلت ، ولا حمل صاحبها .

قال : علامةُ ذلك أن أقول : يا غلامُ ، هاتِ الغداء .

وذكر ثمامةُ بن أشرسَ محمدَ بن الجهم فقال : لم يُطمعْ أحداً قطُّ في ماله إلا ليشغَلَه عن الطمع في غيره ، ولا شفعَ في صديقٍ ولا تكلمَ في حاجةِ محترمٍ إلا ليلقنَ المسؤولَ حجةَ المنعِ ، ويفتحَ على السائل باب الحرمان .

•

ومن البخلاء اللئامِ مروانُ بنُ أبي حفصة الشاعر . قال أبو عبيدة عن جهم قال : أتيتُ اليمامة فنزَلت على مروان بن أبي حفصة ، فقدم إلي تمراً ، وأرسل غلامه بفلس وسُكُرُّجة[1] يشتري زيتاً . فأتى الغلام بالزيت . فقال له : خنتني وسرقتني .

قال : وفيم كنت أخونك وأسرقك في فلس ؟

قال : أخذتَ الفلس لنفسِك واستوهبت الزيت .

•

ومن البخلاءِ : زبيدةُ بن حُمَيد الصيرفي . استلفَ من بقالٍ على بابه دِرهمين وقيراطاً ، فمطله بها ستةَ أشهر ، ثم قضاه دِرهمين وثلاثَ حبات . فاغتاظ البقال وقال : سبحانَ الله ! أنت صاحبُ مائة ألف دينار ، وأنا بقال لا أملك مائةَ

١ السكرجة : الصحفة .

فلس ، وإنما أعيش بكدي ، واستقضي الحبة على بابك والحبتين ، صاح على بابك حمّال ، ولا يحضر تلك الساعة وكيلُك ، فأعنتُك وأسلفتُك درهمين وأربعَ شعيرات ، فقضيتَني بعد ستة أشهر درهمين وثلاث شعيرات .

فقال زبيدة : يا مجنون ، أسلفتني في الصيف وقضيتُك في الشتاء ، وثلاثُ شعيرات شتوية أوزنُ من أربع صيفية ، لأن هذه ندية وتلك يابسة ، وما أشك أن معك بعد هذا كله فضلاً .

•

قال الأصمعي : كنتُ عندَ رجلٍ من ألأمِ الناسِ وأبخلِهم ، وكان عندَه لبن كثير ، فسمع به رجل ظريف ، فقال : لا أموت أو أشربَ من لبنه . فأقبل مع صاحب له حتى إذا كان بباب صاحب اللبن ، تغاشى وتماوت ، فقعد صاحبه عند رأسه يسترجع[1] ، فخرج إليه صاحب اللبن ، فقال : ما باله يا سيدي ؟

قال : هذا سيد بني تميم ، أتاه أمر الله هاهنا ، وكان قال لي : اسقني لبناً .

قال صاحب اللبن : هذا هيّن موجود ، ائتني يا غلام بعلبةٍ من لبنٍ .

---

١ يسترجع : يقول : إنا لله وإنا اليه راجعون .

فأتاه بها . فأسنده صاحبه إلى صدره وسقاه ، حتى أتى عليها ، ثم تجشأ . فقال صاحبه لصاحب اللبن : أترى هذه الجُشَأةَ راحة الموت؟ قال : أماتك الله وإياه . وفطن بأنه خَدَعه .

•

ومن أمثال العرب في البخل قولهم : ما هو إلاّ أبنة عصا أو عُقدة رشا[1] . لان عقدة الرشا المبلول لا تكاد تنحلُّ .

•

قيل لبُختَى المدنية : ما الجرحُ الذي لا يندمل ؟

قالت : حاجة الكريم إلى اللئيم ثم يَرُدُّه .

قيل لها : فما الذل ؟

قالت : وقوف الشريف بباب الدنيء ثم لا يؤذن له .

قيل لها : فما الشرف ؟

قالت : اتخاذ المِنَن في رقاب الرجال .

•

والعربُ تقول لمن لم يظفر بحاجته وجاء خائباً : « جاء فلان على غُبيراءِ[2] الظهرِ . » و« جاء على حاجبه صوفة . » و« جاء

---

١ الأبنة : العقدة في العود . الرشا : الحبل .

٢ الغبيراء ، مصغر غبراء : المجدبة .

بُخْفَّي حُنَين . »

وقال أبو عطاء السِّندي في يزيد بن عمر بن هبيرة :

ثلاثٌ حُكْتُهنَّ لقومٍ قيسٍ ،
طلبتُ بها الأخوَّةَ والثَّناءَ

رجَعنَ على حواجبِهنَّ صُوفٌ ،
وعندَ الله نَحتسبُ الجزاء

•

طعام البخلاء

قال الأصمعي : كان يقول المروزيّ لزوّاره إذا أتوه : هل تغدّيتم اليوم ؟ فإن قالوا : نعم ، قال : والله لولا أنكم تغدّيتم لأطعمتكم لوناً ما أكلتم مثلَه ، ولكن ذهبَ أولُ الطعام بشهوتِكم . وإن قالوا : لا ، قال : والله لولا أنكم لم تتغدّوا لسقيتُكم أقداحاً من نبيذ الزبيب ما شربتُم مثله ، فلا يصير في أيديهم منه شيء .

•

وكان ثُمامة بن أشرس إذا دخل عليه أصحابه وقد تعشّوا عنده قال لهم : كيف كان مَبيتُكم ومنامكم ؟ فإن قال أحدهم إنه نام ليلتَهُ في هدوء وسكون ، قال : النفسُ إذا اخذت قوتَها اطمأنت . وإذا قال أحدهم إنه لم ينم ليلته قال : إنه من إفراط الكِظّة والإسراف من البِطنة . ثم يقول : كيف كان شربكم للماء ؟ فإن قال أحدهم : كثيراً ، قال : التراب الكثير لا يبلّه الا الماء الكثير . وإن قال : قليلاً ، قال : ما تركتَ للماء مدخلاً .

وكان إذا أطعَم أصحابَه استلقى على قفـاه ، ثم يتلو قوله تعالى: « إنما نُطْعِمكم لوَجهِ الله لا نريدُ منكم جَزاءً ولا شُكوراً . »

ودخل عليه رجل ، وبين يديه طبق فراريج ، فغطّى الطبق بِذيله ، وأدخل رأسه في جَيبه ، وقال للرجل الداخل : ادخُل في البيت الآخر حتى أفرُغ من بخوري .

•

وشُوي لأبي جعفر الهاشمي دجاج ، ففقَد فخذاً من دجاجة ، فأمر فنودي في منزله : من هذا الذي تَعاطى فعقر ؟ والله لا أخبز في التنّور شهراً أو تُردَّ .

فقال ابنه الأكبر: يا أبتِ، لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا .

•

وقال دِعبل الشاعر : كنّا يوماً عنـــد سهل بن هارون ، فأطلنا الحديث ، حتى أضرَّ به الجوع . فدعا بغَدائه فإذا بصَحفة عُدمُليّة[1] فيها مَرقُ لحمِ ديكٍ قد هَرِم ، لا تحزُّ فيه السكّين ، ولا يؤثّر فيه الضرس ، فأخذ قطعة خبز فقلب بها جميع ما في الصّحفة ، ففقد الرأس، فأطرق ساعة ، ثم رفع رأسه الى الغلام وقال : أين الرأس ؟

---

١ عدملية : قديمة .

قال : رميتُ به .

قال : لِمَ ؟

قال : لم أظنّك تأكله ولا تسأل عنه .

قال : ولأي شيء ظننت ذاك ؟ فوالله إني لأبغضُ مَـــن يرمي برجله فضلاً عن رأسه ، والرأس رئيس الاعضاء ، وفيه الحواس الخمس ، ومنه يَصيح الديك ، وفيه العين التي يُضرب بها المثل في الصفاء ، فيقال : شرابٌ مثل عين الديك . ودماغه دواء عجيب لوجع الكُلية ، ولم يُر قطُّ عظم أهشّ من عظم رأسه ، فإن كان بلغ من جهلك ألا تأكلَه فعندنا من يأكلُه ، انظر أين هو ؟

قال : والله ما أدري أين رميتُه .

قال : لكني والله أدري أنك رميت به في بطنك .

•

وأهدى رجلٌ من قريش لزياد بن عبيد الله ، وهو على المدينة ، طعاماً ، فثقل عليه ذلك . فقال : اجمعوا المساكين وأطعموهم إياه ، فجمعوا ، وكُشف عن الطعام ، فإذا طعام له بالٌ[1] ، فندم على الإرسال للمساكين ، وقال للغلام : انطلق الى

---

[1] له بال : اي له شأن يهتم به .

هؤلاء المساكين ، وقل لهم : إنكم تجتمعون في المسجد فتفسون فيه فتؤذون الناس ، لا أعلم أنه اجتمع فيه منكم اثنان .

•

وقال : دخلتُ على يحيى بنِ عبد الله بن خالد بن أمية ، وقومٌ يأكلون عنده ، فمدّ يده إلى رغيف من الخُوان فرفَعه ، وجعل يرطلُه[1] بيده ويقول : يزعمون أنّ خُبزي صغيرٌ ، فمن هذا الزاني ابن الزانية الذي يأكل نصفَ رغيف منه ؟

قال : ودخلت عليه يوماً والمائدةُ موضوعة ، والقومُ يأكلون ، وقد رفَع بعضُهم يدَه ، فمددتُ يدي لآكل ، فقال : أجهِزْ على الجرحى ، ولا تتعرض للأصحّاء . يقول : تعرّض للدجاجة التي قد نيل منها ، والفرخ المنزوعِ الفخذِ ، فأما الصحيحُ فلا تتعرّض له . فهذا معناه في الجرحى .

•

وسأل يحيى بنُ خالد أبا الحارثِ جُمّيْن عن طعام رجل . فقال : أما مائدته فمُقبّبة[2] ، وأما صِحافُه فمخروطة من

---

١ رطل الشيء : رازه ليعلم وزنه .

٢ المقبّبة : الضامرة ، او المجموعة الأطراف ، غير المهيّأة للطعام .

حَبّ الخردل[1] ، وبينَ الرغيفِ والرغيف فترة نبي[2] .

قال : فمن يحضرها ؟

قال : الكرام الكاتبون .

قال : فمن يأكل معه ؟

قال : الذباب .

قال له يحيى : وأرى ثوبك مخرّقاً فلا يكسوك ثوباً وأنت في صُحبته ؟

قال : جُعلت فداك ، واللهِ لو ملك بيتاً من بغداد إلى الكوفة مملوءاً إبراً وفي كل إبرة منه خيطٌ ، وجاءه يعقوبُ يسألهُ إبرةً منها يخيطُ بها قميصَ يوسفَ ابنه الذي قُدّ من دبُر ، ومعه جبريل وميكائيل يضمنان عنده ، لم يفعل .

أخذ هذا المعنى محمدُ بنُ مَسلَمة فقال يهجو ابن الأغلب :

لو أنّ قصرَك ، يا ابن أغلبَ ، كلّه
إبرٌ ، يضيق بهنّ رَحْبُ المنزلِ

وأتاك يوسفُ يستعيرُك إبرةً ،
ليخيطَ قدّ قميصه ، لم تفعل

•

[1] اراد انها صغيرة .
[2] فترة نبي : اي مسافة بعيدة .

وقيل لحُصين : أتغديت عند فلان ؟

قال : لا ، ولكنّي مررتُ به يتغدى .

قيل : فكيف علمتَ أنه يتغدى ؟

قال : رأيت غلمانه ببابه في أيديهم قسيّ البُندُق[1] يرمون الذباب به في الهواء .

•

وقال أبو الحارث جُمّين : دخلتُ على فلان ، فوضع بين أيدينا مائدةً كنّا أشوق إلى الطعام إذا رُفعت منّا إليه إذا وضعت .

•

وحضر أعرابيّ سُفرة هشام بن عبد الملك ، فبينا هو يأكل ، إذ تعلّقت شَعرة في لُقمة الأعرابيّ ، فقال له هشام : عندك شَعرة في لُقمتك يا أعرابي .

قال : وإنك لتُلاحظُني ملاحظةَ مَن يرى الشعرة في لُقمتي ! والله لا أكلتُ عندك أبداً . وخرج وهو يقول :

ولَلْموتُ خيرٌ من زِيارة باخلٍ ،
يُلاحظ أطرافَ الأكيل ، على عَمْدِ

•

---

١ البندق : كل ما يرمى به الصيد من شيء كروي عن قوس خاصة .

وقال آخر :

ولو عليك اتكالي ، في الغَداءِ ، إذاً
لكنتُ أولَ مقتول مــن الجُوع

يقول ، عندَ دُعاء الضّيفِ مُبتدئاً ،
صوتٌ ضَعيفٌ ، وداعٍ غيرُ مَسموع

•

قال المدائني : كان للمُغيرة بن أبي عبد الله الثّقفي ، وهو والي الكُوفـة ، جَدْي يوضع على مائدتِه بعدَ الطعام لا يَمسُّه هو ولا أحد ممن يحضُر . فحضَر مائدتَه أعرابي ، فبَسط يـدَه وأسرع في الأكل. فقال : يا أعرابي ، إنـك لتأكلُ الجَـدي بحَردٍ[1] كأنّ أمّه نطحَتك .

فقال له الأعرابي : أصلحك الله ، وأنت تشفقُ عليه كأن أمه أرضَعتك .

ثم بَسط الأعرابيّ يده إلى بيضة بين يديه ، فقال : خُذها ، فإنها بَيضة العُقر[2] .

---

١ الحرد : الغضب .
٢ بيضة العقر : اول بيضة للدجاج .

فلم يحضُر طعامَه بعد ذلك .

•

ودخل أشعب على والي المدينة ، فحضَر طعامَه ، وكان له جدي على مائدته يتحاماه كُل من حضر ، فبدر إليه أشعب فمزّقه ، فقال له : يا أشعب ، إن أهلَ السّجن ليس لهم إمامٌ يصلّي بهم فإن رأيتَ أن تكون لهم إماماً تصلّي بهم ، فإن في ذلك أجراً .

فقال : والله ما أحِبُّ هذا الأجرَ ، ولكن زوجتي طالقٌ إن أكلتُ لحمَ جدي عندك حتى ألقى الله .

•

قال عمرو بن ميمون : تغدّيتُ يوماً عند الكِندي ، فدخل عليه رجل كان جاراً وصديقاً لي ، فلم يَعرِض عليه الطعام ، ونحن نأكل ، فاستحييت أنا منه فقلت : سبحانَ الله ، لو دنوتَ فأصبتَ معنا .

قال : قد واللهِ فعلتُ .

قال الكِندي : ما بعدَ الله شيء .

قال : فكُتِف والله كتافاً لو بَسط يدَه إلى أكل بعده لكان كافراً .

قال : ومررتُ ببعضِ طُرق الكوفة ، فإذا أنا برجل يخاصم جاراً له . فقلت : ما بالُكما ؟

فقال أحدهما : إنّ صديقاً لي زارني واشتهى عليّ رأساً ، فاشتريتُه له وتغدّينا ، فأخذتُ عِظامه ، فوضعتها عند باب داري أتجمّل بها عند جيراني ، فجاء هذا وأخذها ، ووضعها على باب داره ، يوهم الناس أنه هو الذي أكل الرأس .

•

قال رجل من البُخلاء لوَلده : اشتروا لي لحماً . فاشتروا له ، وأمر بطبخه حتى تهرّأ ، فأكل منه حتى انتهت نفسه ، وشرعت إليه عيون ولده ، فقال : ما أنا مُطعمه أحداً منكم إلاّ مَنْ أحسن صِفة أكله . فقال الأكبر : أتعَرّقه[1] يا أبتِ حتى لا أدع للذرّة فيه مَقيلاً .

قال : لستَ بصاحبه .

فقال الأوسط : أتعَرّقه يا أبتِ حتى لا يُدرى ألعامِهِ هو أم لعام أول .

قال : لستَ بصاحبه .

---

١ تعرقه : أخذ ما عليه من اللحم بأسنانه .

فقال الأصغر : أتعرّقه يا أبتِ ثم أدقّه دقاً ، وأسفّه سفّاً .

قال : أنت صاحبُه ، وهو لك دونهم .

•

وقال عمرو بن بحر الجاحظ : كان أبو عبد الرحمن الثوري يُعجبه الرؤوسُ ويصفها ويسميها العُرس ، لما فيها من الألوان الطيّبة ، وربما سمّاها الكامل ، والجامع ، ويقول : الرأس شيءٌ واحد ، وهو ذو ألوان عجيبة وطعوم مختلفة ، والرأس فيه الدماغ وطعمهُ مفرَد ، وفيه العينان وطعمهما مفرَد ، والشّحمة التي بين أصل الأذن ومؤخّر العين ، وطعمها مفرد ، على أن هذه الشحمة ، خاصة ، أطيبُ من المُخّ ، وأرطب من الزّبد ، وأدسم من السّلاء . وفي الرأس اللسانُ وطعمه مفرد ، والخَيْشوم ، والغُضروف[1] ، ولحم الخدّين ، وكلّ شيء من هذه طعمه مُفرد . والرأس سيّد البدن ، والدماغُ هوَ مَعدِنُ العقل ، وخاصة الحواسّ ، وبه قِوامُ البدن ، وفيه يقول الشاعر :

---

[1] الغضروف : كل عظم رخص .

إذا نزعوا رأسي ، وفي الرأس أكثري ،
وغُودر ، عند الملتقى ، ثَمَّ سائري[1]

•

وقيل لأعرابي : أتحسن أن تأكل الرأس ؟ قال : نعم، ابخَص[2] عينيه، وأفكّ[4] لَحْيَيه[3]، وأسحى[4] خديه ، وأرمي بالدماغ الى من هو أحقّ به مني .

وكانوا يكرهون أكل الدماغ ، ولذا يقول قائلهم :

ولا أبتغي المُخَّ الذي في الجماجمِ

•

وكان أبو عبد الرحمن يجلِس مع ابنه يومَ الرأس ويقول له : إياك ونَهم الصبيان ، وبَغَر[5] السِّباعِ ، وأخلاقَ النوابجِ ، ونَهشَ الأعراب ، وكلْ ما بينَ يديك ، فإنما حظُّك منه ما قابَلك . واعلم أنه إذا كان في الطعام شيءٌ طريفٌ ، من لقمةٍ

---

١ هذا البيت للشنفرى .
٢ ابخص : اقلع .
٣ اللحي : عظم الحنك الذي عليه الاسنان .
٤ اسحى : أقشر .
٥ بغر : شرب فلم يرو ، فأخذه داء من الشرب .

كريمةٍ أو مضغةٍ شهيّة، فإنما ذلك للشيخ المعظّم، والصبي المدلّل، ولستَ بواحد منهما. وقد قالوا: مدمن اللحم كمدمن الخمر.

أي بني، لا تَخضَم[1] خَضْم البراذين، ولا تدمن الاكل إدمان النّعاج، ولا تلْقم لقْمَ الجمال، ولا تَنهش نهش السّباع، وعوّد نفسك الأثرةَ، ومجاهدة الهوى والشهوة، فإن الله جعلك إنساناً فلا تجعل نفسك بهيمة، واحذر صَرعة الكظّة وسرَفَ البِطنةِ[2]، فقد قال بعضُ الحكماء: إذا كنتَ نهماً فعُدّ نفسك من الزّمنى.

واعلم أن الشّبَعَ داعيةُ البَشم[3]، والبشمُ داعيةُ السقَم، والسقمُ داعيةُ الموت، ومن مات هذه الميتة فقد مات ميتة لئيمة، لأنه قاتلٌ نفسَه، وقاتل نفسه ألأم من غيره.

أي بني، والله ما أدّى حقّ الركوع والسجود ذو كظّة، ولا خشع لله ذو بطنة، والصوم مَصَحّة، والوَجَبات عيش الصالحين.

أي بني، لأمر ما طالت أعمار الرّهبان، وصحّت أبدان الأعراب، ولله درّ الحارث بن كَلَدة حيث زعم أن الدواء

---

١ خَضِم الطعام: أكله بأقصى اضراسه.

٢ الكظة والبطنة: الامتلاء المفرط من الطعام.

٣ البشم: التخمة.

هو الأزْم[1] ، وان الداء كله هو من فضول الطعام ، فكيف لا يُرغب في شيء يجمع لك صحة البدن ، وذكاء الذهن ، وصلاح الدين والدنيا ، والقرب من عيش الملائكة ؟

أي بني ، ما صار الضبُّ اطول شيء عمراً إلاّ لأنه يتبلّغُ بالنسيم ، وما زعم الرسول أنّ الصوم وِجاءٌ[2] إلاّ أنه جعله حِجازاً دون الشهوات ، فافهم تأديب الله وتأديبَ الرسول .

أي بني ، قد بلغتُ تسعين عاماً ما نقص لي سن ، ولا انتشر لي عَصب ، ولا عرفتَ وكفَ[3] أنفٍ ، ولا سيَلانَ عينٍ ، ولا سَلَس بول ، وما لذلك علّة إلا التخفّفُ من الزاد. فإن كنت تُحب الحياةَ فهذه سبيل الحياة ، وإن كنت تُحب الموت ، فلا أبعد الله غيرك .

•

ومن البخلاء أبو الأسود الدُّؤلي ، وقفَت عليه امرأة وهو في فُسطاط[4] ، وبين يديه طبقُ تمر ، فقالت : السلامُ عليك . قال أبو الأسود : كلمةٌ مقبولة .

---

١ الأزم : ترك الأكل وألا تدخل طعاماً على طعام .
٢ الوجاء : رض خصيي الرجل ، وهو شيء كالخصاء .
٣ وكف : سيلان .
٤ الفسطاط : بيت من شعر .

ووقف عليه أعرابي، وهو يأكل، فقال الأعرابي : أدخُلُ؟

قال : وراءكَ أوسعُ لك .

قال : الرّمضاء أحرقت رجليّ .

قال : بُلْ عليهما تَبردان .

قال : أتأذن لي أن آكل معك ؟

قال : سيأتيك ما قُدِّر لك .

قال : تالله ما رأيت رجلًا ألأم منك .

قال : بلى قد رأيت إلاّ أنك نسيت .

ثم أقبـــل أبو الأسود يأكل حتى إذا لم يبق في الطبق إلا تُميراتٌ يسيرة نَبذَها له ، فوقعت تمرة منهـا فأخذها الأعرابي ومَسحها بكسائه . فقال أبو الأسود : يا هذا إن الذي تمسحُها به أقذرُ من الذي تمسحُها منه .

قال : كرهت أن أدَعها للشيطان .

قال : لا والله ولا لجبريلَ وميكائيل ما كنتَ لِتدعَها .

الأصمعي قـــال : مَرّ رجل بأبي الأسود الدُّؤلي ، وهو يقول : من يُعشّي الجائع ؟

فقال أبو الأسود : عليّ به ، فأتاه بعشاء كثير ، وقـال : كُل حتى تشبع . فلما أكل ذهب ليخرج ، قال : أين تريد ؟

قال : أريد أهلي .

قال : لا ادعك تؤذي المسلمين الليلةَ بسؤالِك ، اطرحوه في الأدم[1] .

فبات عنده مكبولاً ، حتى أصبح .

•

قال الهيثم بن عديّ : نزل بابن أبي حَفصة ضيفٌ باليمامة ، فأخلى له المنزل، ثم هرب عنه مخافةَ أن يُلزِمَه قِراه تلكَ الليلةَ، فخرج الضيفُ ، فاشترى ما يحتاجُ اليه ، ثم رجَع و كتب إليه :

يا أيها الخارجُ من بَيْتِهِ ،
وهارباً من شدّةِ الخوفِ
ضيفُك قد جاء بزادٍ له ،
فارجِع تكنْ ضيفاً على الضَّيفِ

•

وقال آخر :

بتُّ ضيفاً لهشامٍ ، في شرابي وطعامي
وسِراجي الكوكبُ الدُّرّيُّ في داجي الظلامِ
لا حراماً أجدُ الخبزَ ، ولا غيرَ الحرامِ

---

١ الادم : القيد .

وله :

بتُّ ضيفاً لهشامٍ، فشكا الجُوعَ عدمتُه
وبكَى، لا صَنَعَ الا ...هُ له، حتى رحمتُه

•

وكان شيخٌ من البُخلاء يأتي ابنَ المُقفّع ، فألحَّ عليه أن يتغدّى عندَه في منزله ، فيمطله ابنُ المقفع ، فيقول : أتُراني أتكلّف لك شيئاً ؟ لا والله لا أقدم لك إلا ما عندي ، فلا تثاقل عليَّ . فلم يزل به حتى أجابه ، وأتى به إلى منزله ، فإذا ليس عنده إلا كِسَرٌ يابسةٌ ومِلح جرِيشٌ ، فقدّمه له . ووقفَ سائلٌ بالباب ، فقال له : بُورِك فيك، فألحَّ في السؤال، فقال : والله لئن خرجتُ إليك لأدقّنّ ساقيك .

فقال ابن المقفع للسائل : أرِح نَفسك وانجُ ، والله لو علمتَ من صدقِ وعيده ما علمتُ أنا من صدق وعده ما وقفتَ ساعة ولا راجعته كلمة .

•

وانتقل رجلٌ من البخلاء إلى دار ابتاعها ، فلما حلّها وقفَ سائلٌ ، فقال له : صَنع الله لك[١] ، ثم وقفَ ثانٍ ، فقال له

---

١ اي احسن اليك .

مثل ذلك ، ثم وقف ثالث ، فقال له مثل ذلك . فقال لابنتِه: ما أكثر السُّؤّالَ في هذا المكان .

فقالت له : يا أبتِ ، ما تمسكتَ لهم بهذا القول ، فما تُبالي كثروا أم قلوا ؟

•

الأصمعي قال : تقول العرب : ما علمْتُكَ إلاّ بَرَماً قَروناً. البرَم : الذي يأكل مع أصحابه ، ولا يَجعلُ شيئاً ، والقَرون : الذي يأكل تمرتين تمرتين .

•

وألأم اللئام كلّهم وأبخلُ البخلاء حُمَيد الأرقط الذي يقال له : هجّاء الأضياف ، وهو القائل في ضيف نزَل به وآكله :

ما بين لُقمتِه الأولى ، إذا انحدرت ،
وبين أُخرى تليها ، قيدُ أظفورِ

وله :

تُجهِّزُ كفّاه ، ويُحدِرُ حلقهُ
إلى الزَّورِ ، ما ضمّت عليه الأناملُ

أتانا ، وما ساواه سُحبانُ وائلٍ
بياناً ، وعِلماً ، بالذي هو قائلُ

فما زال عنه اللُّقمُ حتى كأنه ،
من العِيّ لمّا أنْ تكلّم ، باقلُ

وله في الأضياف :

لا مرحباً بوجوه القوم ، إذ دخلوا
دُسمَ العمائم ، تحكيها الشياطينُ

ألفيتُ جُلّتنا الشّهريزَ بينهمُ ،
كأنّ أيديَهم ، فيها السكاكينُ[1]

فأصبحوا والنّوى عالي مُعرَّسِهم ،
وليسَ كلُّ النوى تلقى المساكينُ[2]

١ الشهريز : ضرب من التمر .
٢ المعرس : موضع نزول القوم ليلاً .

ما قالت الشعراء في طعام البخلاء

فمن أهجى ما قيل في طعام البُخلاء قولُ جرير في بني تغلب :

والتغلبيُّ ، إذا تَنحنح لِلقِرى ،
حكّ استَه ، وتمثّلَ الأمثالا

وقوله فيهم :

قومٌ ، إذا أكلُوا أخفَوْا كلامَهم ،
واستوثقوا من رِتاج البابِ والدارِ

قومٌ ، إذا نَبحَ الأضيافَ كلبُهم ،
قالوا لأمهم : بُولِي على النـار

•

وقال الراعي :

اللاقطين النّوى تحتَ الثّياب ، كما
مَجّتْ كَوادِنُ دُهْمٍ في مَخاليها[1]

•

---

١ الكوادن ، الواحد كودن : الفرس من الهجين .

فأين هؤلاء من الذين يقول فيهم الشاعر :

أبلَجُ بين حاجبيه نورُه ،
إذا تغدّى رُفِعت ستورُه

•

ولآخر :

أبو نُوحٍ ، أتيتُ إليه يوماً ،
فغدّاني برائحةِ الطّعامِ

وقدّمَ بيننا لحماً سميناً ،
أكلناه على طَبَقِ الكلامِ

فلمّا أن رفعتُ يدي سقاني
كؤوساً ، حَشْوُها ريحُ المُدامِ

فكان كمن سقى ظمآنَ آلاً ،
وكنتُ كمن تغدّى في المنامِ[1]

•

---

1 الآل : السراب .

ولآخر :

تُرامُ خَشيةَ الأضيافِ خُرساً ،
يصلّون الصلاةَ بــلا أذانِ

•

ولحمّاد عجرد :

حُريثٌ ، أبو الصّلت ، ذو خبرة ،
بمـا يُصلِحُ المِعْـدةَ الفاسده

تخـوّفَ تُخمـةَ إخوانِـه ،
فعوّدهم أكلـةً واحــده

•

ولآخر :

أتانا بخُبزٍ له حـامضٍ ، كمثلِ الدّراهم في رقّتِـه
إذا ما تنفّس حولَ الخِوانِ ، تَطايرَ في البيتِ من خِفّته
فنحنُ كظُومٌ له ، كلّنا يردُّ التنفّسَ من خَشْيتِهِ
فيَكْلِمُه اللحظُ من رقّةٍ ، ويأكلُه الوهمُ من قلّتِهِ

•

نزلَ رجل من العرب ببَخيل ، فقدّم إليه جَراداً فعافه ، وأمر برفعه وقال :

لحا الله بيتاً ، ضمّني ، بعدَ هَجعةٍ ،
إليه دَجوجيّ ، من الليلِ ، مُظلمُ[1]

فأبصرتُ شيخاً قاعداً بفِنائه ،
هو العَيرُ ، إلا أنه يتكلّمُ

أتانا ببُرقانِ الدَّبى في إنائه ،
ولم يكُ بُرقانَ الدَّبى لي مَطعمُ[2]

فقلت له : غيِّبْ إناءك واعتزل ،
فما ذاقَ هذا ، لا أبا لك ، مسلمُ

•

ضافَ القُطاميُّ الشاعرُ ، في ليلة ريح مُمطرة ، إلى عجوزٍ من مُحارِب ، فلم تَقرِه شيئاً فرحل عنها وقال :

تضيّفتُ ، في بَردٍ وريحٍ تلفّني ،
وفي طِرْمِساءَ ، غير ذاتِ كَواكبِ[3]

---

١ الدجوجي : المظلم .
٢ برقان الدبى : اراد صغار الجراد .
٣ الطرمساء : الليلة المظلمة .

إلى حَيْزبونٍ ، توقدُ النار ، بعدَما
تلفّعتِ الظّلماءُ من كلّ جانب[1]

تَصَلّى بها بَرْدَ العِشاء ، ولم تكن
تخالُ ومِيضَ النار يبدو لراكب[2]

فما راعَها إلا بُغـــامُ مطيّتي ،
تُريح بمَحسورٍ ، من الصدر ، لاغب[3]

فجُنّت جُنوناً من دِلاثٍ مُناخةٍ ،
ومن رجُل عاري الأشاجع ، شاحب[4]

سرى في جَليد الليـل ، حتى كأنما
تَخَزّم ، بالأطراف ، شوكُ العقارب[5]

تقول ، وقد قرّبتُ كُوري وناقتي :
إليكَ ، فلا تَذعَرْ عــليّ ركائبي[6]

---

١ الحيزبون : العجوز . تلفعت الظلماء : شملت كل مكان .
٢ تصلى : تستدفىء .
٣ تريح بمحسور : أي تخرج نفسها . المحسور : الضعيف .
٤ الدلاث : الناقة الماضية . عاري الاشاجـع : نافر عروق اليدين ، وهو دليل القوة .
٥ تخزم بالأطراف : أي أدخل فيها .
٦ كوري : رحلي . اليك : اي ابعد .

فسلّمتُ ، والتسليمُ ليس يَسرُّها ،
ولكنه حقٌّ علـى كل جانب[1]

فردّت سلاماً كارهاً ، ثم أعرَضت ،
كما انحاشتِ الأفعى ، مخافةَ ضاربِ

فلمّا تنازَعنا الحديثَ سألتُها :
مَن الحيُّ ؟ قالت : معشرٌ من محاربِ

من المُشتوينَ القِدَّ في كلِّ شَتوة ،
وإن كان عامُ الناس ليس بناصب[2]

فلمّا بدا حرمانُها الضيفَ ، لم يكن
عليَّ مبيتُ السّوءِ ضربةَ لازب[3]

وقمت إلى مَهريّةٍ قـد تعوّدت
يداها ورجلاها خَبيبَ المواكب[4]

ألا إنما نيرانُ قَيسٍ ، إذا شتَوا ،
لطارقِ ليلٍ ، مثلُ نارِ الحُباحب[5]

•

---

١ الجانب : الغريب .
٢ القد : السير من الجلد . الناصب : المتعب .
٣ ضربة لازب : اي امر لا بد منه .
٤ مهرية : ناقة منسوبة الى مهرة بن حيدان من عرب اليمن .
٥ الحباحب : ذباب يطير في الليل في ذنبه شعاع .

وقال الخليل بن أحمد :

كفّاه لم تُخلقا للنّدى ، ولم يكُ بُخلهما بِدْعه
فكفٌّ عن الخير مقبوضةٌ ، كما نقصت مائة سبعه
وكفٌّ ثلاثةُ آلافها ، وتِسْعُ مئيها لها شِرْعه

•

وقال غيره :

وجيرةٍ ، لا ترى في الناس مثلَهمُ ،
إذا يكون لهم عيدٌ وإفطارُ
إن يوقدوا يُوسعونا من دُخانهمُ ،
وليس يبلُغنا ما تُنضِجُ النار

•

وقال أحمد بن نُعيم السلمي في بني حسان :

إذا احتفلوا للضيفِ لهوجَ قِدْرُهم
جَراديمَ أشباهَ النُّخامةِ تُبلَعُ[1]

---

١ لهوج الشواء : لم ينعم شيَّه . جراديم ، الواحد جردم : جراد اسود اخضر الرأس . النخامة : ما يخرجه الانسان من صدره وأنفه .

وَيقريك مَن اكرهته ، من سوادِهم ،
قِرى الجِنّ ، أو أدنى لجوعٍ وأبشع

عظاماً وأرواثاً وبعراً ، وإن يكُن ،
لدى القوم ، نارٌ يُشتوى لك ضِفدع

•

ولآخر :

فبِتنا كأنّا ، بينهم ، أهلُ مأتمٍ
على ميّتٍ مُستودَعٍ بطنَ مَلحَدِ

يحدّثُ بعضٌ بعضَنا بمُصابه ،
ويأمرُ بعضٌ بعضَنا بالتجلّدِ

•

ولآخر :

ذهبَ الكِرامُ ، فلا كرامُ ، وبَقِى العضاريطُ اللئام[1]
من لا يُقيلُ ، ولا يُنيلُ ، ولا يُشَمُّ له طعام[2]

•

---

١ العضاريط ، الواحد عضروط : الاجير على طعام بطنه .
٢ يقيل ، من أقال عثرته : اقامه منها . ينيل : يعطي .

ولآخر :

صدّق ألْيَتَه ، إن قال مجتهداً :
لا والرغيفِ ، فذاك البِرّ من قَسَمِه[1]

فإن هممتَ به ، فافتكْ بخُبزته ،
فإنّ موقعَها من لحمه ودمه

قد كان يُعجبني ، لو أنّ غَيرتَه
على جَرادِقه كانت على حُرَمه[2]

•

ولآخر :

إنّ هذا الفتى يصون رغيفاً ،
ما إليه لناظر من سبيلِ

هُو في سُفرتين من أدَمِ الطائفِ ،
في سلّتينِ ، في منديلِ

في جِرابٍ ، في جوف تابوتِ موسى ،
والمَفاتيحُ عند ميكائيلِ

•

١ الالية : القسم .
٢ جرادقه ، الواحد جردق وجردقة : الرغيف .

وقال أبو نُواس في فضل الرقاشيّ :

رأيت قُدورَ الناس سُوداً من الصّلى ،
وقِدرُ الرّقاشيين زهراءُ كالبدرِ

يَضيق ، بحَيْزوم البَعوضةِ ، صدرُها ،
ويَخرجُ ما فيها على طرف الظّفرِ

إذا ما تنادوا للرّحيل سعى بها ،
أمامَهم ، الحَوليّ من ولد الذّرّ

وقال في إسماعيل الكاتب :

خُبزُ إسماعيل كالوشْ ي ، إذا ما انشقّ يُرفا
عجباً من أثر الصنْ عةِ فيه كيف يَخفى
إنّ رفّاءك ، هذا ، ألطفُ الأمّةِ كفّا
فإذا قابلَ بالنّص فِ من الجَردق نِصفا
أحكم الصنعةَ ، حتى ما يَرى مغرز إشفى[1]

•

---

[1] الإشفى : المخرز .

ولآخر :

ارفع يَمينَك من طعامه ، إن كنت ترغب في كلامه
سيّانِ كسْرُ رغيفه ، أو كَسْرُ عظمٍ من عظامِه

•

ولآخر :

رأيتُ الخبزَ عزَّ لديك ، حتى
حسبتُ الخبزَ في جوّ السّحابِ
وما روّحتنا لتذُبَّ عنّا ،
ولكنْ خفتَ مَرزئةَ الذبابِ[1]

•

ولآخر :

زرتُ امرءاً، في بيته ،مَرّةً ، له حِباء ، وله خِير[2]
يحذر أن يُتخمَ إخوانُه ، إنّ أذى التّخمة محذورُ

---

١ روّح : حرّك المروحة يستجلب الريح . تذب : تدفع . المرزئة : المصيبة .
٢ الحباء : العطاء . الخير : الفضل .

ويشتهي أن يؤجَروا عندَه ، بالصوم ، والصائمُ ماجور

•

ومن قولنا في نحوه :

طعامُ من لستُ له ذاكرا ، دقَّ كما دقَّ بأن يُذكرا
لا يُفطِرُ الصائمُ من أكلِه ، لكنه صومٌ لمن أفطرا
في وجهه ، من لؤمِه ، شاهدٌ ، يُكفى به الشاهدُ أن يُخبرا
لم تعرفِ المعروفَ أفعالُه ، قطُّ ، كما لم يُنكرِ المُنكرا

•

وقال آخر (بشار بن برد) :

خليليَّ ! من كعب ، أعينا أخاكما
على دهره ، إنَّ الكريمَ مُعينُ

ولا تبخلا بُخلَ ابن قَزعةَ إنه ،
مخافةَ أن يُرجى نَداه ، حزينُ

كأنَّ عُبيدَ الله لم يلقَ ماجداً ،
ولم يدرِ أنَّ المكرُماتِ تكونُ

فقل لأبي يحيى : متى تُدرِكُ العلا ،
وفي كُلِّ مَعروف عليك يمينُ

إذا جئتَه ، في حاجة ، سدّ بابَه ،
فلم تلقه ، إلا وأنتَ كمينُ[1]

•

---

١ الابيات لبشار بن برد في هجاء عبد الله بن قزعة ابي المغيرة .

باب من أخبار البخلاء

الرياشيّ قال: صاحَبَ رجلٌ رجلاً من البخلاء، فقال له: احملني.

فقال: ما كنت لأنزِل وأحملك.

قال: ما أنت بحاتمٍ حيث يقول:

أنِخها، فأردِفه، فإن حَملتكما،
فذاك، وإن كان العقابُ، فعاقبِ[1]

قال: ما فيها مَحْمِلٌ، ولا بي طاقةٌ على المشي. وقد قال شاعرهم حاتم:

أماويّ! إما مانعٌ، فمُبيّنٌ،
وإما عَطاء لا يُنهنهُ الزّجر[2]

•

---

١ العقاب: أن يركب كل منهما عقب الآخر.
٢ ينهنه: يكفّه.

٨

وقال كثيّر عزة :

مُهينٌ تلادَ المال ، فيما ينوبُـه ،
مَنوعٌ ، إذا مانعته كان أحزما

•

سأل عبدُ الرحمن بن حسان بن ثابت مـن بعضِ الولاة حاجةً ، فلم يقضِها ، فتشفّع إليه برجل فقضاها ، فقال :

ذُممتَ ولم تُحمَد ، وأدركتُ حاجتي ،
تولّى سواكم أجرَهـا واصطناعَها

أبى لك كَسْبَ المجدِ رَأيٌ مقصّرٌ ،
ونفسٌ أضاقَ اللهُ ، بالخـير ، باعَها

إذا هي حثّته على الخير ، مرّةً ،
عصاها ، وإن همّت بشرٍّ أطاعَها

•

احتاج ابو الأسود الدؤلي مرة ، فبعث إلى جار له مُوسر يستسلِفُه ، وكان حسنَ الظن به ، فاعتلّ عليه وردّه ، فقال :

لا تُشعِرنّ النفسَ يأساً ، فإنما
يَعيشُ ، بجَدٍّ ، حازمٌ وبليدُ[1]

---

[1] الجد : الحظ .

ولا تَطمَعنْ في مالِ جارٍ، لقُربه،
فكُلُّ قريب، لا يُنالُ، بعيد

•

وكتب الى آخرَ يستسلفه، فكتب إليه: المؤونةُ كثيرةٌ، والفائدةُ قليلةٌ، والمال مكذوبٌ عليه.

فكتب إليه أبو الأسود: إن كنتَ كاذباً، فجعلك اللهُ صادقاً، وإن كنتَ صادقاً، فجعلك الله كاذباً.

•

وقال بعض الشعراء في بخيل:

ميتٌ مات، وهو، في كَنَفِ العيش،
مقيمٌ، في ظلِّ عيشٍ ظليل

في عداد المَوتى، وفي عامر الدنيا
أبو جعفرٍ أخي، وخليلي

لم يَمُتْ ميتةَ الحياة، ولكن
ماتَ عن كلِّ صالحٍ وجميل[1]

•

---

[1] الايات لمحمد بن يسير الرياشي قالها بابي جعفر احمد بن يوسف.

ولآخر :

فأما قِراه كلُّه فلنفسهِ ، ومالُ يزيدٍ ، كلُّه ليزيدِ

•

ولآخر :

له يومانِ : يومُ ندًى ، ويومٌ يُسَلُّ السيفُ فيه من القِرابِ
فأما جُوده ، فعلى النّصارى ؛ وأما بأسُه ، فعلى الكِلاب

•

ولآخر :

كَدحتُ بأظفاري، وأعملتُ مِعْولي،
فصادفتُ جُلموداً، من الصخر، أملسا[1]

تجهّم ، لمّا جئتُ ، في وجهِ حاجتي ،
وأطرق، حتى قلتُ قد مات، أو عسى[2]

فأجمعتُ أن أنعاه ، لمّا رأيتُه
يفوقُ فُواقَ الموتِ ، حتى تنفّسا[3]

•

---

١ الكدح : الخدش .
٢ تجهم : عبس .
٣ الفواق : ما يأخذ المحتضر عند النزاع . الشهقة العالية .

وأنشد أبو جعفر البغدادي للجلوديّ :

جاه ، بدينارين لي ، صالحٌ ، أصلحه الله ، وأخزاهما
أدناهما تحمِلُه ذرّةٌ ، وتلعب الريحُ بأوفاهما
بل لو وزنّا لك ظِلّيهما ، ثم عمدنا ، فوزنّاهما
لكان ، لا كانا ولا أفلحا ، عليهما يرجح ظلّاهما

•

ولحماد عجرد :

أوْرِق بخير تؤمَّل للجزيل ، فما
تُرجى الثمارُ ، إذا لم يُورقِ العودُ

إنّ الكريمَ ترى في الناس عِفّته ،
حتى يُقالَ غنيّ ، وهو مجهود

وللبخيلِ ، على أموالِه ، عِلَلٌ ،
زُرقُ العيونِ ، عليها أوجهٌ سود

وانشد :

جاد ابن موسى ، من دنانيرِه لنا ، بدينارين ، إسرارا[1]

---

١ اسراراً ، من اسرّه : أفرحه .

كلاهما في الكفّ ، من خِفّة ، لو نُفخا من فَرسخ طارا
قلتُ ، وقلبي لهما مُنكِرٌ ، أُريهما ، للحِينِ ، قَسْطارا[1]
فكان هذا ، عنده ، بَهرجاً ؛ وكان هذا ، عنده ، بارا[2]
ثم وزنّا واحداً منهما ، كان له القَسطارُ مختارا
فكان ، في كِفّةِ ميزانهِ ، ينقصُ قيراطاً وديناراً

●

---

١ القسطار : منتقد الدراهم .
٢ البهرج : الزائف . بار : كسد .

باب ما قيل في البخلاء

سَمع رجل أبا العتاهية ينشد :

فارمِ بطرفِكَ حيثُ شئـ ـتَ ، فلن ترَىْ إلاّ بخيلا

فقال : بخّلتَ الناسَ كلهم . قال : فأرني واحداً سَمحاً !

•

وقال ابن أبي حازم :

وقالوا : لو مدحتَ فتى كريماً ،
فقلتُ : وأينَ لي بفتى كريم ؟

بلوتُ ، ومرّ بي خمسون عاماً ،
وحَسبُكَ بالمُجرّبِ من عليم

فلا أحدٌ يُعَدّ ليوم خيرٍ ؛
ولا أحدٌ يعودُ على عديم

•

ولآخر :

لمّا رآنا فرّ بوّابُه ، وانسدّ ، من غيرِ يدٍ ، بابُه

كلبٌ ، له من بعضِه حاجبٌ يحجُبه ، إن غاب حجّابُه

•

ومن قولنا :

جعل الله رزقَ كُلِّ عدُوٍّ
لي ، بكفٍّ ، لبعض من لا أُسَمّي

كفٌّ من لا يَهُزُّ عِطفيه ، يوماً ،
لمَديحٍ ، ولا يُبالي بذمّ

يتلقّى الرجاءَ منه بوجهٍ
راشِحِ الخدِّ والجبينِ بسمّ

جئتُه زائراً ، فما زال يشكو
ليَ ، حتى حسبتُه سيذُمّني

ألِفَ اللؤمُ فيه من كلِّ طرف ،
مُعرِقاً فيه بين خالٍ وعمّ

قد نهاني النصيحُ عنه مراراً ؛
بأبي انتَ من نصيحٍ ، وأمي

ومن قولنا :

يَراعةٌ غرّني منها وميضُ سنىً ،
حتى مددتُ إليه الكفَّ مقتبسا[1]

فصادفتْ حجَراً ، لو كنتَ تضربه ،
من لؤمِه ، بعصا موسى لما انبجسا[2]

كأنما صيغ من بُخلٍ ومن كذِبٍ
فكان ذاك له رُوحاً ، وذا نفَسا

كلب يَهِرُّ ، إذا ما جاء زائره ،
حتى إذا جاء مُهدي تُحفةٍ بَبسا[3]

ومن قولنا :

صحيفةٌ ، طابعُها اللؤمُ ، عنوانُها ، بالبُخل ، مختومُ
أهدا كَها ، والخُلْفُ في طيِّها ، والمَطلُ ، والتَّسويف ، واللوم
مَن وجهُه نحسٌ ، ومَن قُربُه رِجسٌ ، ومَن عِرفانُه شُوم

---

١ اليراع : الحباب ، ذباب يطير بالليل في ذنبه شعاع ، الواحدة يراعة .
٢ انبجس الماء : تفجر .
٣ نبس : اسرع وتحرك .

لا تَهتضمْ ، إن كنت ضيفاً له ،   فَخبزُه ، في الجوف ، هاضوم[1]
تَـكْلِمُهُ الألحاظُ من رقَّةٍ ،   فهو بِلَـحْظِ العــينِ مكلومْ
لا تأتدِمِ شيئاً على أكلهِ ،   فإنــه   بالجُــوع   مأدوم[2]

---

١ هاضوم : كل دواء يساعد على هضم الطعام .
٢ تأتدم : تأكل الخبز مع الادام . والادام ما يجعل مع الخبز فيطيبه .

احتجاج البخلاء

الأصمعي : قال أبو الأسود الدؤلي : لو أطعمنا المساكين أموالَنا لكنّا أسوأ حالاً منهم .

وقال لبنيه : لا تطيعوا المساكين في أموالكم ، فإنهم لا يقنعون منكم حتى يروكُم مثلَهم .

وقال لهم أيضاً : لا تجاودوا اللهَ ، فإنه لو شاء أن يُغني الناسَ كلهم لفعل ، ولكنه علم أن قوماً لا يُصلِحهُم الغنى ولا يصلحُ لهم إلاّ الفقر ، وقوماً لا يُصلِحهُم الفقر ولا يصلحُ لهم إلاّ الغنى .

•

وقال سهل بن هارون : لو قسمتُ في الناس مائة ألف لكان الأكثرُ لائمي .

•

ونحوه قولُ ابن الجهم : مَنْعُ الجميعِ أرضى للجميع .

•

وقال رجل من تغلب : أتيتُ رجلاً من كندة أساله ،

فقال : يا أخا بني تغلب ، إني لن أصلَك حتى أحرمَ مَن هو أقربُ إليّ منك ، وإني والله لو مَكَّنْتُ من داري لنقضوها طُوبةً طوبة . والله يا أخا بني تغلب ، ما بقي بيدي من مالي وأهلي وعِرضي إلا ما منعتُه من الناس .

•

وهذا نظير قول الآخر : مَن أعطى في الفُضول قصّر عن الحقوق .

•

وقال رجل لسهل بن هارون : هَبْني ما لا مرزئةَ عليك فيه.

قال : وما ذاك يا ابن أخي ؟

قال : درهماً واحداً .

قال : يابن أخي ، لقد هوّنت الدرهم ، وهو طابعُ الله في أرضه الذي لا يُعصى ، والدرهم ويحَك عُشر العشرة ، والعَشرة عُشر المائة ، والمائـة عُشر الألف ، والألف دية المُسلم . ألا ترى يابن أخي إلى أين انتهاء الدرهم الذي هوّنته ؟ وهل بيوت المال إلا درهم على درهم ؟

وروي عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه : يا بنيّ ، أوصيك

•

باثنتين ما تزال بخيرٍ ما تمسّكتَ بهما : درهمك لمعاشك ، ودينك لمعادك .

•

وقال أبو الأسود : إمساكك ما بيدك خيرٌ من طلبكَ ما بيد غيرك . وأنشد في المعنى :

يلومونني ، في البُخل ، جهلاً وضَلّةً ،
ولَلْبُخلُ خيرٌ من سؤالِ بخيلِ

ونظيرُه قولُ المتلمّس :

وحبسُ المالِ خيرٌ من بُغاه ، وضَرب في البلادِ بغيرِ زادِ
وإصلاحُ القليل يزيد فيه ، ولا يبقى الكثير مع الفسادِ

•

وقيل لخالد بن صفوان : ما لك لا تُنفِق ، فإنّ مالك عريض ؟

قال : الدهرُ أعرضُ منه .

قيل له : كأنك تؤمّل أن تعيش الدهرَ كلّه ؟

قال : لا ، ولكن أخاف ألاّ أموتَ في أوله .

•

وقال الجاحظ للحِزامي : أترضى أن يُقال لك بخيل ؟

قال : لا أعدمني الله هذا الاسم ، لا يُقال لي بخيل إلاّ وأنا ذو مال ، فسلّم لي المالَ وسمّني بأي اسم شئت .

قلت : ولا يقال لك سخيٌّ إلاّ وأنت ذو مال ، فقد جمع الله لاسم السخاء المالَ والحمدَ ، وجمعَ لاسمِ البخلِ المالَ والذمّ .

قال : بينهما فرقٌ عجيب وبَونٌ بعيد ، إنّ ، في قولهم بخيلٌ ، سبباً لمُكث المال في ملكي ، وفي قولهم سخيٌّ ، سبباً لخروج المال عن مِلكي ، واسمُ البخيل فيه حَزم ، واسم السخي فيه تضييع وحمد ، والمال ناض[1] ، نافع ، ومكرمٌ لأهله ، والحمدُ ريحٌ وسخريّةٌ وسُمعة ، وطَرمذة[2] ، وما أقلّ غناءَ الحمد عنه ، إذا جاعَ بطنُه ، وعَرِيَ ظهرُه ، وضاع عيالُه ، وشَمِتَ به عدوُّه .

•

وقال محمد بن الجَهم : من شأن من استغنى عنك ألاّ يُقيم عليك ، ومن احتاجَ إليك ألاّ يزول عنك ، فمن حبّك لصديقك

---

١ ناض ، لعله من نضا السيف : سلّه ، فيكون المعنى انه يشهر صاحبه ، ويخرجه من الخمول .

٢ الطرمذة : المفاخرة والصلف .

وضَنَّك بمودته ألاّ تَبذلَ له ما يُغنيه عنك ، وأن تتلطّف له فيما يُحوجِهُ إليك . وقد قيل في مثل هذا : أجِعْ كلبَك يتبعْك وسمّنْه يأكُلْك . فمن أغنى صديقَه فقد أعانَه على الغدر ، وقطَع أسبابه من الشُكر ، والمُعين على الغدر شريك الغادر ، كما أنّ مزيّن الفُجور شريكُ الفاجر .

•

وقال يزيد بن عمر الأسديّ لبنيه : يا بَنيّ ، تعلّموا الردّ فإنه أسدّ من العطاء ، ولأنْ تعلم بنو تميم أنّ عند أحدكم مائة ألفِ درهم أعظمُ له في اعينهم من أن يُقسّمها عليهم ، ولأنْ يقال لأحدكم بخيلٌ ، وهو غنيّ ، خيرٌ له من أن يقال له سخيّ وهو فقير .

•

وقال الجذامي : يقولون : ثوبُك على صاحبك أحسنُ منه عليك ، فما ظنّك إن كان أقصرَ مني ؟ أليس يتخيّلُ في قميصي ؟ وإن كان أطول مني ، أليس يصير آيةً للسائلين ؟ فَمَن اسوأ أثراً على صديقه ممّن جعله ضُحكة[1] ، فما ينبغي لي أن أكسوَه حتى أعلم أنه فيه مثلي ، فمتى يتفق هذا ؟

•

١ الضحكة : من يضحك عليه الناس .

وقال أبو نواس : كان معنا في السفينة ، ونحن نريد بغداد ، رجلٌ من أهل خُراسان ، وكان من فقهائهم وعقلائهم ، وكان يأكل وحدَه ، فقلت له : لِمَ تأكل وحدك ؟

فقال : ليس عليّ في هذا مسألة . إنما المسألة على مَن أكلَ مع الجماعة لأنه يتكلّف ، وأكلي وحدي هو الأصل ، وأكلي مع الجماعة تكلّف ما ليس عليّ .

•

ووقع درهمٌ بيد سليمان بن مُزاحم ، فجعل يقلّبه ويقول : في شِقّ : لا إله إلاّ الله محمد رسول الله ، وفي شق آخر : قل هو الله أحد ، ما ينبغي لهذا ان يكون إلاّ تعويذاً ورقية . ورمى به في الصندوق .

•

وكان أبو عيسى بخيلاً ، وكان إذا وقع الدرهم بيده طَنّه بظُفره ، وقال : يا درهم ، كم من مدينةٍ دخلتَها ، وأيدٍ دوّختها ، فالآن استقرّ بك القرارُ واطمأنت بك الدار . ثم رمى به في الصندوق .

•

وقال رجل لثمامة بن أشرس : إنّ لي إليك حاجةً .

قال : وأنا لي إليك حاجة .

قال : وما حاجتك إليّ ؟

قال : لا أذكرها حتى تضمن قضاءَها .

قال : قد فعلتُ .

قال : فإنّ حاجتي لك ألاّ تسألني حاجة .

فانصرف الرجل عنه .

•

وكان ثمامةُ يقول : ما بالُ أحدكم ، اذا قال له الرجل : اسقني ، أتى بإناءٍ على قدر الريّ أو أصغر ؟ وإذا قال : اطعمني ، أتاه من الخبز بما يفضل عن الجماعة ، والطعام والشراب أخوان ؟ أما إنه لولا رُخص الماء وغَلاء الخبز ما كَلِبوا على الخبز وزهدوا في الماء . الناس أرغب شيء في المأكول إذا كثُرَ ثمنُه ، أو كان قليلًا في منبتِه ، ألا ترى الباقلاءَ الأخضرَ أطيبَ من الكُمَّثرى[1] ، والباذنجانَ اطيبَ من الكمأةِ ، ولكن أهل التحصيل والنظر قليلٌ ، وإنما يشتهون على قدر الثمن .

وكان يقول : إيّاكم وأعداءَ الخبز أن تأتدموا بها ، وأعدى عدو له المالِح ، فلولا أن اللهَ أعانَ عليه بالماء لهلَكَ الحرْثُ والنّسل .

---

١ الباقلاء : الفول . الكمثرى : الاجاص .

وكان يقول : كُلوا الباقِلاءَ بقشرِهِ ، فإن الباقلاء يقول : من أكَلني بقشري فقد أكلني ، ومن أكلني بغير قشري فقد أكلتُه ، فما حاجتكم أن تصيروا طعاماً لطعامكم ؟

•

الأصمعي قال : جاء رجلٌ من بني عُقيل إلى عمر بن هُبيرة فَمتَّ إليه بقرابة وسأله أن يُعطيه ، فلم يُعطه شيئاً ، ثم عاد إليه بعد أيام ، فقال : أنا العُقيليّ الذي سألتُك منذ أيام .

فقال له ابنُ هبيرة : وأنا الفَزاريّ الذي منعتك منذ أيام .

فقال : معذرةٌ إليك ، إني سألتُك وأنا أظنّك يزيد بن هُبيرة المُحاربيّ .

قال : ذلك ألأمُ لك عندي ، وأهونُ بشأنك عليّ . نشأ في قومك مثلي فلم تعرفه ، ومات مثل يزيد ولم تعلم به ، يا حَرسيّ ، اسفع بيده[1] .

•

ومن أشعار البُخلاء التي يتمثّلون بها :

وزهّدني ، في كُلّ خَيرٍ صَنعتُه
إلى الناس ، ما جرّبت من قلّة الشُّكر

•

---

١ سفع بيده : قبض عليها فاجتذبه وجره .

ولآخر :

ارقَعْ قميصَكَ ما اهتديتَ لجَيْبِه ،
فإذا أضلَّكَ جيبُه ، فاستبدل

•

ولابن هَرمة :

قد يُدرِكُ الشرفَ الفتى ، ورداؤه
خَلَقٌ ، وَجيْبُ قميصِه مَرقوعُ

•

ومن أمثالهم في البُخل وخُلف الوعد قولُهم : تَختلف الأقوالُ ، إذا اختلفت الأحوال .

وقولهم :

كلامُ الليل يَمحوه النهار

وقولهم :

بُروق الصيف كاذبة الرعود

•

رسالة سهل بن هارون في البخل

بسم الله الرحمن الرحيم . أصلحَ الله أمرَكم ، وجَمع شملَكم ، وعلَّمكم الخير ، وجعلَكم من أهله .

قال الأحنف بن قيسٍ : يا معشرَ بني تميم ، لا تُسرعوا إلى الفتنة ، فإنّ أسرعَ الناس إلى القتال أقلُّهم حياءً من الفِرار ، وقد كانوا يقولون : إذا اردت أن ترى العيُوب جمةً ، فتأمل عيّاباً ، فإنه إنما يعيبُ الناسَ بفضل ما فيه من العَيب ، ومن أعيبِ العيبِ أن تَعيبَ ما ليسَ بعَيب ، وقبيحٌ أن تَنهى مُرشداً وأن تُغريَ بمُشفِق .

وما أردنا بما قلنا إلا هدايتَكم وتقويمَكم وإصلاحَ فاسدِكم وإبقاءَ النِّعمة عليكم ، ولئِن أخطأنا سبيلَ إرشادكم ، فما أخطأنا سبيلَ حُسن النّيةِ فيما بيننا وبينكم . وقد تعلمون أنّا ما أوصيناكم إلا بما اخترناه لكم ولأنفسِنا قبلَكم ، وشُهِرنا به في الآفاق ، دونكم . ثم نقول في ذلك ما قال العبدُ الصالحُ لقومه : « وما أريد أنْ أخالفَكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريدُ إلا الإصلاحَ ما استطعتُ وما تَوفيقي إلا بالله عليه توكلت . »

فما كان أحقّكم في كريم حُرمتِنا بكم أن ترعوا حقّ قصدِنا بذلك إليكم، على ما رعيناه من واجب حقكم، فلا العذرَ المَبسوطَ بلغتُم، ولا بواجبِ الحُرمة قُمتم. ولو كان ذِكرُ العُيوب يُرادُ به الفخر لرأينا في أنفسنا عن ذلك شُغلاً.

عِبتُموني بقولي لخادمي[1]: أجيدي العجين، فهو أطيبُ لطعمه، وأزْيدُ في رَيعه. وقد قال عمرُ بن الخطّاب رضي الله عنه: املكوا العجين[2]، فإنه أحدُ الرَّيعين.

وعِبتُموني حين ختمتُ على سَدّ[3] عظيم، وفيه شيء ثمين من فاكهة رَطبةٍ نفيسة، ومن رطبةٍ غريبةٍ، على عَبْدٍ نَهِم وصبيّ جشع، وأمَةٍ لكعاء، وزوجةٍ مُضيّعة، وليس من أصل الأدب، ولا في ترتيب الحُكم، ولا في عادات القادة، ولا في تدبير السادة أن يستويَ في نَفيس المأكول، وغريب المشروب، وثمين الملبوس، وخطير المركوب، التابعُ والمتبوعُ، والسيّدُ والمسودُ، كما لا تستوي مواضعُهم في المجالس، ومواقعُ أسمائهم في العنوان، ومن شاء أطعم كَلْبَه الدجاج السمين، وعلفَ حماره السِّمسِمَ المقشّر.

---

[1] الخادم: الخادمة.
[2] املكوا العجين: انعموا عجنه.
[3] السد: سلة تتخذ من قضبان، لها أطباق.

وعِبتموني بالخَتَم ، وقد ختَمَ بعضُ الأئمة على مِزودِ سَويق وعلى كيسٍ فارغٍ وقال : طينةٌ خيرٌ من ظِنّة . فأمسكتم عمّن ختم على لا شيء ، وعِبتم من ختم على شيء .

وعبتموني أن قلتُ للغلام : إذا زدت في المرقِ ، فزد في الإنضاجِ ليجتمع مع التأدُّمِ باللحمِ طيِّبُ المَرق ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا طبخ أحدكم لحماً ، فليزد من الماء ، فمن لم يُصب لحماً أصاب مرقاً .

وعبتموني بخصف النعل[1] وبتَصديرِ القميص[2] ، حين زعمتُ أن المخصوفة من النعل أبقى وأقوى وأشبه بالنُّسكِ ، وأنَّ الترقيعَ من الحزم ، والتفريقَ من التضييع ، والاجتماعَ من الحفظ . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَخصِفُ نعله ، ويرقَعُ ثوبَه ، ويلطَعُ[3] أصابعَه ، ويقول : لو أُهديَ إليَّ ذراعٌ لقبلتُ ، ولو دُعيتُ إلى كُراع لأجبتُ . وقال عليه الصلاة والسلام : مَن لم يشبع من الحلالِ خفّت مؤنته ، وقلّ كِبرُه .

وقال الحكماء : لا جديدَ لمن لا يَلبسُ الخَلَقَ .

---

١ خصف النعل : اطبق عليها مثلها وخرزها بالمخرز .
٢ التصدير للقميص : ان يجعل له رقعة في الصدر .
٣ يلطع : يلحس .

وبعث زيادٌ رجلاً يرتادُ له محدّثاً، واشترط عليه أن يكونَ عاقلاً. فأتاه به موافقاً، فقال له: أكنتَ به ذا معرفة؟ قال: لا، ولكني رأيتُه في يوم قائظٍ يلبَسُ خلَقاً[1]، ويلبَسُ الناسُ جديداً، فتفرّستُ فيه العقل والأدب. وقد علِمتُ أن الخَلَقَ في موضعه مثل الجديدِ في موضعه. وقد جعل الله لكلّ شيءٍ قدراً، وسمّى له موضِعاً، كما جعل لكلّ زمان رجالاً، ولكلّ مقام مقالاً. وقد أحيا الله بالسّمّ، وامات بالدواء، وأغصّ بالماء.

وقد زعموا أنّ الإصلاح أحدُ الكاسبَين، كما زعموا أنّ قلّةَ العيال أحدُ اليَسارين. وقد جبرَ الأحنفُ بن قيس يدَ عنزٍ، وأمر مالكُ بنُ أنس بفرك البعر.

وقال عمر بن الخطاب: من أكل بيضةً فقد أكل دجاجة.

ولَبِسَ سالم بن عبد الله جِلد أضحية.

وقال رجل لبعض الحكماء: أريد أن أهديَ إليك دجاجة. فقال: إن كان لا بدّ، فاجعلْها بَيوضاً.

وعِبْتموني حينَ قلت: مَن لم يعرف مواضعَ السّرفِ في الموجودِ الرّخيص لم يعرف مواضعَ الاقتصاد في الممتنع

---

١ الخلق: الثوب البالي.

الغالي . ولقد أتيت بماءٍ للوضوءِ على مبلغِ الكفايةِ وأشدَّ من الكفاية ، فلمّا صرت الى تفريق أجزائه عــلى الأعضاء وإلى التوفير عليها من وظيفة[1] الماء وجدت في الاعضاء فضلاً عن الماء ، فعلمتُ أن لو كنتُ سلكتُ الاقتصاد في أوائله لخرجَ آخرُه عـلى كفايةِ أولهِ ، ولـكان نصيبُ الأول كنصيب الآخر ، فعبتموني بذاك وشنّعتم عـليّ . وقـد قال الحسن ، وذكر السَّرف : أما إنه ليكونُ في الماءِ والكلأ . فلم يَرضَ بذكر الماء حتى أردفه الكلأ .

وعِبْتموني أن قلت : لا يـغترنّ أحدُكم بطولِ عمره ، وتَقويس ظهره ، ورقّةِ عظمه ، ووهن قوتـه ، وأن يرى نجوه[2] أكثر من رزقِه فيدعوه ذلك إلى إخراج ماله من يدهِ ، وتحويله إلى مِلك غيره ، وإلى تحكيم السرف فيه ، وتسليط الشهوات عليه ، فلعلّه أن يكون معمّراً وهو لا يـدري ، وممـدوداً له في السنّ وهو لا يشعر ، ولعلّه أن يُرزقَ الولدَ على اليأسِ ، ويَحدُثَ عليه من آفات الدهر ما لا يخطُر على باله ولا يُدركه عقله ، فيستردُّه ممن لا يردّه ، ويُظهرُ الشكوى إلى من لا يرحمُه ، اصعبَ ما كان عليه الطلب ، وأقبحَ مـا

---

١ الوظيفة : ما يقدر لك في اليوم من طعام أو رزق أو نحوه .
٢ النجو : ما خرج من البطن من ريح أو غائط .

كان له أن يطلب . فعِبتموني بذلك .

وقد قال عمرو بن العاص : اعمَل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً .

وعبتموني بأن قلت : إن السرفَ والتبذيرَ إلى مالِ المواريثِ وأموالِ الملوكِ ، وإنّ الحفظ الى المال المكتسب ، والغنى المجتلَب، وإلى ما يعرِضُ فيه بذَهاب الدين ، واهتضام العِرض ، ونَصَب البدن ، واهتمام القلب ، أسرعُ ، ومَن لم يحسِب نَفقتَه لم يحسِب دخلَه ، ومن لم يحسب الدخلَ فقد أضاع الأصل ، ومَن لم يعرِف لِلغنى قدرَه فقد أذِنَ بالفقر ، وطاب نفساً بالذُّل .

وعِبتموني أن قلت : إنّ كسب الحلالِ مُضمَّنٌ بالإنفاق في الحلال ، وإن الخبيثَ ينزعُ إلى الخبيث ، وإنّ الطيّبَ يدعو إلى الطيّبِ ، وإن الإنفاق في الهوى حِجابٌ دون الهوى، فعِبتم عليّ هذا القول ، وقد قال معاوية : لم أرَ تبذيراً قط إلاّ وإلى جَنبه حقٌ مضيّع .

وقد قال الحسن : إن أردتم أن تعرفوا من أينَ أصابَ الرجلُ ماله ، فانظروا فيماذا يُنفقه ، فإنّ الخبيثَ إنما يُنفِقُ في السرفِ . وقلتُ لكم بالشّفقةِ عليكم وحُسن النظرِ مني لكم ، وأنتم في دار الآفاتِ ، والجوائحُ غيرُ مأمونات ، فإن أحاطت

بمالِ أحدِكم آفةٌ لم يرجع إلى نفسه ، فاحذروا النقمَ واختلافَ الأمكنة ، فإنّ البليّةَ لا تجري في الجميع إلا بموتِ الجميع .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في العبد والأمَة والشاة والبعير : فرّقوا بين المنايا ، واجعلوا الرأس رأسين .

وقال ابنُ سيرين : كيف تصنعون بأموالكم ؟

قالوا : نُفرقها في السُّفُن ، فإن عَطِبَ بعضٌ سلمَ بعضٌ . ولولا أن السلامةَ أكثرُ ما حَملنا أموالنا في البحر .

قال ابن سيرين : تحسبُها خرقاءَ وهي صَنَاع[1] .

وعبتموني أن قلت لكم عند إشفاقي عليكم : إن للغِنى لسُكراً ، وللمالِ لثروةً ، فمَن لم يحفظِ الغنى من سكره فقد أضاعَه ، ومن لم يرتبطِ المَالَ بخوفِ الفقر فقد أهمَله ، فعِبتموني بذلك ، وقد قالَ زيد بن جَبلة : ليس أحدٌ أقصرَ عقلاً من غنيّ أمِنَ الفقرَ ، وسكرُ الغنى أكثرُ من سكرِ الخمر .

وقال الشاعر في يحيى بن خالد بن برمك :

وهُوبُ تِلادِ المالِ فيما ينوبه ،
مَنوعٌ ، إذا ما مَنْعه كان أحزما

---

١ الخرقاء : التي لا تحكم العمل . الصناع : الحاذقة . مثل يضرب لمن لا يدل منظره على مخبره .

وعبتموني حين زعمتم أني أقدّمُ المالَ على العِلْم ، لأنّ المالَ به يُفادُ العلمُ ، وبه تقومُ النفسُ قبلَ أن تَعرفَ فضلَ العِلم ، فهو أصلٌ والأصلُ أحقُّ بالتّفضيل من الفرع . فقلتم : كيفَ هذا ؟ وقد قيل لرئيس الحُكماء : الأغنيـاءُ أفضلُ أم العُلماء ؟

قال : العلماءُ .

قيل له : فما بال العلماء يأتون أبوابَ الأغنيـاء أكثر مما يأتي الأغنياء أبواب العلماء ؟

قال : ذلك لمعرفةِ العلماءِ بفَضلِ المـالِ ، وجهلِ الأغنياء بحقّ العلمِ .

فقلت : حالُهما هي القاضيةُ بينهما ، وكيفَ يَستوي شيءٌ ، حاجةُ العامةِ إليه ، وشيءٌ ، يَغنى فيه بعضُهم عن بعض ؟

وكان النبيّ صلى الله عليه وسلم يأمر الأغنياء باتخاذ الغَنمِ ، والفقراءَ باتخاذِ الدّجاجِ .

وقال أبو بكر رضي الله عنه : إني لأبغضُ أهـلَ البيتِ يُنفقون نفَقة الأيامِ في اليومِ الواحد .

وكان أبو الأسود الدؤلي يقول لولده : إذا بَسط الله لـك الرزقَ فابسط ، وإذا قَبضَ فاقبِـض .

وعِبتموني حين قلت : فَضْلُ الغِنى على القوتِ إنما هو

كفضل الآلةِ تكونُ في البيت ، إن احتيج إليها استُعملت ، وإن استُغني عنها كانت عُدة . وقد قال الحُصين بن المنذر : وددت أن لي مثلَ أُحُدٍ ذهباً لا أنتفع منه بشيء .

قيل له : فما كنت تصنع به ؟

قال : لكثرةِ من كان يخدُمني عليه ، لأنّ المال مَخدوم .

وقد قال بعض الحكماء : عليك بطلب الغنى ؛ فلو لم يكن فيه إلا أنه عِزٌّ في قلبك ، وذُلٌّ في قلب عدوّك ، لكان الحظ فيه جسيماً ، والنفعُ فيه عظيماً .

ولسنا ندعُ سيرةَ الأنبياء ، وتعليمَ الخُلفاء ، وتأديبَ الحكماء لأصحابِ اللهو ، ولستُم عليّ تردُّون ، ولا رأيي تفنّدون ، فقدموا النظرَ قبلَ العزم ، وأدركوا ما عليكم قبل أن تُدركوا ما لكم ، والسلام عليكم .

•

ومن اللؤمِ التطفيلُ ، وهو التعرُّضُ للطعام من غير أن يدعى إليه .

•

أخبار الطفيليين

أوّلهم طُفيلُ العرائس ، وإليه تُنسب الطفيليون ، وقال لأصحابه : إذا دخل أحدكم عُرساً فلا يلتفتْ تلفُّتَ المُريبِ ، ويتخيّر المجالسَ ، وإن كان العرسُ كثيرَ الزحام فليمضِ ، ولا ينظرْ في عيون الناس ، ليظنّ أهلُ المرأة أنّه من أهل الرجل ، ويظنّ أهلُ الرجلِ أنه من أهل المرأة ، فإن كان البوابُ غليظاً وَقاحاً ، فتبدأ به وتأمُرُه وتَنهاه ، من غير أن تعنُف عليه ، ولكن بين النصيحة والإدلال .

•

القَحذمي قال : يقول الطفيليون : ليس في الأرضِ عودٌ أكرمَ من ثلاثةِ أعواد : عصا موسى ، وخشبِ منبرِ الخليفةِ ، وخِوانِ الطعام .

•

وكان أبو العِرقين الطفيلي قد نَقَشَ في خاتمه : اللؤمُ شؤمٌ . فقيل له : هذا رأسُ التطفيل .

•

أحمدُ بن علي الحاسب قال : مَرَّ طفيلي بسكّةِ[1] النَّخَع ، بالبصرةِ ، على قومٍ وعندهم وليمةٌ ، فاقتحم عليهم وأخذ مجلسَه مع من دُعي ، فأنكره صاحب المجلس . فقالوا له : لو تأنَّيتَ ، أو وَقَفتَ حتى يؤذنَ لك أو يُبعث إليك ؟

قال : إنما اتُّخِذتِ البيوتُ ليُدخَلَ فيها ، ووُضِعتِ الموائدُ ليؤكلَ عليها ، وما وجِّهتُ بهديةٍ ، فأتوقّعَ الدعوة ، والحشمةُ قطيعةٌ ، واطّراحُها صلةٌ ، وقد جاء في الأثر : « صِل من قطعَك ، وأعطِ من حرمَك . » وأنشد :

كلَّ يومٍ أدورُ في عَرصةِ الدارِ ،
أشمُّ القتارَ شمَّ الذُّبابِ[2]

فإذا ما رأيتُ آثارَ عُرسٍ ،
أو دخاناً أو دعوةَ الأصحابِ

لم أعرِّج دون التقحُّمِ ، لا أرهبُ
طعناً ، أو لكزةَ البوّابِ

---

١ السكة : الطريق .

٢ القتار : الدخان من المطبوخ او المشوي .

مستهيناً بمن دخلتُ عليهم ،
غيرَ مستأذنٍ ، ولا هيّابِ

فتراني ألفُّ ، بالرغم منهم ،
كلَّ ما قدّموه لفَّ العُقاب

•

ومنهم أشعبُ الطمّاع ، قيل له : ما بلغ من طمعِك ؟ قال : لم أنظر إلى اثنين يتسارّان إلاّ ظننتهما يأمران لي بشيء . وفيه يقال : أطمع من أشعب .

•

وقف أشعبُ إلى رجل يعمل طبقاً ، فقال له : أسألُك بالله إلاّ ما زدتَ في سَعته طوقاً أو طوقين .

فقال له : وما معناك في ذلك ؟

قال : لعلّه يوماً أن يُهدى إليّ فيه شيء .

•

ساوم أشعبُ رجلاً في قوس عربية ، فسأله ديناراً ، فقال له : والله لو أنها إذا رُمي بها طائر في جوّ السماء وقع مشويّاً بين رغيفين ما أعطيتُك بها ديناراً .

•

وبينا قومٌ جلوسٌ عند رجل من أهلِ المدينة يأكلون عنده حيتاناً ، إذ استأذنَ عليهم أشعَبُ ، فقال أحدهم : إنّ من شأن أشعبَ البسطَ إلى أجلّ الطعام ، فاجعلوا كِبار هذه الحيتانِ في قصعةٍ بناحية ، ويأكل معنا الصغارَ ، ففعلوا . وأذِن له ، فقالوا له : كيفَ رأيك في الحيتان ؟

فقال : والله إنّ لي عليها لحرداً شديداً وحنقاً ، لأن أبي مات في البحر وأكلته الحيتان .

قالوا له : فدونك خذ بثأرِ أبيك .

فجلس ومدّ يده الى حوتٍ منها صغير ، ثم وضعه عند أذنه ، وقد نظر إلى القصعة التي فيها الحيتانُ في زاوية المجلس ، فقال : أتدرون ما يقولُ لي هذا الحوتُ ؟

قالوا : لا ندري .

قال : إنه يقول : إنه لم يحضُر موتَ أبي ولم يدركه لأنّ سنّه يصغُرُ عن ذلك ، ولكن قال لي : عليك بتلك الكبارِ التي في زاويةِ البيت ، فهي أدركت أباك وأكلته .

•

وكان رجل من الامراء يستظرف طفيلياً يحضُر طعامَه وشرابَه ، وكان الطفيلي أكولاً شروباً ، فلمّا رأى الأميرُ

كثرة أكله وشربه اطّرحه وجفاه ، فكتب إليه الطفيلي :

قد قلّ أكلي ،وقلّ شُربي، وصُرتُ من بابةِ الأميرِ[1]
فليَدعُ بي ، وهو في أمانٍ، أن أشرب الراح بالكبير

وأقبل طفيلي إلى صَنيع[2] فوجد باباً قد أُرتِجَ[3]، ولا سبيل الى الوصولِ ، فسأل عن صاحب الصنيع : إن كان له ولدٌ غائبٌ ، أو شريك في سفر ؟ فأخبِر عنه أنّ له ولداً ببلد كذا. فأخذ رِقّاً أبيضَ وطواه وطبعَ عليه ، ثم أقبل متدلّلا ، فقعقع البابَ قعقعةً شديدة ، واستفتح ، وذكر أنه رسولٌ من عند ولدِ الرجل . ففُتِحَ له البابُ ، وتلقّاه الرجل فرحاً ، وقال : كيف فارقت ولدي ؟

قال له : بأحسنِ حال ، وما أقدِرُ أن أكلّمَك من الجوع .

فأمرَ بالطعام فقُدّم إليه وجعل يأكل ، ثم قال له الرجلُ : ما كتب كتاباً معك ؟

قال : نعم .

---

١ من بابته : أي ممن يصلح له .
٢ الصنيع : الطعام.
٣ ارتج : اقفل .

ودفع إليه الكتاب . فوجد الطين طرياً . فقال له : أرى الطين طرياً .

قال : نعم . وأزيدك أنه من الكدّ ما كتب فيه شيئاً .

فقال : أطفيلي أنت ؟

قال : نعم أصلحك الله .

قال : كُل ، لا هنأك الله .

•

وقيل لأشعبَ : ما تقول في ثريدة مغمورة بالزبدة ، مشقّقة باللحم ؟

قال : فأضرَبُ كم ؟

قيل له : بل تأكلها من غيرِ ضربٍ .

قال : هذا ما لا يكون ، ولكن كم الضربُ ، فأتقدّم على بصيرة ؟

•

وقيل لمَزْيَد المَديني ، وقد أكلَ طعاماً كظّه : قئْ .

قال : أقيءُ ؟ خبزٌ نقيٌّ ولحم جَديٍ ؟ امرأتي طالقٌ ، لو وجدتهما قيئاً لأكلتهما .

•

وقيل لطفيلي : ما أبغضُ الطعامِ إليك ؟ قال : القريص[1] . قيل له : ولِمَ ذا ؟ قال : لأنه يؤخَّر إلى يومٍ آخرَ .

•

ومر طفيليٌّ بقومٍ من الكَتَبةِ في مَشربةٍ لهم، فسلَّم ثم وضعَ يدَه يأكلُ معهم . قالوا له : أعرفتَ منَّا أحداً ؟

قال : نعم ، عرفتُ هذا ، وأشار إلى الطعام .

فقالوا : قولوا بنا فيه شعراً .

فقال الأول :

لم أرَ مثلَ سَرْطِهِ ومطِّه[2]

وقال الثاني :

ولفِّه دجاجــةً ببطِّه

وقال الثالث :

كأنَّ جالينوسَ تحت إبطِهِ

فقال الاثنان للثالث : أما الذي وصفناه من فعله فمفهْوم ، فما يصنعُ جالينوسُ تحت إبطه ؟

---

١ القريص : ضرب من الأدم .

٢ السرط : الابتلاع . المط : الجذب .

قال : يُلقمُه الجوارشنَ[1] كلما خافَ عليه التُّخمةَ يهضمُ بها طعامَه .

•

ومرّ طفيلي على الجماز ، فقال له : ما تأكلُ ؟
قال : كلبٌ في قَحفِ خنزير .

•

ودخل طفيلي على قوم يأكلون فقال : ما تأكلون ؟
فقالوا من بُغضه : سمّاً .
فأدخل يده وقال : الحياة حرامٌ بعدكم .

•

ومر طفيلي على قومٍ كانوا يأكلون ، وقد أغلقوا الباب دونه ، فتسوّرَ عليهم من الجدارِ ، وقال : منعتموني من الأرض فجئتكم من السماء .

•

وقيل لطفيلي : كم اثنان في اثنين ؟ قال : أربعة أرغفة .

•

---

١ الجوارشن : دواء يسهّل هضم الطعام ، فارسية .

وقيل لآخر : كم كان أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم يوم بدر ؟ قال : كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر درهماً .

•

الحسين بن عبد الرحمن عن أبيه قالَ : أمرَ المأمون أن يحملَ إليه عشرةٌ من الزنادقةِ سُمّوا له بالبصرة ، فجُمِعوا وأبصرَهم طفيلي ، فقالَ : ما اجتمعَ هؤلاء إلا لصنيعٍ ، فانسلَّ فدخلَ وسطهم ، ومضى بهم المتوكلـون حتى انتهَوا بهم إلى زورق قد أعدّ لهم ، فدخلَ الزورقَ ، فقـال الطفيلي : هي نُزهةٌ . فدخلَ معَهم ، فـلم يكُن بأسرعَ مِنْ أن قيّـدوا وقيّد معهم الطفيلي ، ثم سيرَ بهم إلى بغداد ، فأدخلوا عـلى المأمون ، فجعل يدعو بأسمائهم رجلاً رجلاً ، فيـأمر بضربِ رِقابهم ، حتى وصل إلى الطفيلي ، وقـد استوفى العِدّة ، فقال للموكلين : ما هذا ؟

قالوا : والله ما ندري ، غير أنا وجدناه معَ القوم ، فجئنا به .

فقال له المأمون : ما قصّتُك ؟ ويلك !

قال : يا أميرَ المؤمنين ، امرأتُه طالقٌ إن كان يعرف من أحوالهم شيئاً ، ولا مما يدينون الله به ، إنما أنا رجـلٌ طفيلي رأيتُهم مجتمعين فظننتُهم ذاهبين لدعوة .

فضحك المأمون ، وقال : يؤدّب .

وكانَ إبراهيم بن المهدي قائماً على رأس المأمون ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، هب لي ذنبه ، وأحدّثك عن حديثٍ عجيبٍ عن نفسي .

قال : قل يا إبراهيم .

قال : خرجت يا أميرَ المؤمنين من عندك يوماً ، فطُفتُ في سككِ بغدادَ مُتَطرّباً ، فانتهيت إلى موضعٍ ، فشممتُ روائحَ أبازير قُدورٍ قد فاحَ طيبها ، فتاقت نفسي إليها وإلى طيبِ ريحها ، فوقفت على خيّاطٍ ، فقلت : لمن هذه الدار ؟

قال : لرجلٍ من التجار من البزّازين[1] .

قلت : ما اسمه ؟

قال : فلان بن فلان .

فنظرتُ إلى الدار ، فإذا بشُبّاكٍ فيها مُطلٌّ ، فنظرتُ إلى كفٍّ قد خرَجت من الشباكِ قابضةٌ على عَضُدٍ ومِعصَمٍ ، فشغلني ، يا أميرَ المؤمنين ، حسنُ الكَفّ والمعصمِ عن رائحة القدور ، وبقيتُ باهتاً ساعةً ، ثم أدركني ذهني ، فقلت للخيّاط : أهوَ ممن يَشرَبُ النبيذَ ؟

قال : نعم ، وأحسب أن عنده اليوم دعوةً ، وليس ينادمُ

---

١ البزازون : بائعو البزّ ، الثياب من القطن .

إلاّ تجاراً مثلَه مستورين .

فبينا أنا كذلك إذ أقبل رجلان نبيلان راكبان من رأس الدرب ، فقال الخياط : هؤلاء منادموه .

فقال : ما اسماهما وما كُناهما ؟

قال : فلان وفلان .

فحرّكت دابتي وداخلتُهما ، وقلت : جُعِلتُ فداكما ، قد استبطأكما أبو فلان ، أعزّه الله ، وسايرتُهما حتى بلغا البابَ ، فأجَلاّني وقدّماني ، فدخلنا . فلمّا رآني صاحبُ المنزل لم يشكّ أني منهما بسبيل ، أو قادمٌ قدِمتُ عليهما من موضع ، فرحّب بي وأجلست في أفضل المواضع ، فجيء بالمائدة وعليها خبز نظيف ، وأتينا بتلك الألوان ، فكان طعمُها أطيبَ من ريحها ، فقلت في نفسي : هذه الألوانُ قد أكلتُها وبقي الكفُ والمعصَمُ ، كيف أصِل الى صاحبتِهما .

ثم رُفِع الطعام وجاؤونا بوَضوءٍ ، فتوضّأنا وصِرنا الى بيتِ المنادمة ، فإذا أشكلُ بيتٍ[1] يا أمير المؤمنين ، وجعل صاحبُ المنزل يلطفُ بي ويميل عليّ بالحديث ، وجعلوا لا يشكّون أنّ ذلك منـه على معرفة متقدمة ، حتى إذا شربنا أقداحاً

١ اشكل بيت : اراد اجمل بيت .

خرجت علينا جاريةٌ كأنها جانٌّ ، تتثنّى كالخيزران، فأقبلت ، فسلّمت غيرَ خَجِلَة ، وثُنِيَتْ لها وِسادةٌ ، فجلست ، وأُتي بالعود ، فوُضِع في حجرها ، فجسّته ، فاستبنتُ في جَسّها حِذقَها ، ثم اندفعت تغني :

توهّمها طَرفي ، فأصبح خدُّها ،
وفيه ، مكانَ الوهمِ من نظري ، أثرُ

وصافحها كفّي ، فآلم كفَّها ،
فمن مَسّ كفّي ، في أناملها ، عَقرُ

فهيّجتْ ، يا أمير المؤمنين ، بلابِلي ، وطربتُ لحُسنِ شِعرها ، ثم اندفعت تغني :

أشرتُ إليها : هل عرفتِ مودّتي ؟
فردّت بطرفِ العين : إني على العهدِ

فَحُدتُ عن الإظهار ، عمداً ، لسرّها ؛
وحادت عن الإظهارِ ، أيضاً ، على عمدِ

فصحت ، يا أمير المؤمنين : السّلاحَ ، وجاءني من الطرب ما لم أملِك نفسي ، ثم اندفعَت فغنّت الصوت الثالث :

أليسَ عجيباً أنّ بيتاً يَضُمّني
وإياك ، لا نخلو ، ولا نتكلّمُ

سوى أعينٍ تشكو الهوى بجفونها ،
وتقطيع أنفاس ، على النارِ ، تضرَمُ

إشارةُ أفواهٍ ، وغمزُ حواجبٍ ،
وتكسيرُ أجفانٍ ، وكفٌ تُسلّمُ

فحسدتُها يا أميرَ المؤمنين على حِذقِها ومعرفتِها بالغناء ، وإصابتِها لمعنى الشّعر ، وأنها لم تخرُج من الفنّ الذي ابتدأت به ، فقلت : بقي عليك يا جارية . فضربت بعودِها الأرضَ وقالت : متى كنتُم تُحضرون مجالسكم البُغضاء ؟

فندمتُ على ما كان مني ، ورأيت القومَ كأنهم تغيّروا لي ، فقلت : أما عِندكم عُودٌ غير هذا ؟

قالوا : بلى .

فأتيت بعودٍ ، فاصلحت من شأنه ، ثم غنيت :

ما للمنازلِ لا يُجِبْنَ حزينا ،
أصَمَمْنَ أم قَدُمَ المدى ، فبلينا ؟

راحوا ، العشيّةَ ، روحةً مذكورةً ،
إنْ مِتْنَ مِتْنا ، أو حَيِينَ حَيِينا

فما أتممتُه حتى قامت الجاريةُ فأكبّت على رجلي تُقبلها ،

وقالت : معذرةً إليك ، فوالله ما سمعتُ أحداً يغنّي هذا الصوت غناءك ، وقامَ مولاها وأهلُ المجلس ففعلوا كفعلها ، وطرب القوم والله ، واستحثوا الشراب ، فشربوا بالكاسات والطاسات ، ثم اندفعت أغني :

أفي الحقّ أن تُمسي ، ولا تَذكُريني ،
وقد سفَحت عيناي ، من ذكرك ، الدما

فرُدِّي مُصاب القلب ، أنتِ قتلتِه ،
ولا تتركيه ذاهلَ العقل ، مُغرما

إلى الله أشكو بُخلَها وسَماحتي ،
لها عَسلٌ مني ، وتَبذُلُ علقما

إلى الله أشكو أنها أجنبيّةٌ ،
وأني لها بالوُدّ ، ما عِشتُ ، مكرِما

فطربَ القوم حتى خرجوا من عقولهم ، فأمسكتُ عنهم ساعة حتى تراجعوا ، ثم اندفعت أغني الثالث :

هذا مُحبُّكِ مطويٌّ على كَمدِه ،
حرّى مدامعُه تَجري على جَسدِه

له يَدٌ تسأل الرحمنَ راحتَه ،
مما جَنى ، ويدٌ أخرى على كبده

فجعلت الجارية تَصيح : هذا الغناءُ واللهِ يا سيدي لا ما كُنا فيه ، وسكر القوم . وكان صاحب المنزل حسَنَ الشربِ صحيحَ العقل ، فأمر غِلمانه أن يُخرجوهم ويَحفظوهم إلى منازلهم وخلوتُ معه ، فلما شربنا أقداحاً قال : يا هذا ، ذهب ما مضى من أيامي ضَياعاً إذ كنتُ لا أعرفُك ، فمن أنت يا مولاي ؟

ولم يزلْ يلحّ حتى أخبرته الخبر، فقام وقبّل رأسي ، وقال : وأنا أعجب يا سيدي أن يكون هذا الأدب إلاّ لمثلِك ، وأني لجالسٌ مع الخلافة ولا أشعر ؟

ثم سألني عن قصتي فأخبرتُه حتى بلغتُ خبرَ الكَفّ والمِعصَم ، فقال للجارية : قُومي فقولي لفلانة تنزل ، ثم لم يزل يُنزل جواريَه واحدةً بعد أخرى وأنظرُ إلى كفّها ومِعصَمها ، وأقولُ : ليست هي ، حتى قال : واللهِ ما بقي غير زوجتي وأختي ، وواللهِ لأنزلنّهما إليك ، فعجبت من كرمه وسعة صدره ، فقلت : جُعلت فداءك ، ابدأ بالأختِ قبل الزوجة ، فعساها هي .

فبرزت ، فلما رأيت كفّها ومِعصَمها قلت : هي هذه ، فأمر غلمانه فمضَوا إلى عشرةِ مشايخَ من جلّةِ جيرانه ، فأقبلوا بهم ، وأمر ببَدرتين فيهما عشرون ألف درهم ، فقال

للمشايخ : هذه أختي فلانة ، أشهدكم أني قد زوجتها من سيدي إبراهيم بن المهدي ، وأمهرتها عنه عشرين ألفاً .

فرضيت النكاح . فدفع إليها البَدرة وفرّق الأخرى على المشايخ ، وقال لهم : انصرفوا . ثم قال : يا سيدي ، أمهّد لك بعضَ البيوت ، فتنام مع أهلك .

فأحشمَني[1] ما رأيتُ من كرمه ، فقلت : بل أحضِرُ عَماريّة وأحملها الى منزلي .

قال : ما شئت .

فأحضرت عمارية وحملتها الى منزلي ، فوالله يا أمير المؤمنين لقد أتبعها من الجهاز ما ضاق عنه بعضُ بيوتنا ، فأولدتُها هذا القائم على رأس أمير المؤمنين .

فعجب المأمون من كرم الرجل ، وأطلق الطفيلي ، وأجازه وألحق الرجل في أهل خاصته .

•

ومرّ طفيلي بقوم يتغدّون فقال : سلام عليكم معشرَ اللئام .

فقالوا : لا والله ، بل كِرام .

---

١ أحشمه : أخجله .

فثنى رِجلَه وجلس ، وقال : اللهمّ اجعلْهُم من الصادقين ، واجعلني من الـكاذبين .

•

ودخلَ طفيلي من أهل المدينة على الفضل بن يحيى ، وبيده تُفّاحة ، فألقاها إليه ، وقال : حيّاك الله يا مَدَنيّ ، فلزمها وأكلها . فقال له : شؤمٌ عليك يا مدنيّ ، أتأكل التحيّات ؟ قال : إي والله ، والزاكياتُ الطيباتُ كنتُ آكلُها .

•

وقال إبراهيم الموصلي في طفيلي كان يصحبه :

نِعْمَ النّديمُ ، نديمٌ لا يكلّفني
ذبحَ الدجاجِ ، ولا ذبحَ الفراريج

يَكفيه لونانِ من كَشكٍ ومن عدَسٍ ،
ولو يشاءُ ، فزيتونٌ بطسُّوج[1]

•

وقال طفيلي في نفسه :

نحنُ قومٌ ، إذا دُعينا أجبنا ، ومتى نَنْسَ يَدْعُنا التّطفيلُ

---

١ الكشك : ماء الشعير . الطسوج : ربع الدانق ، فارسي معرب .

ونَقُل علّنا دُعينا ، فغبنا،   وأتانا ، فلم يجدنا الرسولُ

•

وقال آخر ، وأتى طعاماً لم يُدْعَ إليه ، فقيل له : مَن دعاك ؟ فأنشأ :

دعوتُ نفسيَ ، حين لم تدعُني،   فالحمدُ لي ، لا لك، في الدعوهْ
وكان ذا أحسنَ من موعدٍ ،   مُخلِفُه يدعو الى الجَفْوه

•

ودخل طفيلي في صنيعٍ رجل من القِبط ، فقال له : مَن أرسل إليك ؟ فأنشأ :

أزوركم ، لا أكافيكم بجفوتِكم ،
إنّ المُحبَّ ، إذا ما لم يُزر، زارا

فقال له القبطي : زر زارا ، ليس ندري ، من هو ؟ اخرج من بيتي .

•

ونظر رجل من الطفيليين إلى قومٍ من الزنادقة يسار بهم إلى القتل ، فرأى لهم هيئة حسنة وثياباً نقيّة فظنّهم يُدعون إلى وليمة ، فتلطّف حتى دخل في لفيفهم وصار واحداً منهم ، فلمّا

بلغ صاحب الشرطة قال : أصلحك الله ، لستُ والله منهم وإنما أنا طفيلي ظننتُهم يُدعون إلى صنيعٍ فدخلتُ في جملتهم .

فقال : ليس هذا مما ينجيك مني ، اضربوا عنقه .

فقال : أصلحك الله ، إن كنت ولا بدّ فاعلاً ، فأمُرِ السيّافَ أن يضرِبَ بطني بالسيف ، فإنه هو الذي ورّطني هذه الوَرطة .

فضحِكَ صاحب الشرطة وكشَفَ عنه ، فأخبروه أنه طفيلي معروف ، فخلّى سبيلَه .

•

وقال طفيلي :

ألا ليت لي خبزاً تسربل رائباً ،
وخيلاً من البَرنيّ ، فُرسانُها الزُّبدُ[1]

فأطلبَ ، فيما بينهنّ ، شهادةً ،
بموتٍ كريمٍ ، لا يُشقّ له لحد

•

---

[1] الرائب : اللبن الخاثر . البرني : ضرب من التمر وهو من اجوده . الزبد : ما يستخرج من اللبن بالمخض .

وكان أشعب يختلف إلى قَينة بالمدينة يطارحُها الغناء، فلمّا أراد الخروج إلى مكة قال لها : ناوليني هذا الخاتم الذي في إصبعك لأذكرك به .

قالت : إنه ذهب وأخاف أن تذهب ، ولكن خذ هذا العودَ لعلّك تعود .

•

اصطحب شيخٌ وحَدَثٌ من الأعراب ، فكان لهما قُرص في كلّ يوم ، وكان الشيخُ متخلّعَ الأضراس بطيءَ الأكل ، فكان الحدَث يَبطشُ بالقُرص ، ثم يقعدُ يشتكي العِشق ، ويتضوّرُ الشيخ جوعاً . وكان اسم الحدث جعفراً . فقال الشيخ فيه :

لقد رابني ، من جعفرٍ ، أنّ جعفراً
يَطيشُ بقُرصي ، ثم يبكي على جُمْلِ

فقلتُ له : لو مسّك الحبُّ لم تبِت
سميناً ، وأنساك الهوى شدّةَ الأكلِ

وقال الحدث :

إذا كان في بطني طعامٌ ذكرتُها ؛
وإن جعتُ ، يوماً ، لم تكن لي على ذُكرِ

ويزدادُ حبي إن شبعتُ تجدّداً ؛
وإن جُعتُ غابت عن فؤادي وعن فكري

•

وكان أشعب يختلفُ الى جارية في المدينة ، ويُظهرُ لها التعاشقَ ، إلى أن سألتْه سلفةً نصفَ درهم ، فانقطعَ عنها ، وكان ، إذا لقيها في طريق ، سلكَ طريقاً أخرى ، فصنعت له نَشُوقاً[1] وأقبلت به إليه ، فقال لها : ما هذا ؟

قالت : نشوق عملتُه لك لهذا الفزع الذي بك .

فقال : اشربيه أنتِ للطمع ، فلو انقطعَ طمعُكِ انقطعَ فزعي ، وأنشأ يقول :

أخلفي ما شئتِ وَعْدي ، وامنحيني كُلَّ صَدّ
قد سلا ، بَعدكِ ، قلبي ، فاعشقي، مَن شئت ،بعدي
إنني آليتُ ، لا أعشَقُ مَن يعشقُ نَقْدي

•

وقيل لأشعب : ما أحسنُ الغناءِ ؟

قال : نشيشُ المِقْلى .

---

١ النشوق : كل دواء ينشق .

قيل له : فما أطيبُ الزمان ؟

قال : إذا كان عندك ما تُنفِقُ .

وكان أشعب يغني :

ألا أخبرتُ أخباراً ، أتت في زمن الشدّه
وكان الحُبُّ في القلبِ ، فصارَ الحُبُّ في المِعْده

•

وقال آخر في طُفيلي من أهل الكوفة :

زَرعنا فلما تَمّم الله زَرْعَنا ،
وأوفى عليه مِنْجــلٌ بحَصادِ
بُلينا بكُوفيٍّ ، حليفِ مَجاعةٍ ،
أضرَّ بزَرعٍ من دَبيً وجَرَادِ

•

وقال هشام أخو ذي الرُّمّة لرجل أراد سفراً : إن لكل رُفقةٍ كلباً يَشْرَكُهم في فضلة الزاد ، فإن استطعت أن تكون كلبَ الرفاق ، فافعل .

•

الجاحظ قال : دُعي أبو عبد الله الواسطي إلى صَنيع ، فدعاني فدعوت أبا الفَلَوسَكيّ . فلما كان من الغد صبح الفَلَوسَكيّ الجاحظ ، فقال له : أما تذهب بنا هناك يا أبا عثمان ؟

قال : نعم .

قال : فذهبنا حتى أتينا دارَ صاحب الصنيع ، فلم يكن علينا كُسوة رائعة ولا تحتنا دوابُّ ، فتدخَّل تُجاهَنا ، فوجدنا البواب ذا غِلظٍ وجَفاء ، فمنعنا فانحدَرنا في جانب الايوان ننتظر أحداً يُعلِم أبا عبد الله الواسطي بحالنا . فمكثنا حيناً حتى أتى مَن نعرِفه ، فسألناه أن يُعلِم أبا عبد الله الواسطي بنا ، فلما أُخبِر خرج إلينا يتلقّانا ، فتقدّمني الفلوسكي وتقدّمه حتى أتى صدر المجلس ، فقعد فيه ، ثم قال لي : هاهنا عندنا يا أبا عثمان . فلما خلونا ثلاثتنا قلت للفلوسكي : كيف تُسمي العربُ من أماتَ إلى أنفسها ؟

قال الفلوسكي : تُسميه ضَيفاً .

فقال له الجاحظ : وكيف تسمي من أماله الضيف ؟

قال : تُسميه ضيفناً .

قال الجاحظ : وكيف تُسمي من أماله الضيفن ؟

قال : ما لمثل هذا عند العرب تسمية .

قال الجاحظ : فقلت : قد رضيتُ أن تكون في منزلة من التطفيل لم تجدْ لها العرب اسماً ، ثم تتحكّمُ تحكُّمَ صاحب البيت ؟

باب من أخبار المحارفين الظرفاء

منهم أبو الشَّمقمق الشاعر ، وكان أديباً ظريفاً محارَفاً[١] ، وكان صُعلوكاً متبرِّماً بالناس ، وقد لزم بيته في أطمارٍ مسحوقةٍ[٢] ، وكان إذا استفتحَ عليه احدٌ بابَه خرَجَ ، فينظرُ من فُروج الباب ، فإن أعجبَه الواقفُ فتح له وإلاّ سكتَ عنه. فأقبلَ إليه يوماً بعضُ إخوانه المُلطفِين له ، فدخلَ عليه ، فلمّا رأى سوء حالِه ، قال له : أبشِر أبا الشمقمق ، فإنّا رَوينا في بعض الحديث : إن العارين في الدنيا هم الكاسون يوم القيامة.

فقال : إن صحَّ ، والله ، هذا الحديثُ كنتُ أنا في ذلك اليوم بزّازاً ، ثم أنشأ يقول :

أنا في حالٍ ، تعالى الله ربي ، أيّ حالِ
ليس لي شيءٌ ، إذا قيل : لمن ذا ؟ قلتُ : ذا لي
ولقد أفلستُ ، حتى محتِ الشمسُ خيالي
ولقد أفلستُ ، حتى حلَّ أكلي لعيالي

١ المحارف : المحروم المحدود ، الذي إذا طلب لا يرزق .
٢ الأطمار ، الواحد طمر : الثوب البالي . المسحوقة : البالية .

وله :

أتراني أرى ، من الدهر ، يوماً ،
لي فيه مطيّةٌ غيرُ رِجلي ؟

كلما كنتُ في جميعٍ فقالوا :
قرّبوا للرحيل ! قرّبتُ نعلي

حيثما كنتُ لا أخافُ رحيلاً ؛
من رآني فقد رآني ورحلي

وقال أبو الشمقمق أيضاً :

لو قد رأيتَ سريري كنتَ ترحمُني ،
اللهُ يعلمُ ما لي فيه تَلبيسُ[1]

والله يعلم ما لي فيه شائبةٌ ،
إلاّ الحَصيرة والأطمارُ والدّيسُ[2]

وقال أيضاً :

برزتُ من المنازلِ والقِبابِ ، فلم يَعسُر على أحد حجابي
فمنزليَ الفَضاء ، وسقفُ بيتي سماءُ الله ، أو قِطَعُ السحاب

١ التلبيس : التخليط .
٢ الديس ، الواحدة ديسة : الغابة المتلبدة ، ولا تدري ماذا اريد بها هنا .

فأنتَ ، إذا أردتَ ، دخلتَ بيتي — عليَّ مسلِّماً ، من غيرِ بابِ
لأني لم أجد مِصراعَ بابٍ ، — يكونُ من السحاب إلى التراب
ولا انشقَّ الثرى عن عودِ تختٍ ، — أؤمِّلُ أن أشُدَّ به ثيابي[1]
ولا خِفتُ الإباقَ على عبيدي ، — ولا خِفتُ الهلاكَ على دوابي
ولا حاسبتُ يوماً قَهرماني — مُحاسبةً ، فأغلَطَ في حسابي[2]
وفي ذا راحةٌ وفَراغُ بالٍ ، — فدَأبُ الدَّهرِ ذا ، أبداً ، ودابي

وقال أيضاً :

لو ركبتُ البِحارَ صارت فِجاجا ،
لا ترى ، في متُونِها ، أمواجا

ولو اني وضعتُ ياقوتةً حمراء
في راحتي ، لصارت زُجاجا

ولو اني وردتُ عذباً فُراتاً ،
عاد ، لا شكَّ فيه ، مِلحاً أُجاجا

فإلى الله اشتكي ، وإلى الفضلِ ،
فقد أصبحت بُزاتي دَجاجا

•

---

١ التخت : وعاء توضع فيه الثياب .
٢ القهرمان : امين الدخل والخرج .

وقال عمرو بن الهدير :

وقفتُ ، فلا أدري إلى أين أذهبُ ،
وأيُّ أموري ، بالعزيمةِ ، أركبُ

عجبتُ لأقدارٍ ، علـيَّ ، تتابعت
بنحس ، فأفنى طولَ عمري التعجّبُ

ولمّا التمستُ الرزقَ ، فانجدَّ حبلُه ،
ولم يَصْفُ لي ، من بحره العذبِ ، مشربُ[1]

خطبتُ ، إلى الاعدام ، إحدى بناته ،
لرفعِ الغنى إياي ، إذ جئتُ أخطبُ

فزوّجنيها ، ثم جـاء جهازُها ،
وفيه من الحِرمان تَخْتٌ ومِشجَبُ[2]

فأولدتها الحُرفَ النّقيَّ ، فما له ،
على الأرضِ ، غيري والدٌ ، حينَ يُنسَبُ[3]

---

١ انجد : انقطع .
٢ المشجب : خشبات منصوبة توضع عليها الثياب .
٣ الحرف : الحرمان .

فلو تِهْتُ في البَيْداء والليلُ مُسبِلٌ
عليّ جناحَيْه ، لَما لاحَ كوكبُ

ولو خِفْتُ شرًّا ، فاستترتُ بظُلمةٍ ،
لأقبل ضوءُ الشمس من حيثُ تَغرُبُ

ولو جادَ إنسان عليّ بدرهمٍ ،
لرُحتُ إلى رَحلي ، وفي الكفّ عقرب

ولو يُمطرَ الناسُ الدنانيرَ لم يكن
بشيءٍ ، سوى الحَصباء ، رأسي يُحصب

ولو لمستْ كفّايَ عقداً مُنظَّماً
من الدُّرّ ، أضحى ، وهو وَدْعٌ مُثقَّب[1]

وإن يقترف ذنباً ، بِبُرقةَ ، مُذنبٌ ،
فإنّ برأسي ذلك الذنبَ يُعصَب[2]

وإن أرَ خيراً في المنام ، فنازحٌ ؛
وإن أرَ شرًّا ، فهو مني مُقرَّب

---

١ الودع ، اصله بفتح الدال ، الواحدة ودعة : مناقيف صغـــار ، أو عظام دويبة تخرج من البحر .
٢ برقة : موضع .

ولم أغدُ في أمرٍ أريـد نجاحَه ،
فقــابلني إلاّ غُراب وأرنب

أمامي ، من الحِرمان ، جيشٌ عَرمرمٌ ،
ومنه ، ورائي ، جَحْفلٌ ، حين أركب

•

وقال آخر :

ليس إغلاقي لبابي أنّ لي   فيه ما أخشَى عليه السَّرقا
إنما أغلقتُـه كيلا يَرى ،   سُوءَ حالي ، مَن يمرُّ الطُّرقا
منزلٌ أوطنَه الفقرُ ، فلو   يدخلُ السارقُ فيه سُرِقا[1]

•

وقال الحسن بن هانىء في هذا المعنى :

الحمدُ لله ، ليس لي نَشَبٌ ،   فخفَّ ظهري وقلَّ زُوّاري
مَن نظرت عينه إليّ ، فقد   أحاط عِلماً بما حوَتْ داري
جَهري في البيت كامنٌ ، وعلى   مَدْرجةِ الرائحين أسراري[2]

•

---

١ اوطنه : اقام فيه واتخذه وطناً .
٢ الجهر : العلانية . المدرجة : معظم الطريق .

وقال بعضُ المحارَفين :

لزِمتْني حرفَةٌ ما تَنقضي ،
أبداً ، حتى أُوارى في الجَدَثْ

كلُزوم الطَّوقِ ، إلا أنَّها
تستجدُّ، الدهرَ، والطوقُ يَرِثْ[1]

١ يرث : يبلى .

المجانين والبخلاء والطفيليون

كتاب الجمانة الثانية	٥
أخبار الممرورين والمجانين	١٧
مجانين القصاص	٣٣
باب نوكى الاشراف	٣٤
أهل العي والجهل المشبهون بالمجانين . . .	٣٩
النوكى من نساء الاشراف	٤٣
شعراء المجانين	٤٩
أخبار البخلاء	٧١
طعام البخلاء	٨٢
ما قالت الشعراء في طعام البخلاء	١٠٠
باب من أخبار البخلاء	١١٣
باب ما قيل في البخلاء	١١٩
احتجاج البخلاء	١٢٣
رسالة سهل بن هارون في البخل	١٣٢
أخبار الطفيليين	١٤١
باب من أخبار المحارفين الظرفاء	١٦٤

العقد الفريد

١ السلطان وعدل ساعة
٢ تحت ظلال القنا
٣ الأيدي السخيّة
٤ وفود العرب
٥ مخاطبة الملوك
٦ أبناء النور ١
٧ أبناء النور ٢
٨ ابناء النور ٣
٩ أمثال العرب
١٠ سحر البيان
١١ دموع الأحزان
١٢ أنساب العرب
١٣ من خيام الاعراب
١٤ فيض الخواطر
١٥ أدب المنابر
١٦ الكتابة والكتّاب

١٧ أخبار الخلفاء ١
١٨ أخبار الخلفاء ٢
١٩ اخبار الخلفاء ٣
٢٠ أمراء المسلمين
٢١ أيام العرب ١
٢٢ أيام العرب ٢
٢٣ طرائف الشعراء ١
٢٤ طرائف الشعراء ٢
٢٥ الأعاريض والقوافي
٢٦ الغناء والمغنون
٢٧ أخبار النساء
٢٨ المجانين والبخلاء والطفيليون
٢٩ طبائع الانسان والحيوان
٣٠ الطعام والشراب
٣١ فكاهات وملح

« تم »